سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٥٧)

أربع وعشرون ساعة

و ورودها في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"مذهب أهل السنة، وإذا كان كذلك ففي الجائز أن تكون الشمس في الأرض، ويبقى ضوئها عاما في الأفق والليل على سطح الأرض، ونحن نرى الضوء بالبعد في الأفق، وكون ذلك لم يقع كذلك هو انسلاخ النهار من الليل؛ لأنه قد كان الليل وسطا وضوء النهار دائر بأفق ذلك الموضع الذي فيه الليل، وقد ذكروا في كتب العينية أن الليل يحدث من ظل الأرض حين كون قرص الشمس تحتها، وأنه شكل مستدير ضوء يرى مخروط ينتهي رأسه إلى فلك عطارد وبه يكون الكسوف، وانظر هل في الآية دليل على أن لا واسطة بين الليل والنهار؛ خلافا لمن أثبت الفضلة؟ وانظر ما تقدم في سورة آل عمران في قوله تعالى: (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل).

قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ... (٣٨)﴾
ذكر المفسرون في مستقرها أقوالا، الظاهر منها قولان:
أحدهما: أن مستقرها، يوم القيامة، والثاني: زوالها، حكاه ابن عطية؛ لأن الغاية تكون تابعة لها مخالفا لما قبلها، ويوم القيامة تتقدم فلا يكون لها جري، وكذلك حين الزوال، وأما القول بالطلوع والغروب فلا يستقيم؛ لأنها لا تقدم ولا تزال تجري.
وقال بعضهم: معناه أن الموضع الذي تطلع منه إذا أكملت الدورة [جارية*] فذلك هو مستقرها، والدورة عندها أربع وعشرون ساعة، فإذا استكملت بين اليوم والليلة أربعا وعشرين ساعة وصلت إلى مستقرها وهو كإنهاء الدورة، وابتدأت دورة أخرى، وانظر كيف يفهم حديث أبي ذر في الشمس: "حتى يؤذن لها فتسجد تحت العرش مع قواعد المسبحين"، فيحتمل أن تكون الشمس في دورتها بعرض أنها تسلمت جزءا معلوما من الشمس فتسجد حينئذ، أو تقول: إن وافق المدينة لا إن نشأت دائرته جزءا من العرش، فعندما تقرن الشمس، وتسلمت ذلك الجزء من العرش الصامت لجميع دائرة الأفق فتسجد ولا تزال متناسبة في الفصول؛ لأن الشمس لا تخرج عن دائرة الأفق، ألا تراه أراد أيما منطقة ذلك البرج، فإن قيل في الجواب: أنها أبدا فيها جزء [ساجد*] كما هي ابتداء طالعة على قوم، وغاربة على آخرين؛ رد بأنه ينافي الحديث؛ لأن ظاهره أنها قيل: لم تكن ساجدة، وانظر كيف يفهم طلوعها من [مغربها بانقلاب*] الفلك بها، فتطلع هي والقمر والنجوم من المغرب؟ وكيف يفهم مع أنها إذا طلعت على قوم تغرب على آخرين، فإذا طلعت من مغربها في قطر تكون في قطر آخر طالعة من مشرقها، فإن أخذنا الحديث على [عمومه*] كان تصادما بعلم الغيب، وقواعد المنجمين، إلا أن نجعله خاصا بقوم، وكيف تطلع الشمس من مغربها في الجزء أو." (١)
"إما أن يراد الإبصار أي نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى قومه، أو يراد بالنظر غير الفكر؛ فيكون أولا استحضر المعلومات فقط، فحكم بما حكم به من غير جزم، ثم نظر ثانيا ورتب الدلائل فحكم بما حكم جازما به ومعتقد أنه أحق.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣/٣٥٠

قوله (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا إلا قول البشر (٢٥) .. إما أن يكون على معنى حرف العطف، فتكون الجملتان متباينتين، وإما أن نقول إنهما على حقيقتهما متصلتان؛ لأجل اشتراكهما في مخالفتهما القرآن وفي القدح فيه، فالأولى تضمنت أنه سحر، والثانية أنه مخلوق حادث لحصولهما [في] شيء واحد هو أنه مستفعل مختلف، ولا يصح أن تكون الثانية بدلا من الأولى؛ لأن القول أعم من السحر، والأعم لابد له من الأخص.

قوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر (٢٨)﴾

أي لا تبقي شيئا حاصلا [فيها*] إلا محقته، ولا تذر شيئا خارجا منها يستحق الدخول فيها إلا أدخلته فيها.

قوله تعالى: ﴿تسعة عشر (٣٠)﴾

قال بعضهم: السر في تخصيص هذا العدد أن مجموع ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، منها خمس ساعات للصلوات الخمس المفروضات، يبقى العدد المذكور في الآية.

ابن عطية؛ قال بعض الناس: إنهم على عدد بسم الله الرحمن الرحيم، [يريد*] على عددها مكتوبة، فيعد بسم ثلاثة أحرف، والله أربعة أحرف، والرحمن ستة، ولا يعد الألف المحذوفة ولا الحرف المشدد.

ابن الخطيب في شرح الأسماء الحسنى، قوله تعالى: (عليها تسعة عشر) فسر بثلاثة أمور:

أحدها: أن اليوم [بليله*] أربع وعشرون ساعة، خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس، وبقيت تسعة عشر خالية عن ذكر الله تعالى، فكان عدد الزبانية كعددها.

الثاني: أبواب جهنم سبعة، [فستة*] منها للكفار، وواحد للفساق، وأركان الإيمان ثلاثة: إقرار واعتقاد وعمل، فالكفار تركوا الثلاثة [فلهذا يحسب لتركهم ثلاثة*] من الزبانية على كل باب من الستة، فالمجموع ثمانية عشر، والفساق أتوا بالإقرار والاعتقاد دون العمل فلهم من الزبانية واحد، فالمجموع تسعة عشر.." (١)

"(عدد السنين والحساب) أي حساب الشهور والأيام والساعات ونقصانها وزيادتها ووقت دخولها وانقضائها، فإن في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى، وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى. ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم، والسنة تتحصل من اثني عشر شهرا، والشهر يتحصل من ثلاثين يوما إن كان كاملا، ومن تسع وعشرين يوما إن كان ناقصا واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار، وقد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء، ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان، والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ذكرناه في لقطة العجلان وحجج الكرامة.

(ما خلق الله ذلك) بين سبحانه أنه ما خلق الشمس والقمر واختلاف تلك الأحوال (إلا بالحق) والصواب دون الباطل والعبث، والإشارة بقوله (ذلك) إلى المذكور قبله من جعل الشمس ضياء والقمر نورا أو تقديره منازل والاستثناء مفرغ من

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣١٨/٤

أعم الأحوال.

(يفصل الآيات لقوم يعلمون) معنى التفصيل تبيينها والمراد بالآيات التكوينية أو التنزيلية أو مجموعهما، ويدخل هذه الآيات التكوينية المذكورة هنا دخولا أوليا في ذلك، قرئ يفصل بالياء والنون وهما سبعيتان، وعلى الثانية فيه التفات.." (١)

"وليكن لنا جميعاً بين الليل والنهار ساعة، نخلو فيها بربنا جل اسمه وتعالى قدسه، نجمع بين يديه في تلك الساعة همومنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربه حال، تحركت في تلك الساعة عزائمه. وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه. وتلك الساعة أنموذج لحاله العبد في قبره، حين خلوه عن ماله وحبه. فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات الآصار. فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبك على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه.

فإذا حصلت تلك الساعة، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار، نعبده فيها حق عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته، وذلك طريق لنا جميعاً إن شاء الله تعالى إلى النفوذ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر، وفاته الشطر الباطن. لاتصاف قلبه بالجمود. وبعده في العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود. كما قال تعالى: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ (الزمر:٢٣) وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا. ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة، والذوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها. ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها.." (٢)

"قوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام)

فقوله: ((إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام)): الخلق: هو الإيجاد والإظهار والإبراز على أمر لم يسبق له مثيل، وهذا هو الخلق الحقيقي: وهو إيجاد الشيء من العدم، والله جل وعلا أخبرنا أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، والظاهر أنها أيام كأيامنا هذه، هذا هو الظاهر، أما الأقوال التي تروى عن بعض المفسرين: أن كل يوم كألف سنة ونحو ذلك فليس لهم فيه دليل، ولكن قد يرد سؤال وهو: إذا كان الله خلق السماوات والأرض قبل وجود الشمس ودورانها، فكيف عرفت هذه الأيام؟ لأن الأيام ما عرفت حتى وجدت الشمس، فصارت تسير مع الأرض في فلكها، وهو شيء مقدر لا يختلف، بل محدد تحديدا دقيقا في جميع السنة، فكل يوم وليلة أربع وعشرون ساعة لا يزيد ولا ينقص.

وإن كان كما قال الله جل وعلا: ((يغشي الليل النهار))، أي: يزيد أحدهما على الآخر فينقص الآخر، ولكن لا يعدو الليل والنهار أربعا وعشرين ساعة، هذا في وسط الأرض.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧/٦

(٢) لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص/٧٨

أما في أطراف الأرض، فهذا لا عبرة فيه؛ لأن أطراف الأرض قد تطلع الشمس عليها وقتا طويلا، وقد لا يكون عندهم ليل في القطب؛ لأن الشمس لا تغيب عن الأرض إذ أن الأرض، لا أثر لها في ذلك، فلا يعتبر بمثل هذا، وإنما يعتبر الوسط الذي نحن فيه، وهو الذي خاطبنا الله جل وعلا به.

فالظاهر: أنها أيام كأيامنا هذه؛ لأن هذا هو الظاهر من قوله (في ستة أيام)، وقد علم أن أول هذه الأيام الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وهو الذي اجتمع فيه الخلق، وفي آخر ساعة منه خلق آدم، وفيه أيضا تقوم الساعة كما صحت الأحاديث في ذلك.

أما ما جاء في صحيح مسلم : (أن الله جل وعلا خلق يوم الأحد كذا وخلق يوم الإثنين كذا ويوم الثلاثاء كذا إلى أن قال: وخلق التربة يوم السبت)، فهذا غير صحيح، وهو من الأحاديث التي يعلم أنها غير صحيحة، ولم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي خطأ من بعض الرواة، والخطأ في صحيح مسلم وصحيح البخاري هو في كلمات يسيرة فقط، مثل هذا الحديث، وكل كتاب غير كتاب الله ما يخلو من الخطأ، ولكن إذا كان الخطأ معدودا ومعروفا فيكفي ذلك في صحته، ونبل صاحبه كما هو معلوم.

وقوله: ((إن ربكم الله)): الرب: هو المالك المتصرف، ولا يجوز إطلاق الرب -بالألف واللام- إلا على الله.

أما لفظ (رب) غير مضاف فلا يجوز إطلاقه أيضا إلا على الله، أما إذا أضيف فيجوز أن يطلق على المخلوق، تقول: رب الكتاب، رب الدار، رب الدابة، يعني: صاحبها، والرب هنا بمعنى: المالك المتصرف، فهو الذي يملك هذا الكتاب ويتصرف فيه، وهو الذي يملك هذه الدار ويتصرف فيها بالبيع والشراء والسكنى والإيجار وغير ذلك، ولكن لا يجوز إضافة الرب للعاقل ويقصد به المخلوق، تقول: رب الغلام، رب الجارية، رب المرأة، رب الرجل وما أشبه ذلك، هذا لا يجوز أن يقصد به مخلوق؛ لأن الرب قد يطلق لمعنى المعبود وهو دليل على العبادة، بل تلزم منه، فالعبادة والربوبية متلازمتان، ولهذا منع ذلك، فلا يجوز في هذا الأمر.

فإذا: يكون إطلاقه على غير الله جل وعلا فيما إذا أضيف إلى غير العاقل، أما إذا أضيف للعاقل فلا يجوز إطلاقه إلا على الله، وإذا اقترنت به (أل) لا يجوز إطلاقه إلا على الله تعالى الله وتقدس، وهذا كله صيانة وحماية للتوحيد، ولأسماء الله جل وعلا وصفاته أن يشترك في معانيها وحقوق الله مخلوق.

"الرد على المتكلمين المنكرين لصفة النزول

ونوع: أن الله يبدل السيئات حسنات.

وهذا باطل.

والجواب عن هذا: أن هذا القول مبني على القياس -أي: قياس أفعال المخلوق المحصور المحدود على أفعال الله جل وعلا- وهذا هو أصل التشبيه وأصل البلاء، وأصل التعطيل أيضا، فيحصل التشبيه أولا، ثم ينفى ما وصف الله جل وعلا به نفسه ووصفه به رسوله، ويعطل عن ذلك، فنقول: يصح هذا القول لو كان النازل مخلوقا محصورا محدودا، وإلا فأفعال الله جل وعلا لا يجوز قياسها بمثل هذه الأقيسة التي تكون للمخلوق، فهو على كل شيء قدير، يكلم ويحاسب ويرى المخلوق أنه وحده يكلم وهو جل وعلا يكلم الجميع كلهم في آن واحد، ونزوله من هذا النوع في آن واحد، وإن اختلفت

الأوقات والأماكن، فلا يجوز قياسه على ما يكون من فعل المخلوق الضعيف، وقد علم أن الله جل وعلا وسع كرسيه السموات والأرض، وأن الكرسي بالنسبة للعرش صغير جدا، وأنه جل وعلا فوق عرشه، وهو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، فلا يجوز أن يقاس بشيء محدود محصور.

" وما أقسامه سبحانه بـ ﴿ والليل إذ أدبر ﴾ فلما في أدباره وإقبال النهار من أبين الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد فإنه مبدأ ومعاد يومي مشهود بالعيان بينما الحيوان في سكون الليل قد هدأت حركاتهم وسكنت أصواتهم ونامت عيونهم وصاروا إخوان الأموات إذا أقبل من النهار داعيه وأسمع الخلائق مناديه فانتشرت منهم الحركات وارتفعت منهم الأصوات حتى كأنهم قاموا أحياء من القبور يقول قائلهم [الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور] فهو معاد جديد بدأه وأعاده الذي يبدئ ويعيد فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى الواحد القهار ؟

فمن تأمل حال الليل إذا عسعس وأدبر والصبح إذا تنفس وأسفر فهزم جيوش الظلام بنفسه وأضاء أفق العالم بقبسه و فل كتائب الكواكب بعساكره وأضحك نواحي الأرض بتباشيره وبشائره فيالهما آيتان شاهدتان بوحدانية منشئهما وكمال ربوبيته وعظم قدرته وحكمته فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقيما لسلطان الليل والنهار فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ؟ وكيف كانت تهنيهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه وأي ثمار ونبات وحيوان كان يوجد ؟ وكيف كانت تتم مصالح أبدان الحيوان والنبات ؟ ولولا غروبها لم يكن للناس هدر ولا قرار مع علم حاجتهم إلى الهدوء لراحة أبدانهم وجموم حواسهم فلولا جثوم هذا الليل عليهم بظلمته ما هدأوا ولا قروا ولا سكنوا بل جعله أحكم الحاكمين سكنا ولباسا كما جعل النهار ضياء ومعاشا ولولا الليل وبرده لاحترقت أبدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس عليها وكان يحرق ما عليها من نبات وحيوان فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن جعلها سراجا يطلع على العالم في وقت حاجتهم إليه ويغيب في وقت استغنائهم عنه فطلوعه لمصلحتهم وغيبته لمصلحتهم وصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متضافرين على مصلحة هذا العالم وقوامه فلو جعل الله سبحانه النهار سرمدا إلى يوم القيامة والليل سرمدا إلى يوم القيامة لفاتت مصالح العالم واشتدت الضرورة إلى تغيير ذلك وإزالته بضده

وتأمل حكمته سبحانه في ارتفاع الشمس وانخفاضها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من مصالح الخلق ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثف الهواء فينشأ منه السحاب وينعقد فيحدث المطر وحركات الطبائع وفي الصيف يخرم الهواء فينضج الثمار وتشتد الحبوب ويجفف وجه الأرض فيتهيأ العمل وفي الخريف يصفو الهواء وتبرد الحرارة ويمتد الليل وتستريح الأرض والشجر للحمل والنبات مرة ثانية بمنزلة راحة الحامل بين الحملين ففي هذه الأزمنة مبدأ ومعاد مشهود وشاهد بالمبدأ والمعاد الغيبي

والمقصود أن بحركة هذين النيرين تتم مصالح العالم وبذلك يظهر الزمان فإن الزمان مقدار الحركة فالسنة الشمسية مقدار سير الشمس من نقطة الحمل إلى مثلها والسنة القمرية مقدرة بسير القمر وهو أقرب إلى الضبط واشترك الناس في العلم به وقدر أحكم الحاكمين تنقلهما في منازلهما لما في ذلك من تمام الحكمة ولطف التدبير فإن الشمس لو كانت تطلع وتغرب في موضع واحد لا تتعداه لما وصل ضوءها وشعاعها إلى كثير من الجهات فكان نفعها يفقد هناك فجعل الله سبحانه طلوعها دولا بين الأرض لينال نفعها وتأثيرها البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن أن تطلع عليها إلا أخذ بقسطه

من نفعها واقتضى هذا التدبير المحكم أن وقع مقدار الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة ويأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منهما إذا امتد خمسة عشر ساعة فلو زاد مقدار النهار على ذلك إلى خمسين ساعة مثلا أو أكثر لاختل نظام العالم وفسد أكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام أيضا وتعطلت المصالح ولو استويا دائما لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال تعالى ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وقال تعالى ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها أن تقدير حركات الشمس والقمر والأجرام العلوية وما ينشأ عنها كان من مقتضى عزته وعلمه وأنه قدره بهاتين الصفتين وفي هذا تكذيب لأعداء الله الملاحدة الذين ينفون قدرته واختياره وعلمه بالمغنيات ". (١)

"ص -١٧١- البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن أن تطلع عليها إلا أخذ بقسطه من نفعها واقتضى هذا التدبير المحكم أن وقع مقدار الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة ويأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منها إذا امتد خمسة عشر ساعة فلو زاد مقدار النهار على ذلك إلى خمسين ساعة مثلا أو أكثر لاختل نظام العالم وفسد أكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام أيضا وتعطلت المصالح ولو استويا دائما لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وقال تعالى ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك." (٢)

"١٩٦٠٧- ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى فى كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار (الخليلى ، والرافعى عن أنس)

أخرجه الرافعى (٢٧٨/٣) . وأخرجه أيضا : البخارى فى التاريخ الكبير (٤٩/٨ ، ترجمة ٢١١١ معتمر بن نافع أبو الحكم)

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص/١٠٥

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ١٧٢/٢

.

١٩٦٠٨- ليلة الضيف حق على كل مسلم فمن أصبح الضيف بفنائه فهو له عليه دين إن شاء اقتضى وإن شاء ترك (الطيالسى ، وأحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والطبرانى ، والبيهقى عن أبى كريمة المقدام بن معديكرب المقداد بن الأسود) أخرجه الطيالسى (ص ١٥٧ ، رقم ١١٥١) ، وأحمد (١٣٠/٤ ، رقم ١٧٢١١) ، وأبو داود (٣٤٢/٣ ، رقم ٣٧٥٠) ، وابن ماجه (١٢١٢/٢ ، رقم ٣٦٧٧) ، والطبرانى (٢٦٣/٢٠ ، رقم ٦٢١) ، والبيهقى (١٩٧/٩ ، رقم ١٨٤٧٤) .

١٩٦٠٩- ليلة الضيف حق واجب فإن أصبح محروما بفنائه وجبت نصرته على المسلمين حتى يأخذوا له بحقه من زرعه وضرعه لما حرمه من حق الضيافة (الطبرانى عن المقدام بن معديكرب)." (١)

" الباب العاشر في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه فالذي عليه

الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل وسببه النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة

وقال بعض الفلاسفة العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمي ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم والقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها ومن غلبة السوداء يحصل له فسادالفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني مالا يتم حتى يؤدي إلى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعة وعشرين ساعة فيظن أنه قد مات فيدفن وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه إذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه وقال أفلاطون العشق حركة النفس الفارغة وقال أرسطاطاليس العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب ومن هذا أخذ جرير قوله ." (٢)

"خمس عشرة ساعة ونهارها تسع ساعات ويكون في بعض البلاد ست عشرة ساعة والنهار ثمان ساعات وبالعكس ؛ فوقع الاختلاف في طول الليل وقصره بحسب الأقاليم والبلاد وقد يستوي الليل والنهار في بعض البلاد وقد يطول الليل في بعض البلاد حتى يستوعب أكثر الأربع وعشرين ساعة ويبقى النهار عندهم وقت يسير ؛ فيلزم على هذا أن يكون ثلث الليل دائما ويكون الرب دائما نازلا إلى السماء . والمسئول إزالة الشبه والإشكال وقمع أهل الضلال .

فأجاب - رضي الله عنه - :

الحمد لله رب العالمين ، أما القائل الأول الذي ذكر نص النبي صلى الله عليه وسلم فقد أصاب فيما قال فإن هذا القول الذي قاله ؛ قد استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث

---

(١) جامع الأحاديث، ٣٥٧/١٨

(٢) روضة المحبين، ص/١٣٧

على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول . ومن قال ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني ؛ كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني ؛ فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام وأمثاله علانية وبلغه الأمة تبليغا عاما لم يخص به أحدا دون أحد ولا كتمه عن أحد وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه." (١)

"(ليكف أحدكم من الدنيا خادم ومركب) لان التوسع في نعيمها يوجب الركون اليها والانهماك في لذاتها وحق على كل مسافران لا يحمل الا بقدر زاده في سفره (حم ن والضياء) المقدسي (عن بريدة) تصغير بردة

(ليكونن في هذه الامة خسف وقذف ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات) المغنيات (وضربوا بالمعازف) قيل أراد الحقيقة وقيل خسف المنزلة ومسخ القلوب (ابن أبي الدنيا في) كتاب (ذم الملاهي عن أنس) بن مالك

(ليكونن في ولد) بضم فسكون (العباس) بن عبد المطلب (ملوك يلون أمر أمتي) يعني الخلافة (يعز الله تعالى بهم الدين) وهذا من معجزاته فانه اخبار عن غيب وقع (قط في الافراد عن جابر) باسناد فيه كذاب

(ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار) أي نار التطهير (الخليلي) في مشيخته (عن أنس) بن مالك

(ليلة القدر ليلة سبع وعشرين) من رمضان وبه قال جمهور الصحابة والتابعين وكان أبي بن كعب يحلف عليه (د عن معاوية) الخليفة واسناده صحيح

(ليلة القدر ليلة أربع وعشرين) أخذ به راويه بلال وحكى عن ابن عباس والحسن وقتادة (حم عن بلال) المؤذن (الطيالسي) أبو داود (عن أبي سعيد) واسناده حسن

(ليلة القدر في العشر الاواخر) أي التي تلي آخر الشهر (في الخامسة أو الثالثة) منه (حم عن معاذ) بن جبل واسناده صحيح

(ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين) وعليه جمع (ان الملائكة تلك الليلة) يكونون (في الارض أكثر من عدد الحصى) يحضرون مجالس الذكر ويستغفرون للمؤمنين ويؤمنون على دعائهم فاذا طلع الفجر صعدوا (حم عن أبي هريرة) ورجاله رجال الصحيح

". (٢)

" عبيد الله بن محمد بن عائشة قال ثنا حماد قال ثنا ثابت قال طوبى لمن ذكر ساعة الموت وما أكثر عبد ذكر الموت إلا رؤى ذلك في عمله

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٥/٣٢٢

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ٢/٦٤٥

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر قال ثنا محمد بن الحسن بن علي بن بحر قال ثنا عبدة الصفار قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا عبدالله بن بجير بن حمدان القيسي قال سمعت ثابتا البناني يقول الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت عليها قائم فان أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب

حدثنا أبو محمد بن حيان قال ثنا الحسن بن هارون بن سليمان قال ثنا هارون بن عبدالله قال ثنا سيار قال ثنا جعفر قال سمعت ثابتا البناني يقول نية المؤمن أبلغ من عمله إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل ويصوم النهار ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله

حدثنا أبو محمد بن حيان قال ثنا الحسن بن هارون قال ثنا هارون بن عبدالله قال ثنا سيار قال ثنا جعفر قال ثنا ثابت قال كان شاب به زهو فكانت أمه تعظه يا بني إن ! إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله اكبت عليه أمه فجعلت تقول قد كنت أحذرك مصرعك هذا يا بني فأقول إن لك يوما فاذكر يومك فقال يا أمه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعذبني اليوم بفضل معروفه ويلي إن لم ١ يغفر لي قال يقول ثابت رحمه الله حسن ظنه بالله عز و جل في حالته تلك

حدثنا أبو بكر بن مالك قال ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال ثنا هارون بن معروف قال ثنا ضمرة قال ثنا السري بن يحيي قال تزوج ثابت امرأة قال فحمله رجل على عنقه فأهداه إلى امرأته

حدثنا عبدالله بن محمد قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا بن إبراهيم قال ثنا ابراهيم بن اسحاق الطالقاني قال ثنا ضمرة عن السري قال تزوج ثابت امرأة فحمله رجل على عنقه إلى امرأته ليلة دخل بها فجعل الناس يقولون لو كان أمر الرجال في لحم ثابت ." (١)

"خلاف العلماء في طهارة جلود الميتة بالدباغ

نرجع إلى موضوعنا في فقه باب الآنية، وتقدم أن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة أخذ بالعموم، وأدخل جلد الكلب والخنزير، ووافقه الظاهري، أما ، أبو حنيفة رحمه الله فأخرج من العموم جلد الخنزير، وادعى أنه ليس للخنزير جلد، و الشافعي رحمه الله أخذ بالعموم وأخرج الخنزير، وقاس عليه الكلب؛ لأن الكلب عنده نجس كله، و مالك و أحمد أخذوا بعموم: (أيما إهاب) ولكن قالوا: يستعمل ظاهرا لا باطنا، وعلى هذا يكون الشافعي و أبو حنيفة و أحمد و مالك يقولون بطهارة جلود الميتة بعد دبغها على عموم: (أيما إهاب)، ولم يستثن من ذلك إلا الخنزير والكلب عند الشافعي ، وقال أحمد و مالك : يطهر ظاهرا لا باطنا، وعلى هذا يجوز استعماله في اليابسات دون المائعات، إلا أن المالكية يقولون: جلد الميتة يستعمل ظاهرا فقط في اليابسات فقط، ولا يستعمل في المائعات إلا في الماء؛ لأن الماء قوي يدفع النجاسة عن نفسه.

بعد هذا نرجع إلى هذه الأقوال لنرى ما هو الراجح منها؟ أما الذين أخذوا بالعموم فإن ظاهر النصوص معهم إلا ما ذكره أبو حنيفة رحمه الله من أن الآية الكريمة تنص على أن الخنزير رجس، وإذا كان نجسا في الحياة فبالموت من باب

---

(١) حلية الأولياء، ٣٢٦/٢

أولى، وكذلك الشافعي ألحق بالخنزير الكلب قياسا، وقد تطمئن النفس إلى الاستثناء، وقد تدعو الحاجة إلى التعميم على ما سيأتي إن شاء الله.

بقي عندنا رأي مالك والحنابلة: أنه يطهر ظاهرا لا باطنا، قالوا: الجلد إذا دبغ فالوجه الذي لامس الدباغة قد طهر بهذا الدباغ، أما مسام الجلد في الداخل فهذه لم ينفذ إليها الدباغ فلم تطهر، فيطهر ظاهرا لا باطنا، بمعنى: لو أنك افترشت جلد الميتة المدبوغ، وصليت عليه، تكون قد صليت مواجها للوجه الطاهر، لكن لو أنك حملته ولبسته وصليت فيه، لا تصح الصلاة؛ لأن ما داخل الجلد من المسام لم يطهر، فتكون مصليا حاملا لنجاسة داخل مسام هذا الجلد.

والمناقشة في ذلك بأن نقول: الإهاب يطهر ظاهرا وباطنا لما جاء في الحديث الأخير: (أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه توضئوا من مزادة امرأة مشركة).

وهذا الحديث فيه تتمة البحث، والمزادة: هي القربة الكبيرة، قيل: من جلد البقر أو الإبل، بخلاف القربة فإنها من جلد الشاة أو الماعز، والقصة طويلة وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد من إحدى الغزوات ونفد الماء عليهم فأرسل عليا رضي الله تعالى عنه ورجلا معه ليطلبا الماء، فمضيا من الصباح إلى قريب الزوال، فلم يجدا ماء، فلقيتهم ظعينة راكبة بين مزادتين –امرأة على بعير لها يحمل مزادتيها– فسألاها: أين الماء؟ أي: من أين استقيت الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس الساعة –يعني: أمس هذا الوقت، وأنا أمشي من عنده، أي: أربعة وعشرين ساعة– فتشاورا، فقال أحدهما: ما يمكن أن نذهب هذا الوقت كله، ولكن نسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما معها من الماء، فقالا لها: هلمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم! قالت: ذاك الصابئ! قيل لها: ذاك الذي تعنين، فلما حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخوا بعيرها وأنزلوها، وطلب إناء فأفرغ من مزادة جزءا من الماء، ثم قال: (اشربوا وتزودوا)، فما بقي إنسان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا وأتى بما عنده من قرب وسقاء أو إناء وملأه، وسقوا الخيل والإبل التي معهم، وما بقي إنسان إلا توضأ، حتى أن رجلا بعد أن صلى النبي صلى الله عليه وسلم نظر إليه، فإذا به معتزلا القوم، فقال: (مالك لم تصل؟ ألست مسلما؟ قال: بلى، يا رسول الله! ولكن أصابتني جنابة ولا ماء، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ماء في إناء، ونادى الرجل فقال: خذ هذا فأفرغه عليك)، وكان قد تيمم وصلى فأعطاه الماء ليغتسل، المهم أنهم أخذوا من المزادتين ما يملئ أوانيهم، ويشربوا في بطونهم ويتوضئون، ويغتسل الجنب فيهم، وتشرب دوابهم، ثم قال: (اجمعوا لها، فجمعوا لها من الطعام، ثم قال لها: انظري! لقد سقانا الله، وما نقصت مزادتاك شيئا) فأركبوها على بعيرها، وحملوا لها ما جمعوا، وذهبت إلى قومها، فقالت: يا قوم! والله! لقد أتيتكم من عند رجل لئن كان ساحرا لهو أسحر عباد الله، ولئن كان نبيا لهو حق مرسل من عند الله، وأخبرتهم بالخبر، وما أخذوا من الماء، وما أخبرها، ثم كان الصحابة يحفظون لها ذلك المعروف، فيغيرون على الأحياء من جوانبها ويتركون حيها التي هي منه، ثم قالت: يا قوم! والله! ما تنحى هؤلاء عنكم لقوة فيكم، ولا لضعف منهم، وإنهم يحفظون ذلك المعروف، فأسلموا تسلموا، ودعتهم إلى الإسلام فأسلموا.

والذي يهمنا هنا، أن هذا الماء الذي في المزادتين كان لامرأة مشركة، والمزادتان من أواني المشركين، وصنعوهما من دوابهم، وهم يذبحون، ولكن ذبيحة المشرك والوثني ميتة: ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام:١٢١]، يذبحون باسم الصنم، أو باسم الصليب

أو غير ذلك، ومع أنها ميتة شرعا، وقد دبغت، وفيها الماء؛ استعمله صلى الله عليه وآله سلم، فيرد بذلك على من يقول: إن الدباغ يطهر الإهاب ظاهرا لا باطنا؛ ولذا المالكية رووا هذه القصة فقالوا: يمكن أن يستعمل الجلد في خصوص الماء فقط؛ لأن الماء قوي يدفع عن نفسه، وقيل لهم: إن قضية شاة ميمونة في تتمته: (فأخذنا مسكها –يعني الإهاب– فدبغناه، فما زلنا ننبذ فيه حتى صار شنا)، (ننبذ فيه) أي: نطرح التمر والزبيب مع الماء حتى يستحلب ويتحلى الماء بهذه الثمار ونشربه، و(شنا) أي: قديما، فقد تغير عن كونه مطلق ماء، وأصبح نبيذا، فضعف عن قوة الطرد الذاتية للماء، وبهذا يتم الاستدلال على طهارة ما دبغ ظاهرا وباطنا.

بقي مسألة: هل يقال بالعموم فيشمل مأكول اللحم وغير مأكول اللحم أم لا؟ الذين قالوا: لا يشمل غير المأكول قالوا: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مياثر النمور)، والمياثر جمع ميثرة، وهي: شيء من اللبد من جلد النمر يجعل على السرج ويركبه الفارس، فنهى صلى الله عليه وسلم عن الركوب على جلود النمور، وهي غير مأكولة، وهي جلود مدبوغة، ونهى صلى الله عليه وسلم عن الركوب عليها، إذا: هي لم تطهر.

وأجاب الآخرون عن ذلك وقالوا: إن النهي عن جلود النمور والمياثر ليس للنجاسة، ولكن لأن الركوب على جلود النمور من أفعال العجم، وهو يورث الكبرياء والخيلاء، فنهى صلى الله عليه وسلم عن ركوبها تجنبا لهذه الحالة، وامتناعا من مشابهة غير المسلمين، ولو كان نجسا ما سمح باستعماله مطلقا لا في سفر ولا في حضر.

إذا: يترجح عندنا العموم في كل ميتة، وإذا دبغ جلدها فإنه يطهر، ويبقى عندنا: الكلب والخنزير فقط، وهما محل النزاع؛ فمن قال بالعموم –كما يقول الشوكاني – فظاهر النصوص معه، ومن استثناهما فهناك الشبهة، ومنذ عشر سنوات تقريبا جاءني بعض الإخوان الذين يستوردون الأحذية من روسيا –أو من المعسكر الروسي– وقال: إن بعض الأحذية مصنوعة من جلود الخنازير، ماذا نفعل بها؟ هل نردها؟ أو نمنع استعمالها؟ وصناعة الجلود قد توسعوا فيها، فيصنعون منها حقائب ونعالا وأدوات أخرى، بل ملبوسات كالفرو، ولما توسعت الصناعات الجلدية فمن قال بالعموم تيسيرا على الناس فلا مانع من ذلك، ولكن من عرف بذاته أن هذا من الخنزير فتركه لكان أولى، ولكن لو استعمله غيره فلا ينبغي له الإنكار عليه، هذا ما يتعلق بهذه الجلود.

وقوله: (أيما إهاب دبغ فقد طهر) هناك تساؤل عن ماهية الدباغ، وأشرنا إلى أن الحديث يقول: يطهره الماء والقرظ) والقرظ قيل: هو ورق السدر، والبعض الآخر يقول: هو ثمرة قوية لبعض الشجر، أي: ذات حمضيات شديدة، وهذا القرظ إذا طحنته أو دققته واستكت به؛ فإنه يشد اللثة المرتخية، ويخرج الرطوبة منها، فهو علاج للثة؛ لشدته وقوته، وبعضهم يدبغ بدلا من القرظ بقشر الرمان؛ لأن فيه قوة، وفيه مادة تشد الجلد، وتسحب منه الرطوبة، وبعضهم يدبغ: بالتراب والملح، ولكن كما يقول بعض العلماء: المسألة راجعة إلى ما يطهر الجلد، وإلى ما يدبغه ويلينه، وهذا يرجع إلى نوع الصناعة، فبعضهم يدخل الخل، وبعضهم يدخل الملح، وبعضهم يدخل الحناء ،وبعضهم يكتفي بالتراب فأية مادة تعارف عليها الناس، وجرب أنها تدبغ الجلد، فإنه دباغ يطهر جلد الميتة.." (١)

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٥/٨

"مسألة: هل انتهاء مدة المسح ناقض للوضوء؟

إذا اعتبرنا بداية اليوم والليلة من بعد العصر، له أن يمسح إلى أن يأتي الظهر من اليوم التالي، أو إلى قبيل العصر للنوافل، فلو مسح قبل العصر وقبل إتمام الأربع والعشرين ساعة، فبعد العصر يكون خرج عن المدة أم لا؟ خرج.

هو على وضوئه، فقد توضأ قبل العصر وبقي على وضوئه لم ينتقض وجاء العصر، فهل يصلي العصر الواقع بعد اليوم والليلة بهذا الوضوء الذي وقع بالمسح خلال اليوم والليلة، أم أنه بانتهاء التوقيت يكون قد انتهى الوضوء؟ هناك من يقول: يصلي؛ لأنها طهارة مكتملة ولم يأت ما ينقضها، وهو قول الحسن البصري ، فيصلي إلى أن ينتقض وضوءه الأخير، أما الجمهور فيقولون: المسح رخصة، إلى وقت محدد، فلما انتهى الوقت انتهت الرخصة.

أنت حين تأخذ تأشيرة للسفر إلى بلد –وانتهت مدة التأشيرة– وأنت على أهبة السفر، خرجت –مثلا– من بلدك متوجها إلى لندن ونزلت في عدة مطارات، فلما وصلت إلى لندن كانت التأشيرة قد انتهت بالأمس، بينما أنت انتقلت من بلدك منذ عدة أيام، فهل سيتغاضون عن الأيام السابقة، أم سيقولون لك: انتهت التأشيرة، وعليك أن ترجع؛ لأنك تحتاج إلى تأشيرة جديدة؟ فالجمهور يقولون: إذا كان على وضوء قبل مضي المدة، ثم دخلت صلاة بعد خروج المدة المحددة فلا يصليها بذاك الوضوء.

فإن قيل: هو لم ينتقض وضوءه.

قالوا: لكن المدة انتهت، وأبطلت المسح الذي مسحه أثناء المدة.

ولتلخيص ما سبق نقول: بدأت المدة من أول المسح، وتنتهي مدة المسح وصلاحيته بعد أربع وعشرين ساعة، فإذا توضأ ومسح بعد ثلاث وعشرين ساعة، فهل يكون مسح في المدة أم لا؟ يكون مسح في المدة، فجاء بعد سبع وعشرين ساعة ليصلي، ووضوءه الذي كان قبل بضع ساعات لا زال باقيا لم يطرأ عليه ما ينقضه، أيصلي بعد خروج المدة بثلاث ساعات بذاك الوضوء السابق في المدة، أم لا يصلح ذاك الوضوء للصلاة؟ هناك من يقول –كـ الحسن البصري –: يصلي ما شاء ما دام وضوءه لم ينتقض؛ لأنه وضوء صحيح بمسح صحيح في وقته.

والجمهور يقولون: لما انتهت المدة انتهت الرخصة.

وهذا يشمل المسح سواء كان في مدة السفر أو في مدة الحضر، ولو توضأ ولبس الخف –وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق– وقبل أن يحدث خلع الخفين، ثم لبسهما مرة أخرى قبل أن يحدث، فهل يمسح عليهما أم لا؟ يمسح؛ لأنه أدخلهما طاهرتين، فلو توضأ لصلاة المغرب وصلى بوضوء المغرب العشاء وغسل القدمين عند وضوئه للمغرب، وذهب إلى المسجد وصلى العشاء، فلما دخل البيت لبس الخفين –خوفا من البرد عند صلاة الصبح– وهو على طهره من المغرب، فلبس الخفين بعد صلاة العشاء، فهل هذا اللبس صحيح أم باطل؟ صحيح؛ لأنه أدخلهما طاهرتين، فإذا جاء الصباح وانتقض الوضوء بالنوم أو بغيره يمسح على الخفين؛ لأنه أدخلهما طاهرتين، إذا: ليس بشرط أن يكون لبس الخفين عقب غسل القدمين في الحال، فما دام على طهره الأول ولو طال الزمن ولبس الخفين وأدخلهما طاهرتين، فله أن يمسح عليهما.

وإذا لبس الخفين على طهارة وطال الزمن، ثم انتقض وضوءه، ولم يكن قد مسح على الخفين قبل ذلك، فخلع الخفين، هل يلبسهما على ما كان عليه، أم يستأنف وضوءا جديدا؟ يستأنف وضوءا جديدا.

فإذا كان قد توضأ ثم انتقض وضوءه ومسح على الخفين ثم خلعهما بعد أن مسح عليهما مسحة، حينما خلعهما أيعود للبسهما، أم يجدد الوضوء؟ يجدد الوضوء؛ لأن الوضوء قد انتقض، والوضوء الموجود الآن بمسحة، والمسحة يشترط فيها طهارة القدمين دائما، فلما خلعهما انتفت رخصة المسح وعليه أن يستأنف وضوءا جديدا.

وهناك من يقول: يغسل قدميه فقط، ولكن الجمهور على أن الطهارة لا تتجزأ، فعليه أن يستأنف وضوءا من جديد.." (١)

"هل التيمم مبيح للصلاة أم رافع للحدث؟

ثم قال (فإذا وجد الماء) أي: بعد العشر سنوات، (فليتق الله وليمسه بشرته)، يقول والدنا الشيخ الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه: هذا الحديث من المشكلات.

فقوله: (فإذا وجد الماء فليتق الله وليمسه بشرته)، هل يمسه بشرته لما مضى وتيمم من أجله، أو يمسه بشرته لما يستقبل من الصلوات الجديدة ويصليها بطهارة مائية؟ ومن هنا ينشأ السؤال: رجل أجنب وتيمم وصلى، ثم بعد يوم أو يومين وجد الماء، فهل يمسه بشرته لتلك الجنابة الماضية، أو لما يستقبل من الجنابة أو الحدث؟ وهل التيمم رافع للحدث أو مبيح للصلاة؟ والإشكال في ذلك يقول رحمه الله: إذا كان قد صلى بالتيمم فمن قال: إنه رافع للحدث فإن الصلاة صحيحة، والحدث ارتفع وإلا لما صحت الصلاة، والآخرون يقولون: لو لم يكن الحدث باقيا لما أمره أن يغتسل بعد أن وجد الماء.

إذا: إن قلنا: يغتسل فمعناه: أن الحدث موجود، وإن قلنا: يصلي، فمعناه: أن الحدث ارتفع، فالأمران متعاكسان في هذا الحديث، ولذلك من قال: إن التيمم ليس رافعا للحدث، ولكن الحدث ليس موجودا وقت الصلاة، قال: إنما التيمم رافع للحدث وقت الصلاة.

ولكن يقال: التيمم مبيح للصلاة وليس رافعا للحدث، فهو مبيح للصلاة مع وجود الحدث، وذلك نظير الرخصة في أكل الميتة، فإن النص بتحريم الميتة موجود وهي محرمة، لكن أبيحت مع التحريم للضرورة والاضطرار، إذا فحكم نجاسة الميتة عندما يأكلها المضطر موجود، ولكنها أبيحت له إبقاء على حياته، قال تعالى: ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ [المائدة:٣] فهي محرمة ولكن: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ [البقرة:١٧٣] (فلا إثم) للحرمة الموجودة، وكذلك هنا حينما لم يجد الماء، فتيمم مع وجود الحدث، لكنه أبيح له أن يصلي بهذا التيمم.

وقوله: (فليتق الله وليمسه بشرته)، يقول العلماء: يمسه بشرته للجنابة الماضية، ويكون الحدث باقيا، ويترفع بعد أن وجد الماء لعدة سنوات أو أيام، وهل يمسه للمستقبل؟ نقول: أما للمستقبل فلا يحتاج؛ لأن الله يقول: ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ [المائدة:٦]، فالأمر بالغسل للجنابة مع وجود الماء موجود ولا يحتاج إلى التنبيه عليه هنا.

إذا: قوله: (فليمسه بشرته)، إنما هو للحدث المتقدم الذي تيمم بسببه وصلى، ويؤيد هذا قضية المرأة ذات المزادتين، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، وعند رجوعهم انتهى الماء عليهم، فأرسل عليا رضي الله تعالى عنه ومعه

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٨/٢٠

شخص آخر ليطلبا الماء، فذهبا يطلبان الماء، ومشيا مدة طويلة فلم يجدوا ماء، ثم وجدا ضعينة راكبة على بعير بين مزادتين، وهي امرأة من المشركين كانت على بعير لها، وعلى البعير مزادتان، أي: قربتان كبيرتان مليئتان بالماء، فسألاها: أين الماء؟ فقالت: الماء عهدي به أمس الساعة -أي: من أمس مثل هذا الوقت وأنا أمشي من عند الماء- ففكر: هل يذهبان ويبحثان عن الماء بعد أربعة وعشرين ساعة؟ فتشاورا فاقتاداها إلى رسول الله بما معها، قالا لها: إذا اذهبي معنا إلى رسول الله، فقالت: من رسول الله؟ ذاك الصابئ؟ قالا: الذي تعنين، فأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بإنزال المزادتين، ثم أخذ من كل واحدة من المزادتين جزءا في إناء، وقرأ ودعا وبرك في ذلك، وأعاد الماء الذي قرأ فيه ودعا في المزادتين، ثم نادى في الجيش: من أراد الماء ليشرب؟ من أراد ليسقي دابته؟ من أراد ليملأ وعاءه؟ فامتلأت أوعية الجيش، وشرب الناس وسقوا دوابهم، واكتفوا في كل حاجتهم من الماء.

وقد كان صلى الله عليه وسلم في صبيحة ذلك اليوم رأى رجلا معتزلا الناس لم يصل، فقال: (ما بالك لم تصل مع الناس، ألست بمسلم؟! قال: بلى يا رسول الله! ولكن أصابتني جنابة ولا ماء، قال: الصعيد وضوء المسلم)، فتيمم الرجل وصلى، فلما جيء بالمزادتين وأفاض الله على الجميع بالماء، أخذ ماء في إناء وقال: أين الرجل؟ يقصد الذي أجنب، قال: هأنا، قال: (خذ هذا فأفرغه على جسمك)، وهنا يقال: الرجل تيمم وصلى، ثم دعاه الرسول وأعطاه الماء، وأمره أن يغتسل الجنابة التي تيمم لها؛ لأنه لم يجنب جنابة جديدة، ولم نعلم ذلك، وحتى لو أجنب ما علمنا بذلك، نحن نعلم الجنابة المتقدمة فقط.

وفي تتمة هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للمرأة: (انظري ما انتقصنا من مائك شيئا، ولكن الله الذي سقانا، وقال: اجمعوا لها، فجمعوا لها ما معهم من الطعام وحملوه على المزادتين)، وذهبت إلى قومها فقالت: يا قوم! رأيت عجبا، رجلا إن كان ساحرا لهو أعظم السحرة، وإن كان نبيا لهو نبي حقا، وقصت لهم القصة، فكان الصحابة إذا أغاروا على الأحياء يتجنبون حيها إكراما لها؛ فقالت: يا قوم! والله ما ترككم القوم عجزا عنكم، ولكن إكراما لكم، فأسلموا خيرا لكم، فأسلموا.

والذي يهمنا في هذه القضية من الفقه أن الرجل تيمم وصلى، وهذه الجنابة باقية عليه، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الماء لما علم من الجنابة السابقة، وأمره أن يغتسل، ولكن هل أمره أن يعيد الصلاة؟ لا؛ لأن الوقت قد خرج.." (١)

"الرخصة لمن صلى العيد يوم الجمعة ألا يحضر الجمعة

قال المصنف رحمه الله: [وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: (صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيد، ثم رخص في الجمعة، ثم قال: من شاء أن يصلي فليصل)رواه الخمسة إلا الترمذي ، وصححه ابن خزيمة].

يأتي المصنف رحمه الله تعالى بعد بيان أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الخطبة سورة (ق) ويقرأ في الصلاة تلك السور الأربع، ببيان ما إذا اجتمع عيد الأضحى أو الفطر ويوم الجمعة، فالجمعة عيد مستقل، والأضحى والفطر عيد

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٣/٣٦

مستقل، وصلاة الجمعة مرتبطة باليوم لا تنفك عنه، فلا تصلى الجمعة في السبت أو في الخميس، فهي مرتبطة بيومها، ولكن عيد الفطر وعيد الأضحى إنما يدوران في الزمن مع القمر، فالأيام تدور دورة شمسية، والأشهر تدور دورة قمرية، فدورة الشمس في أربع وعشرين ساعة، فتأتي بالأيام وبالصلوات الخمس، ودورة القمر في فلكه تأتي بالأشهر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، وقال تعالى: ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة:١٨٩].

فهي أشهر قمرية وأيام شمسية، لا تتغير الأيام منذ خلقها الله، فالعيدان مرتبطان بالقمر، فيأتي عيد الفطر في صيف أو في شتاء أو في خريف في أي يوم من الأيام حسب الشهور، وكذلك عيد الأضحى.

وما دام العيدان متنقلين فيمكن أن يوافقا يوم الجمعة، فيجتمع عيدان: عيد الجمعة ليومها، وعيد الفطر أو عيد الأضحى لمناسبته، وكل منهما يحتاج إلى اجتماع وإلى خطبتين، وإلى صلاة ركعتين، فهل نصلي العيدين معا الجمعة والعيد الذي حضر، أو نكتفي بواحد منهما؟ فجاء المصنف بهذا الحديث ليبين ماذا يكون على الناس إذا اجتمعت الجمعة مع أحد العيدين، فقال: (صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيد ثم رخص في الجمعة).

و(ثم) للترتيب والتراخي، فصلى العيد في يوم العيد ورخص في الجمعة بعد ذلك.

قوله: (ثم رخص) الرخصة عند الأصوليين مأخوذة من المعنى اللغوي، أي: الشيء اللين، كما قال الشاعر: ومخضب رخص البنان .

ومنه الثمن الرخيص؛ لأن العيشة فيه تكون لينة، بخلاف الثمن الغالي حيث تكون شديدة، فرخص البنان: لينه، ورخص السعر لين العيش، فرخص معناه: لين وخفف في الحكم، ولذا تكون الرخصة مع الشدة، والشدة تقتضي الترخيص، ولذا حينما تقع مجاعة أو يكون الإنسان في خلاء، ويشتد عليه الجوع، ولم يجد إلا الميتة -والميتة محرمة- رخص له أن يأكل الميتة تخفيفا عليه من حكم المنع الذي يؤدي إلى وفاته.

فالرخصة: رفع حكم بحكم آخر مع بقاء الحكم الأصلي، أو: إباحة ممنوع بنص متجدد بعد المنع مع بقاء حكم المنع، كقوله تعالى: ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ [المائدة:٣] مع قوله تعالى: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ [البقرة:١٧٣]، فلما أباح الله ورخص للمضطر أكل الميتة أبقى الحكم على التحريم، وأعطى المضطر رخصة الأكل منها حتى يجد كفاف العناء، فهي في الحال محرمة، ولكن أبيح له، ولذا قالوا: الحدث يمنع الصلاة، وقد لا يجد الإنسان ماء أو قد يجده ويعجز عن استعماله، فجاء التيمم بديلا عن الوضوء، فهل التيمم يرفع الحدث الذي كان يتطلب الماء، أو أنه أباح له الصلاة مع وجود الحدث؟ فالجمهور على أنه أباح له الصلاة والدخول فيها رخصة، لكن المنع الأساسي موجود، والحدث باق، ومنهم من يقول: التيمم يرفع الحدث.

والصحيح أنه مبيح له مع بقاء الحدث، والدليل على ذلك أن رجلا كان في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل الصبح، فمضى إليه رسول الله، فقال له: ألست مسلما؟! قال: بلى يا رسول الله، ولكن أصابتني جنابة ولا ماء، ثم جاءت قضية التيمم فتيمم وصلى، فلما جيء بالمرأة ومعها المزادتان قال: أين صاحب الجنابة؟ قال: أنا.

قال: خذ فأفرغه على جسمك.

أي: من حدث سابق، فهو تيمم رخصة للصلاة، ولكن تيممه الذي صلى فيه لم يرفع عنه الحدث، بدليل: (خذ فأفرغه على جسمك).

فالرخصة: إباحة الممنوع مع بقاء حكم المنع.

فحكم الجمعة باق، ولذا من أتى الجمعة مع صلاة العيد أجزأته.

وفي بعض الروايات: (وإنا لمجمعون).

وعند مالك في الموطأ أن عثمان رضي الله تعالى عنه: اجتمع في عهده العيد ويوم الجمعة، فصلى العيد، ثم رخص لأهل العالية، وأهل العوالي كانوا يأتون يصلون الجمعة في المسجد النبوي في المدينة، فلما اجتمع العيد ويوم الجمعة في عهد عثمان رضي الله عنه صلى العيد بمن حضر، ثم رخص لأهل العوالي إذا رجعوا ألا يرجعوا مرة أخرى؛ لأن فيه مشقة في الذهاب والمجيء مرتين للعيد وللجمعة، وهنا رخص صلى الله عليه وسلم في الجمعة.

وجاء في بعض السنن أن في خلافة ابن الزبير –وكان في مكة– اجتمع العيد والجمعة فصلى العيد بالناس، ثم جاء الناس للجمعة فلم ينزل إليهم، وطلبوه للجمعة فلم يأت، وكان ابن عباس بالطائف، فلما جاء أخبروه بما فعل ابن الزبير ، فقال: أصاب السنة.." (١)

"شرح قوله صلى الله عليه وسلم: (ونور له فيه)

ثم قال: (ونور له فيه) .

لا شك أن القبر مظلم، وهو أشد ظلمة من ظلمات الدنيا، لا يأتيه ضياء ولا هواء، إلا رحمة الله، وهنا يدعو النبي صلى الله عليه وسلم لـ أبي سلمة أن ينور الله له في قبره ومن أين يأتي هذا النور؟ لا توجد شمس، والعالم كله يقول بأن الشمس هي مصدر النور، حتى القمر يقولون: يستمد ضوءه من الشمس، وقد خالف في ذلك بعض العلماء، ونحن لسنا بفلكيين في هذا الموضوع.

وقد جاء عن علي رضي الله عنه لما رتب أمير المؤمنين عمر صلاة التراويح في المسجد جماعة، وأمر بإسراج المساجد في رمضان، فدخل علي رضي الله عنه فقال: نور الله عليك قبرك يا ابن الخطاب كما نورت مساجدنا.

وتنوير القبر إنما هو من رحمة الله، فنحن لا ندري، وليس لنا طريق أن ندري كيف يكون نور القبر؟ إنما هو من رحمة الله بالعبد، وما دام أن قبره روضة من رياض الجنة فإن الجنة ليس فيها ظلام.

إذا: يأتيه النور من رحمة الله وجزاء لحسن عمله، وهو إكرام من الله مهما يكن له من عمل، وهذا النور إلى أن تقوم الساعة، ولو حسبنا كل أربعة وعشرين ساعة بدرهم لما وفى حقها، لكنها رحمة الله.

هذا هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل في جهره صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء ليسمعه الحاضرون فيتذكروا ويعلموا أن الإنسان أحوج إلى أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، وأن أخوف ما يكون عليه ضيق القبر وظلمته، كي يعمل لذلك اليوم، ويرجو في الله خيرا.

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٣/١٠٠

وقد جاء عن بعض السلف أنه كان يداوم على صلاة ركعتين من صلاة الأوابين، وهي كما قيل ما بين المغرب والعشاء، فكان يصليها بنية أن ينور الله عليه قبره.

ومهما يكن من شيء؛ فقد جاء الحديث يبين حالات غيبية من خصائص ذلك اليوم، وجاء القرآن ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ [الحديد:١٢]، وجاء الحديث: (إن أمتي يبعثون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء) وتتمة الآية: ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب ﴾ [الحديد:١٣].

إذا: الله سبحانه وتعالى ينير القبر للمؤمن، ويرزقه نورا يوم القيامة، وكذلك تنور مواطن الوضوء، نسأل الله أن يرحمنا جميعا.." (١)

"الغنى غنى النفس

وقوله عليه الصلاة والسلام: (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله)، هذا موجه لصاحب اليد السفلى، ونحن عندنا طرفان: معط وآخذ، ويدان: يد عليا ويد سفلى، فكان صدر الحديث مع (اليد العليا)، وذلك في قوله: (ابدأ بمن تعول)، وهكذا (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) موجه للمتصدق صاحب اليد العليا.

ويأتي الحديث للجانب الثاني (ومن يستعفف يعفه الله)، هل قال: (يستعفف) أو قال: (ومن يتعفف)؟ هذه الحروف الزائدة حروف استفعال، وكما يقول الزمخشري : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذه قاعدة في فقه اللغة.

فقوله: (يستعفف) أبلغ من (يتعفف) فالمعنى: أنه يتكلف العفة ولو لم يكن في شخصه عفيفا، فهو يتصنع ذلك، ويفتعل ذلك، ويحمل نفسه على العفة ولو كان محتاجا، وهو متطلع إلى الصدقة وينتظرها ولكنه لا يطاوع نفسه ويسير وراءها.

فهنا (يستعف) على وزن (يستفعل) أي: أن الفعل ليس موجودا لكنه يستجلبه، فهو يستجلب العفة لنفسه، وليحمل نفسه عن منزلة (سفلى)، لتساوي يده الأخرى في علوها، (ومن يستعفف يعفه الله).

قوله: (ومن يستغن يغنه الله)، وهذا كما في الحديث: (ليس الغنى بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) ، وكما يقول القائل: علل النفس بالقناعة وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها فالغنى والفقر في نفس الإنسان، (فعلل النفس بالغنى) أي: احملها على الغنى، (وإلا) إن لم تحملها على الغنى (طلبت منك فوق ما يكفيها)، قال عليه الصلاة والسلام: (لو أن لابن آدم واديا من ذهب لتمنى ثانيا، ولو أن له واديين من ذهب لتمنى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) .

إذا: النفس من طبيعتها التطلع، ومن جبلتها الجمع والحرص، ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ [الفجر:٢٠]، ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ [آل عمران:١٤] فهذه أمور جبلت عليها النفس.

(ومن يستغن) أي: يستجلب الغنى لنفسه (يغنه الله)، قال والدنا الشيخ الأمين رحمة الله علينا وعليه في جلسة خاصة -جزاه الله عني أحسن الجزاء- قال: يا فلان! إني متخوف خوفا شديدا، قلت: علام؟ وكنا في الرياض، وكان الملك عبد

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٢٤/١١٣

العزيز -الله يغفر له ويرحمه- يجتمع العلماء عنده كل ليلة خميس كما هو الآن، وهذه كانت عادة من زمن الملك عبد العزيز ، أنه في ليلة من الأسبوع يستقبل المشايخ، وكذلك كانت تأتي مناسبات ويبعث إليهم بهدايا، فكان -الله يغفر له ويرحمه- إذا جاءه شيء ما يمر عليه أربع وعشرون ساعة، ويقول لي: تعال يا فلان! اكتب ويحولها إلى بعض (العوائل) في مكة والمدينة.

ومرة كنت عنده أكتب أسماء العوائل، فقال: والله يا فلان! أنا خائف خوفا شديدا، قلت له: حصل خير، أنت في أمن، والحمد لله نحن في راحة وأمان، قال: عندي شيء كبير جدا، أخاف أن يذهب علي، قلت: عندك العلم؛ وأنت تبذل منه ويزيد، وما عندك مال تخاف عليه.

قال: لا لا، غير هذا، قلت: أيش هو؟ قال: أنا جئت من البلاد بكنز كبير جدا، قلت: يا شيخ! أعرف أمورك قبل أن تجيء إلى الرياض، فأين الكنز؟! قال: القناعة، كنا قانعين بما كنا فيه، ومطمئنين، والدنيا لا تساوي شيئا، وبدأت الأموال تجري في أيدينا، فأخاف أن تمتد اليد، وتنقبض عليها، ونحرص عليها، وتذهب عنا القناعة التي كنا نعتز بها، فقلت له: مثلك لا يخاف عليه، مادام كلما جاءك شيء، قلت: تعال يا عطية ! اكتب، وحول، ولا تترك عندك شيئا، فاطمئن ولا تخف من شيء.." (١)

"حكم الصوم بعرفة للحاج

هنا يبحث العلماء في يوم عرفات وفي موقف النبي صلى الله عليه وسلم هل كان صائما في هذا اليوم أو كان مفطرا؛ لأنه قد قال: (صوم يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر سنتين: السنة التي هو فيها، والسنة الماضية) وبين أن صوم يوم عاشوراء يكفر السنة التي هو فيها، قيل: لأن عاشوراء لموسى عليه الصلاة والسلام فكان يكفر سنة واحدة، وعرفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكفر سنتين.

وقد اختلف الصحابة في صومه صلى الله عليه وسلم، وكانوا لا يجرءون أن يسألوه: هل أنت صائم أو مفطر؟ فذهبوا إلى أم الفضل رضي الله عنها وسألوها، فأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم قدحا من اللبن بعد العصر، وهي تعلم أنه صلى الله عليه وسلم لا يرد ثلاثا: اللبن والريحان والوسادة، إذا كان جالسا وقدمت إليه وسادة ليتكئ عليها فإنه لا يردها، وإذا قدم إليه الريحان أو النباتات العطرية فإنه لا يردها، وإذا قدم إليه اللبن فإنه لا يرده، وإنما يأخذه ويشرب منه، فلما علمت ذلك أرسلت إليه بقدح من اللبن بعد العصر، فأخذه ورفعه على رءوس الأشهاد وشرب، فعلموا يقينا أنه مفطر وليس بصائم.

وهنا نجد أن بعض العلماء اجتهدوا وقالوا: النص قد جاء في فضل صوم يوم عرفة، وفطر النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو ليبين الجواز وليس فيه الوجوب، فمن صام وقوي على أعمال الحج ولم يقصر في واجباته فلا بأس أن يجمع بين الفضلين، ومن كان يضعفه الصوم عن أداء واجبات الحج فلا يصم وليفطر، ولكن نقول: النبي صلى الله عليه وسلم أفطر مع ما أعطاه الله من القوة البدنية، فقد كانوا إذا اشتد بهم الأمر في الحرب يحتمون بشخصه صلى الله عليه وسلم، وفي حنين

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٧/١٣٨

حينما انصرفوا ورجعوا وقف وأعلن عن نفسه، وهذا على خلاف المعتاد، فإن العادة جرت أن القائد يخفي نفسه في حالة الانهزام أو الرجوع، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي ويعلن عن نفسه: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب يعني: الذي لا يعرفني فأنا هاهنا؛ وذلك لثقته بنصر الله، ولقوته وشجاعته، فكان صلى الله عليه وسلم قد أوتي قوة ثلاثين رجلا، ومع ذلك لم يصم في عرفات، والله تعالى أعلم.

ونحن الآن إذا تأملنا نجد: أن الله سبحانه وتعالى قد خفف في التكليف الواجب؛ ليعطي الحاج وقتا لاغتنام فرصة عمره؛ لأن الحج قد لا يتيسر في العمر إلا مرة، فنجد أن الصلاة التي قال عنها سبحانه: ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ [النساء:١٠٣] أي: كل واحدة في وقتها، لكن خفف الله عز وجل فيها عن الحاج، فأذن له أن يقدم العصر مع الظهر، ويؤخر المغرب مع العشاء، ليصبح عنده نصف الزمن، فهو من زوال الشمس إلى منتصف الليل –الذي هو آخر وقت فضيلة للعشاء– غير مطالب في هذا الوقت بفرض الصلاة؛ لأنه قد انتهى منها، فقد قدم الظهر والعصر عند الزوال، وأصبح متفرغا ليس مشغولا بالعصر، وأما المغرب فقد أخرها حتى يصل إلى المزدلفة، فأعطى الله عز وجل الحاج فرصة فسيحة ليؤدي فيها واجب هذا اليوم العظيم؛ لأن يوم عرفة يوم عظيم وأنا أسميه يوم الأمة الإسلامية، العالم الآن يحتفل بأيام معينة؛ كيوم الاستقلال، ويوم النصر، ويوم الأمة، ويوم كذا ويوم كذا، ويجعلون هذا اليوم فخرا لهم، أو تذكارا لنصرتهم إلخ.

وهذا اليوم هو يوم العالم الإسلامي كله، ويكفي أن الله سبحانه اختص هذا اليوم بتمام النعمة وكمال الدين، وقد جاء رجل من اليهود إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا أمير المؤمنين! والله! إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا نزلت لجعلنا يوم نزولها عيدا، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة:٣] فقال عمر : والله! إني لأعلم متى نزلت، لقد نزلت في يوم عيد في يوم عرفة وهو عيد للمسلمين.

فهنا هذا اليوم العظيم الذي أتم الله فيه الدين وأكمل فيه النعمة لا يوازيه يوم في العام، هذا اليوم الذي يجتمع فيه العالم الإسلامي من جميع أنحاء الأرض؛ شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، يجتمعون في صعيد واحد، في لباس واحد، وفي شعار واحد ينادون: لبيك اللهم لبيك فأي وحدة للأمة أعظم من ذلك؟! ونحن الآن لو أردنا أن نعقد مؤتمرا دوليا تجتمع إليه جميع الأمم، وطلبنا من هيئة الأمم أن تجمع لمؤتمر مثل هذا المؤتمر والله! إنها ستعجز، ولكن في هذا اليوم كل يأتي بنفسه، وكما يقولون: عجبا لهذا الجمع في سرعة اجتماعه، وعجبا له في سرعة انصرافه.

قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي في هذا اليوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير) فلعظمة هذا اليوم ووجوب الاجتهاد فيه بالذكر والدعاء يحتاج إلى جهد، فإذا صمنا سننام ونعجز عن أداء أعمال هذا اليوم، وإذا غربت الشمس سيأتي الرحيل إلى مزدلفة، وهناك مشاعر أخرى، ومن بعد الفجر سيأتي الرحيل إلى منى على ما فيها من أعمال الرمي والذبح وغيرها، ومن بعد منى إلى مكة والعودة فالحاج في حركة دائبة خلال أربع وعشرين ساعة.

إذا: من حكمة التشريع ومن الرفق بالأمة أن يكون الحاج في هذا اليوم مفطرا، ثم إن من فضل الله أن من كانت له أوراد كتلاوة، أو صلاة، كان يفعلها في الإقامة وفي الصحة فسافر أو مرض وقصر عنها، فقد أمر الله ملائكته أن تكتب له مثل أعماله في الإقامة والصحة في مدة سفره ومرضه حتى يرجع ويعافى، فلم ينقص عليه من أجره شيء.

والخلاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف مفطرا وليس صائما.." (١)

"الإذن بالمبيت في مكة ليالي منى لأهل السقاية

قال المؤلف رحمه الله: [وعن ابن عمر رضي الله عنهما (أن العباس بن عبد المطلب استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت في مكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له) متفق عليه].

السقاية كانت من خصائص العباس ، والرفادة كانت خصائص تختص بها بعض قبائل قريش، فكان العباس رضي الله تعالى عنه من أصحاب السقاية، والسقاية هي: أنهم كانوا يجمعون الماء -ماء زمزم- في أحواض كبيرة من الحجر المنحوت، وكانوا يجمعون طوال السنة من الزبيب ومن التمر ما يضعونه في هذا الماء الذي يجعلونه في تلك الأحواض قبل الشرب بزمن -بست ساعات أو بعشر ساعات، أو باثنتي عشرة ساعة، أو بأربع وعشرين ساعة، ما لم يتغير ويصير نبيذا- وكان هذا يعطي ماء زمزم نوعا من الحلاوة؛ لأن بعض الناس ربما كان ماء زمزم فيه ملوحة عنده أو فيه ثقل عليه، أو أن هذا نوع من إكرام الحجيج عندهم، فكانوا يتكلفون ذلك، واستمرت سقاية العباس على الماء والتمر والزبيب، وكان بعض المتبرعين الآخرين لهم سقايات تبرعوا بها، وربما وضعوا العسل في الماء، وربما جاءوا باللبن، فسأل رجل الفضل بن العباس وقال: ما بال الناس يضعون في الماء العسل واللبن، وأنتم تضعون التمر والزبيب أمن قلة عندكم أم من بخل؟ فقال: والله! يا ابن أخي! ليس هذا من قلة عندنا ولا من بخل، ولكن أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفا أسامة بن زيد وقال: (اسقوني، فقال العباس للفضل : اذهب وائت لرسول الله بماء من عند أمك، فقال: اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس، فقال: يا رسول الله! إن هذا يضعون أيديهم فيه وهم كذا -أي: نأتي لك بماء نظيف من عند أم الفضل - فقال: اسقوني مما يشرب منه الناس، فسقاه مما يشرب منه الناس) وجاء في بعض الروايات الأخرى أنه أتى إلى بئر زمزم وقال: (امتحوا، لولا أن يغلبكم الناس لوضعت هذا على عاتقي -يعني: حبل الدلو- ومتحت معكم) ولو فعل هذا لكان كل إنسان يريد أن يفعل مثلما فعل الرسول، وكم هي الدلاء التي ستكفي الناس على هذا؟! فسحبوا له بالدلو وأعطوه الدلو فشرب منه، وهناك جاء أن العباس سقاه مما يشرب الناس من تلك الأحواض.

إذا: السقاية كانت من زمزم، وكان الأصل فيها للعباس ، وكان يحلي ماء زمزم بالزبيب وبالتمر الذي كان يجمعه طوال العام، وكان آخرون ربما وضعوا مع زمزم العسل أو اللبن، أو يسقون اللبن خالصا في ذلك اليوم، وكل ذلك كانوا يفعلونه إكراما وتوسعة على الحجيج.

---

(١) شرح بلوغ المرام، ١١/١٧٥

وحينما ينزل الناس لطواف الإفاضة كان بعضهم ربما ينزل في الليل، فكانت السقاية تحتاج إلى عمل مستمر، فإذا بات العباس في منى ربما تعطل عمل السقاية، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل عمل السقاية، فأذن له صلى الله عليه وسلم.

وهنا بحث للعلماء: هل من عمل سقاية في مكة، مثل أن يأتي بالشراب، كشراب التوت أو شراب المانجو، أو جعل سقاية كبيرة ليسقي الناس منها، فهل له ذلك؟ الجواب: قالوا: إنه لا مانع من ذلك، فإذا وسع الله على إنسان وأخذ برميلا كبيرا ووضعه في مكة حول زمزم، وكلما ينتهي برميل يأتي ببرميل آخر فيجوز له ذلك.

ونحن نرى الآن أنهم يوزعون الخبز ويوزعون الماء ويوزعون أشياء كثيرة، فلو أن إنسانا فعل ذلك خدمة للحجاج، أيحق له أن يستأذن في المبيت بمكة ليالي منى؟ وهل يؤذن له؟ وإذا بات بمكة تلك الليالي فهل يسقط عنه وجوب المبيت؟ الجواب: هناك من يقول: لا مانع قياسا على العباس ، وهناك من يقول: لا يجوز؛ لأن هذه كانت وراثة اختص بها العباس ، وليس لأحد أن يستأذن بعد ذلك، ولكن أعتقد أن في هذا تحجيرا، وقد أشرنا إلى أنه يجوز لكل من كان له عمل في خدمة الحجاج بصفة عامة، كالطبيب الذي يعمل في المستشفى في مكة، أو الفران الذي يخبز الخبز في مكة ويهيئه ويرسله إلى أهل منى، أو من نزل بمكة كأصحاب الكهرباء، وأصحاب المياه، والطوارئ، والأعمال العامة التي يحتاجها الحجاج في مكة، فلو أن صاحب هذا العمل ترخص وبات بمكة من أجل العمل الذي يخص الحجاج فنقول له: لا بأس؛ لأنها خدمة عامة، ولم ينزل لخدمته الخاصة.

ويقولون: إن ابن عمر استأذنه رجل من أجل مال له بمكة؛ لأنهم كانوا يأتون للحج وللتجارة أيضا، وكانت المزدلفة سوقا، وكان هناك سوق عكاظ ومجنة، وكانوا يأتون من الشحر وعمان ومن غيرهما ليتاجروا، وكل هذه كانت أسواقا للعرب، وإلى عهد قريب كان في منى شارع اسمه (سوق العرب) وهذه الأسواق كانت في الجاهلية، وكانوا يأتون بتجارات إلى الحج، فرجل قال لـ ابن عمر : أنا عندي مال بمكة، قال له: السنة المبيت بمنى، ولم يأذن له، فهنا نقول: لم يأذن له لإنها مصلحة خاصة به في تجارته، وأما إذا كانت في خدمة الحجاج فلا بأس في ذلك، والله تعالى أعلم.." (١)

"وجه تخصيص المساجد الثلاثة بهذه الفضائل

إذا: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) وقد جاءت نصوص تؤكد صحة الاستثناء وتبين أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي بمائة مرة، إذا: صلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بألف، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجده بمائة، إذا: الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، وصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، وجاء في الحديث الذي جمع المساجد الثلاثة: (وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة).

وهنا مبحث يرتبط بالحديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) خصت المساجد الثلاثة بجواز شد الرحل إليها، وخصت المساجد الثلاثة بمضاعفة الأجر فيها، فلماذا؟ الأرض هي أرض الله، والمساجد كلها بيوت الله، كما قال

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٧/١٨١

تعالى: (﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ [الجن:١٨] وقال سبحانه: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ [النور:٣٦] وأي مسجد في أقصى الدنيا فهو بيت الله، ولكن كما أن الله سبحانه وتعالى اختص جزءا من المسجد النبوي بأن كان روضة، وهذا جزء من الأرض بصرف النظر عن المعاني التي قيلت فيه، واختص الله سبحانه وتعالى بقع المساجد الثلاثة دون غيرها، واختص الله مكة والمدينة وفضلهما على بقية البلدان، وحتى في الزمان فإن الله قد اختص شهر رمضان وجعل ليلة فيه خيرا من ألف شهر، واختص يوم الجمعة واختص فيه ساعة، واختص يوم عرفة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس، إذا: هناك اختيار من الله وتفضيل لبعض أجزاء الكل على بعضه، فاختار ساعة من أربع وعشرين ساعة، وليلة من ليالي السنة، ويوما من أيام السنة، وشهرا من شهور السنة، وهكذا يختارها الله ويفضلها، كما اختار من بعض البشر رسلا وفضلهم على كثير من العالمين.

فقالوا: إن سبب مضاعفة الصلاة في هذه المساجد الثلاثة وجواز شد الرحل إليها لأنها هي المساجد المقطوع بعينها، ولو جئت إلى أي مسجد في العالم؛ كمسجد موسى أو مسجد هارون أو مسجد نوح فكلها خاضعة للنظر من حيث سبب تسميتها ومن قام على بنائها، وأما الثلاثة فهي مقطوع بها؛ ولأن هذه الثلاثة اشتركت في عناصر أساسية: اشتركت في كون اختيار مكانها من الله، قال تعالى: ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ [الحج:٢٦] وقال صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها مأمورة) وفي الأثر أن الله قال لداود عليه السلام: (ابن لي بيتا في بيت المقدس حيث ترى الفارس المعلم شاهرا سيفه) فالله تعالى هو الذي عين أماكن المساجد الثلاثة، ثم قام على بنائها أنبياء ثلاثة: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ [البقرة:١٢٧] ومعه إسماعيل، والمسجد النبوي بناه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، وكانوا يقولون عند البناء: لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل فكانوا يحملون الحجارة ويحمل معهم.

إذا: النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي خطط وبنى المسجد النبوي، وكذلك مسجد بيت المقدس بناه نبي الله داود، فكون اختيار المكان، وإقامة البناء والإشراف عليه من رسل الله بتوجيه من الله جعل لهذه المساجد فضيلة على غيرها.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تحريم الخمر شربا وبيعا واستعمالا

الخمر من حيث هي اسم جنس يصدق على كل ما خامر العقل، والتخمير: من الخمار وهو الغطاء على الوجه، (خمروا الإناء فإن البلاء ينزل في ليلة من السنة) ، (خمر -أي: ضع عليه الغطاء- فإن لم تجد فضع عليه عودا وقل: باسم الله) فالخمر: اسم جنس لكل ما خامر العقل، سواء كان سائلا، أوجافا، بأي نوع من الأنواع، فهو خمر في مسماه اللغوي، والشرع جعل كل ما أسكر خمرا، ولو كان لا يسكر منه إلا الكثير، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما أسكر منه ملء الفرق فملء الكف منه حرام)، وليس المراد من هذا التحديد بملء الكف، وأن خمسة كفوف، وعشرة كفوف، ليس بمسكر وليست حراما، لا، ولكن المراد: المقابلة بين الكثير والقليل، وأن الجميع محرم، فالقطرة الواحدة حرام شربا وبيعا.

---

(١) شرح بلوغ المرام، ١٠/١٨٢

كان أحد الناس يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بنبيذ وبخمر، قبل أن تحرم الخمر، وكان صلى الله عليه وسلم من عادته أن يشرب النبيذ: نبيذ الزبيب، نبيذ التمر، نبيذ كذا وكذا، من الأشياء التي تنبذ في الماء فتعطيه الحلاوة والطعم، ما لم يتخمر أو تمضي عليه أربع وعشرون ساعة، فإذا تخمر قبل أربع وعشرين ساعة لم يشربه، وإذا مضت عليه أربع وعشرون ساعة -ولو لم يختمر- تركه لغيره ولم يشربه.

فجاء ذلك الرجل بزق من الخمر، والنبي صلى الله عليه وسلم في مكان يسمونه: مسجد الفضيخ، قال: يا رسول الله! أهديت إليك هذا، قال: أما علمت أن الله قد حرمها؟ فجاء رجل وهمس في أذن صاحب الخمر، فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: ماذا قال لك؟ قال: يقول: اذهب فبعها، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله إذا حرم شيئا حرم بيعه) .

وتحريم البيع يدل على المنع، وسيأتي النقاش في منع البيع، أو منع الاستعمال.

يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن الله حرم) لو قال: إن الله حرم، فيكون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم، فيكون بوحي من الله، فالتحريم من الله ومن الرسول صلى الله عليه وسلم متلازمان، فإذا ذكر التحريم من الله فقط لزم التحريم من رسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا ذكر التحريم من رسوله صلى الله عليه وسلم فقط، لزم التحريم من الله أيضا.

(إن الله حرم بيع الخمر)، يعني: إن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حرما بيع الخمر.

وعلى هذا تكون الخمر محرمة مطلقا، شربا وبيعا واستعمالا، وقد ذكرت لكم مرة ما وقع من خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، أنه حينما انتهى من فتح الشام دخل الحمام، وبعد أن دخل الحمام ادهن أو اطلى بالنورة في مواطن الشعر، يعني استعمل النورة مزيلا للشعر، وهذا معروف عندهم، لكن النورة حارة تلهب الجلد، فأخذ العصفر، وعجنه بالخمر؛ لأن الخمر بارد، وطلى به مواضع النورة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه، فكتب إليه: يا خالد ! بلغني أنك استعملت الخمر في كذا وكذا، وقد علمت أن الله حرمها.

فكتب إليه: يا أمير المؤمنين! إني لم أشربها، ولكنني استعملتها غسولا -أغسل بها محل النورة-.

فكتب إليه مرة أخرى: لقد علمت أن الله حرم الخمر، وإذا حرم الله شيئا حرمه ظاهرا وباطنا، ولكنكم آل المغيرة فيكم جفوة، أرجو ألا تموتوا على ذلك.

فكتب إليه: قد انتهيت يا أمير المؤمنين! هذا في البداية والنهاية لـ ابن كثير ، لمن أراد أن يرجع إليه.

فهنا قول عمر : قد علمت أن الله حرمها، وإذا حرم شيئا حرمه ظاهرا وباطنا، يستعمل في الظاهر مثل الميكروكرم أو صيغة يود أو أي شيء مطهر.

(إن الله حرم بيع الخمر) إذا: نأخذ من لازم تحريم بيعها تحريم الانتفاع منها؛ لأن الذي يريد أن يأخذها ماذا يصنع بها؟ لابد أن ينتفع بها، ينتفع بماذا؟ لا يوجد إلا الشرب.." (١)

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٦/١٨٤

"عصمة الدم بإيتاء الزكاة

(ويؤتوا الزكاة)، الزكاة هي فريضة المال، والأموال الزكوية في الجملة تحت عنوان واحد: الأموال النامية.

إذا: الأموال الجامدة الصامتة التي لا نماء لها فلا زكاة فيها، وهذا في الجملة.

ما هي الأموال النامية؟ جرى الاتفاق على أن بهيمة الأنعام، وما يحصد من الزروع والثمرة، والذهب والفضة أنها أموال نامية ففيها الزكاة.

وبقي أنواع من الزروع اختلفوا فيها، كما اختلفوا في بعض الحيوانات فمن الأنواع النامية الموجودة: ما كان نماؤها مؤقت، مثل: الخضروات، فالأصل أنها نامية، ولكن ليست دائمة، ولهذا يتفقون على أن الزكاة في الحبوب الموسقة –من الوسق– والمقتاتة التي تقتنى، والخضروات لا تقتنى، فلو مضى عليها أربع وعشرون ساعة لذبلت وتلفت، والزكاة في قيمتها.

فاتفق على أصول الأموال الزكوية النامية من بهيمة الأنعام ومن الحرث والثمار المقتاتة والنقدين وما يتصرف منهما، وللزكاة فروع ولها تفصيلات أخرى فيما يتعلق بالركاز والمعادن وما شابه ذلك، وكذلك في العسل وفيما يؤخذ من البحر إلى غير ذلك، وهذه كلها فرعية في هذا الباب.." (١)

"شرح حديث: (كل سلامى من الناس عليه صدقة)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف رحمه الله: [عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة) رواه البخاري و مسلم].

هذا الحديث يمكن أن يجعل له عنوان: شكر النعمة، أو صدقة البدن، ويمكن الربط بينه وبين الحديث الذي قبله : (ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم) فيأتي النووي رحمه الله بعد هذا ليبين أن كل الصلوات وكل الصيام وكل الصدقات وما زاد عليه من الأعمال لا يؤدي شكر نعم الله على العبد.

وفي هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سلامى) لفظة : (كل) يسميها علماء المنطق والبيان سور كلي، يشمل كل سلامى في بدن الإنسان، ويختلف العلماء في تفسير السلامى، والمفصل والعضو والعظم كل ذلك جاء في الحديث النبوي، تارة (بمفصل)، وتارة (بسلامى)، وعلماء الطب القدامى ك ابن سيناء في القانون يقسم العظام إلى ثلاثة أقسام: منها ما عليه بناء الجسم كالخشبة المعترضة في بناء السفينة يقام عليها بناؤها، وهو العمود الفقري وعظام الظهر، وهناك عظام جانبية قد تكون مساعدة وقد تكون مستقلة، وعقد ثلاثا وثلاثين

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٥/٢٤

بابا في شرح العظام في جسم الإنسان، وقسمها أيضا إلى السلاميات والسمسميات وهي عظام دقيقة بين المفصل والمفصل، أو بين العظم والعظم.

والمتأمل في خلقة الإنسان يجد الآيات الباهرات لا سيما من العظام التي تستخلص من كل عاقل الاعتراف بقدرة الخالق سبحانه: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات:٢١] ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ [الانفطار:٦-٧] وفي بعض القراءات: (فعدلك) ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار:٨] ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين:٤].

إذا: خلق الإنسان من أعظم آيات القدرة الإلهية.

ومن أعظمها دلالة على القدرة الإلهية، والعلم الأزلي المحيط بكل شيء، اختلاف صورة هذا الإنسان، تجد آلاف الملايين من البشر لكل شخص طابع في وجهه خاص، مع أن القالب واحد، عينان وأنف وفم، وكل في موضعه، ولا تجد صورتين متحدتين تماما تماما، فلابد من المغايرة، فتلك الأشكال وتلك الصور آلاف الملايين، وعدم الاختلاط بعضها ببعض؛ يدل على القدرة حقا.

قوله هنا: (كل سلامى) معناه باتفاق العلماء: عظما أو مفصلا، وجاءت الأحاديث: (ثلاثمائة وستون مفصلا)، وجاءت: (ست وثلاثون سلامى) على أنها السمسميات كما يقول علماء العظام.

وقوله: (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) يذكرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بواجب حفظها وصيانتها، وبأي شيء تكون تلك الصيانة؟ هل يكون بإدخالها الورش والمستشفيات والمعامل؟ لا.

ولكن بالصدقات شكرا لله على تلك النعمة، ومهما يكن من شيء في هذا الموضوع فلا ولن يستطيع إنسان أن يؤدي شكر هذه النعمة، كما جاء في بعض الآثار، وقد جمع منها ابن رجب في شرح الأربعين نصوصا كثيرة عديدة جدا، منها: (يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقول المولى سبحانه للملائكة: زنوا عبدي بعمله وبنعمي عليه، فتقوم نعمة واحدة، نعمة البصر أو السمع تطالب بحقها من حسناته، فتستغرق جميع أعماله، فلم يبق له شيء) وعن وهب بن منبه : قال: كان رجل ممن كان قبلكم عبد الله في جزيرة في البحر خمسين سنة، فإذا كان يوم القيامة قال الله:)أدخلوه الجنة برحمتي فقد غفرت له، فيقول: يا رب! بل بعملي، وأي ذنب لي؟ فيقول: زنوا نعمي عليه بعمله، فتقوم نعمة السمع وتطالب بحقها فلم يبق له شيء، فيؤمر به إلى النار، فيقول: يا رب! أدخلني برحمتك، ثلاث مرات، فيدخله الله تعالى الجنة برحمته)وهذا الأثر في سنده كلام.

ويذكرون أن رجلا أوتي مالا كثيرا ثم أخذه الله عنه، فحمد الله وشكره، فجاء شخص آخر وقال: تحمد الله على أي شيء وقد أخذ جميع ما عندك؟ قال: أحمده على نعم له عندي، لو أعطاني ملوك الأرض عوضا عنه لا يجزئ فيه، قال: وما هو؟ قال: سمعي وبصري وحمدي لله.

ويذكرون أن رجلا بات ليلة نائما هادئا، فإذا بعرق ينبض عليه بالألم فمنعه النوم، فقيل له: كم يوازي نعمة سكون هذا العرق عليك؟ فقال: بكل ما أوتيت من مال، كأن يثور عليه ضرس أو تضرب عينه، أو أي وضع من هذه الأوضاع فيتمنى أن يسكن هذا الألم بكل ما أوتي من مال.

ولذا أول شكر النعمة: حفظ الجوارح من معصية الله، ثم زيادة على ذلك أن يصرفها في طاعة الله، في أداء الواجبات، ثم مرتبة ثالثة وهي: أن يصرفها في نوافل العبادات، سواء كانت في شخصه أو متعدية إلى غيره على ما سيأتي توضيحه من النبي صلى الله عليه وسلم.

على كل إنسان كل يوم أن يتصدق بعدد أعضاء جسمه، وتلك الصدقة هي صدقة شكر، وأي نعم أعظم على الإنسان من ذاته وشخصه؟!! وإذا اعترف الإنسان بنعم الله عليه كانت معرفته شكرا لها، كما جاء عن نبي الله موسى عليه السلام أنه قال: (يا رب! إن صليت فمن قبلك صليت، وإن صمت فمن قبلك صمت، وإن بلغت رسالتك فمن قبلك بلغت، فكيف أشكرك على نعمك؟ فأوحى الله إليه: الآن -يا موسى- شكرتني) يعني: عرفت أن صلاتك من قبلي، وأنا الذي أعنتك ووفقتك إليها، وعرفت أن صيامك من قبلي، وأن قيامك وتبليغك من قبلي، فإذا عرفت أن تلك النعم من الله فقد شكرت: ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ [النحل:٥٣]، ولذا جاء في الأثر: (من قال إذا أصبح: اللهم! ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر النعم) .

(كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم) (كل يوم) اليوم هو الزمن المحدد بأربع وعشرين ساعة في هذا العرض، أو ليلة معها نهار.

قوله صلى الله عليه وسلم: (كل يوم تطلع فيه الشمس)، معروف أن اليوم هو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس، وهو اليوم الحقيقي الفلكي ولكنه قال: (تطلع فيه الشمس) لرفع توهم اليوم اللغوي، كما تقول العرب: يوم ذي قار، وهو يوم حرب في الجاهلية، نبت فيه أجيال، أو تقول: يوم اليرموك، أي: وقعة اليرموك، وهي لم تكن في يوم واحد من مطلع شمس إلى مطلع شمس.

إذا: يحدد النبي صلى الله عليه وسلم اليوم هنا بطلوع الشمس ليرفع توهم اليوم اللغوي، ولعل التنصيص على طلوع الشمس بتحديد الوقت الفلكي الحقيقي، يبرز لنا نعمة عامة: وهي طلوع الشمس من مشرقها على عادتها، وإلا لو حجبت عن الطلوع، وجاءت من مغربها قامت الساعة، فمجيء الشمس وطلوعها كل يوم فيه إنعام على الكون كله، نباته وحيواناته وإنسه؛ لأن في طلوعها حركة وحيوية وانتشار، فيذكر بأن هذه من النعم العظمى.

ولعله يبين لنا: أننا لا نستطيع أن نأتي بالشمس فتشرق، كما قال الله : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام:٣٨]، ليس هناك طائر يطير إلا بجناحين، ولكن هذان الجناحان لو تركا للطائر ما طار، ما يمسكهن إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿ والطير صافات ﴾ [النور:٤١]، من الذي يمسك الطائر وهو صاف هكذا؟ المولى سبحانه، فيبين أن القدرة الإلهية وراء الأسباب المادية، وقد يكون لبيان عظم الفعل كقوله تعالى : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ [الكهف:٥]، لا يوجد كلمة إلا وتخرج من الفم، ولكن إكبارا واستنكارا؛ لأنهم تجرءوا عن مجرد تفكير في الخاطر حتى تكلموا به، وخرجت من أفواههم مع عظمها فقالوا: ﴿ اتخذ الرحمن ولدا ﴾ [مريم:٨٨].

سبحان الله! فقوله: (كل يوم تطلع في الشمس) بيان لنعمة الله على الخلق في هاتين الآيتين الكونيتين الليل والنهار.

قال صلى الله عليه وسلم: (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس)، وبين أن في الجسم ثلاثمائة وستين مفصلا، أي: في كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة، لو تصدق بثلاثمائة وستين تمرة لصارت كذا كيلو، وكذا صاع، وليس كل الناس يجد تمرات يأكلها في النهار، فضلا عن التصدق بهذا.

وهنا صلى الله عليه وسلم وجه الأمة إلى أفعال من الخير والبر عوضا عن تلك الصدقات المادية، كما في حديث أهل الدثور، وهنا يشترك هذا الحديث مع ذاك في بيان نوعية عمل الخير، فبين صلى الله عليه وسلم أن الصدقة ليست قاصرة على المادة، بل هناك من الصدقات المعنوية ما تفوق المادة في عظمها وفي أجرها قال الله: ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ [البقرة:٢٦٣]، فليس كل نفقة في المال قد تنفع صاحبها .." (١)

"ثم هناك شكر مستحب، وهو أن يأتي بأنواع الصدقات المستحبة: القولية، والعملية، والمالية، وأن يأتي بنوافل العبادات المتنوعة، فإذن الصدقات نوعان: واجبة، ومستحبة، فالواجبة: هي أن تستعمل الآلات في الطاعة، وأن تبتعد بها عن الحرام، فإذا فعلت ذلك فقد أديت شكر تلك الآلات.

قال -عليه الصلاة والسلام-: (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ((كل يوم تطلع فيه الشمس (كلمة "يوم" قد تأتي في النصوص وفي اللغة ويراد بها أكثر من يوم، فيكون عدة أيام إذا كان يجمعها شيء واحد، كما أنه يقال: ساعة، وقد تكون ساعات كثيرة، وهذا له فوائده المعروفة في اللغة، والبلاغة.

المقصود: قال هنا: (كل يوم تطلع فيه الشمس (فلما قيده بـ (تطلع فيه الشمس (علمنا أن الوجوب يوما، يعني: كل يوم من طلوع الشمس إلى طلوعها المرة الأخرى، يعني: كما نقول في كل أربع وعشرين ساعة يجب عليك تجاه هذه النعمة، وهي نعمة البدن: المفاصل، العظام -أن تشكر الله -جل وعلا- عليها .

فمثل -عليه الصلاة والسلام- بقوله: (تعدل بين اثنين صدقة ("تعدل" يدخل في العدل الحكم بينهما بالعدل، يدخل في ذلك الصلح فيما يصلح به كما قال: ((((((((((((((((((((((((((((((((((((((٢٣٧) وأشباه ذلك من الأعمال الخيرة.

قال: (وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة (الإعانة في كل ما يحتاج إليه هذا من أنواع الصدقات: تعينه في سيارته، تعينه في إصلاح شيء فيها، تعينه في الإركاب، تساعد كبير السن أو المحتاج... إلى آخره، كل هذا من أنواع الصدقات التي يحصل بها شيء من شكر نعمة المفاصل والعظام.

قال: (والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة (وهذا واضح (وتميط الأذى عن الطريق صدقة (هذه أمثلة متنوعة للصدقات اللازمة والمتعدية، وجاء في رواية، ويجزئ من ذلك في الصحيح: (ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما المرء من الضحى (."(٢)

"ومعنى ذلك : أنه ليس قبل تسع سنوات حيض ، وإنما قال : " نساء الحجاز" وخصهن لمكان الحرارة فالنساء في المناطق الحارة أعجل بالحيض من المناطق الباردة ، الشاهد أنه دل الأثر والطبع والشرع على قوة هذا القول ، ومن هنا قالوا

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٢/٥٨

(٢) شرح الأربعين النووية، ص/٢٠٨

ما قبل التسع محكوم بكونه دم فساد وعلة ، بعد أن عرفنا أن أقل سن تحيض فيه المرأة هو تسع سنين إذا بلغت الجارية تسع سنين ورأت الدم فإنها يحكم ببلوغها إذا خرج معها الدم ، كما يحكم ببلوغ الرجل إذا أنزل المني فإذا رأت الدم وهي بنت تسع سنين وانقطع دون أكثر الحيض يعني مضى معها الدم عشرة أيام وانقطع مكث معها الدم تسعة أيام وانقطع .. ثمانية أيام سبعة أيام ستة أيام وانقطع فإنها حائض مدة هذا الدم ، وبمجرد خروج الدم منها تحكم ببلوغها مكلفة فلو قتلت تقتل ، ولوحصل منها ما يحصل من البالغ من التكاليف بعد خروج الدم معها حكم ببلوغها وأخذت حكم البالغ .

فهذا فائدة ما ذكرناه من كون العلماء :

يبحثون مسألة ما هو أقل الحيض حتى يرتبوا ويبنوا على ذلك أن ما عجل وما سبق هذا الأمد لا يحكم فيه بكونه دم حيض ، ولا يأخذ حكم دم الحيض إذا مكث معها الدم كما قلنا ستة أيام أو سبعة أيام أو ثمانية أيام أو عشرة أيام وانقطع فلا إشكال .

لكن المشكلة الآن عندنا لو أنه خرج معها الدم وهي بنت تسع سنين دفعة واحدة : يعني حاضت وخرج معها الدم دفعة واحدة خلال ثلاث دقائق ثم انقطع ، أو خرج معها الدم نصف يوم وانقطع ، أو خرج معها الدم أربعة وعشرين ساعة أوخرج يوما وليلة وانقطع ، أو خرج معها يومين وانقطع ، أو خرج معها ثلاثة أيام وانقطع .

يرد السؤال : ما هو أقل الحيض .. ؟؟

هل لدم الحيض هي بالغة الآن تحكم بكونها بالغة بشرط أن تجاوز أقل الحيض يعني هل للحيض حد أقلي أم أن كل دم تراه وهي بنت تسع سنين يحكم بكونه حيضا ؟." (١)

"المسألة كما ذكر العلماء-رحمهم الله-وهي مسألة ما هو أقل الحيض ؟؟ هل للحيض حد أقلي أو ليس له حد أقلي وإذا كان له حد أقلي فما هو ؟؟

فائدة ذلك : أنها إذا بلغت سن الحيض ورأت الدم إن كنت تشترط أمدا معينا فتقول لا أحكم بكونها حائضا ولا بالغا إلا إذا جاوزت هذا الحد الأقلي .. مثال بعض العلماء يقول : أقل الحيض يوم وليلة وهو مذهب الشافعية والحنابلة يقولون أنه ما قل عن اليوم والليلة فليس بحيض البتة ولو جاء حتى في زمن الحيض فليس بحيض فإذا بلغت تسع سنين عند هؤلاء لا يحكم ببلوغها بمجرد رؤية الدم وإنما ينتظرون حتى تتم أربعا وعشرين ساعة والدم يجري معها فإذا أتمت هذا الحد الذي هو اليوم والليلة والدم يجري معها حكم ببلوغها بمجاوزة الدم للأربع وعشرين ساعة ، وتكون بالغة بمجرد خروج الدم منها ؛لكن ينتظرون الحكم إلى استتمام أقل أمد الحيض وإلا فهي بالغة منذ انفجار الدم منها .

قال بعض العلماء في هذه المسألة : ليس للحيض حد أقلي فإذا بلغت تسع سنين ورأت الدم وهو زمن الحيض فإنها حائض وليس عندي حد أقلي لأقل الحيض ، هذا مذهب المالكية وطائفة من السلف ، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والظاهرية أيضا يقولون بهذا القول أنه ليس لأقل الحيض حد معتبر .

وقال بعض العلماء : لأقل الحيض حد معتبر وهو اليوم والليلة هذا القول الثاني للشافعية والحنابلة ، ويقولون ما قل عن

---

(١) شرح الترمذي للشنقيطي، ١٢/٥٦

اليوم والليلة فليس بحيض .

والحنفية يقولون : أقل الحيض ثلاثة أيام فلو أن المرأة حاضت يوما أو يومين فليست بحائض ، لو أن المرأة جرى معها الدم ليوم أو يومين فليست بحائض لابد عندهم ثلاثة أيام متتابعة يجري معها الدم.." (١)

"وقال صلى الله عليه وسلم: إنَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ سَاعَةً يَعْتِقُ الله في كُلِّ سَاعَةٍ مِنْها ستُّمائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ) قال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ الله تَعَالَى يَعْتِقُ سِتُّمَائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلَيْلَةُ الجُمُعَةِ، وَيَوْم الجُمُعَةِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، فِي كُلِّ سَاعةٍ سِتُّمَائَةِ أَلفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ» وفي لفظ آخر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ لله فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنْيَا سِتَّمائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ يَعْتِقُهُمْ كُلُّهُم قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وفي يَوْمِ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَرْبَع وَعِشْرُونَ سَاعَةً، لَيْسَ فِيهَا سَاعَةٌ إلاَّ ولله عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ ساعة سِتَّمائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، كُلُّهُمُ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّار». وقال الغزالي: وفي الخبر أن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الجَحِيمَ تُسَعَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَبْلَ الزَّوالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ فَلاَ تُصَلُّوا، فِي هاذِهِ السَّاعَةِ إلاّ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ صَلاَةٌ كُلُّهُ وإنَّ جَهَنَّمَ لا تُسَعَّرُ فِيهِ».

.)"(٢)

"يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: وعن كعب بن عجرة الأنصاري -رضي الله تعالى عنه- قال: حملت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ((ما كنت أرى أظن الوجع بلغ بك ما أرى)) لكن هل القمل وجع وإلا سبب الوجع؟ وهنا يكون من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب ((ما كنت أرى)) يعني أظن الوجع بلغ بك ما أرى، أتجد شاة؟ الوجع مع القمل، القمل هل هو وجع أو مسبب للوجع أو مسبب عن الوجع؟ يعني هل من الأمراض والأوجاع ما يوجد بسببه القمل، أو أن القمل يوجد ابتداء من غير مرض ولا وجع، ثم ينشأ عنه الوجع؟

طالب:........

أنتم لا تنظرو إلى الظروف التي تعيشونه، نِعم وتيسر أسباب، انظروا إلى بعض المجتمعات تجدوا أن القمل بهذه المثابة، لا عندهم وسائل تنظيف، ولا عندهم... شغلوا بما هو أهم من فلي الرأس، أو فلي الثوب، هذا معروف حتى عند العرب، والرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يفلل -عليه الصلاة والسلام-، مثل الظروف التي نعيشها عندك الوقت أربعة وعشرين ساعة تصرف فيها كما شئت؛ لكن كانت الظروف إلى وقت قريب والناس على عاداتهم وعلى سجيتهم، لا يستحم إلا لموجب صحيح، فيكثر فيهم مثل هذه؛ لكن يبقى السؤال الأصلي وهو لا شك أن القمل يوجد مع ترك النظافة في الجملة، يكثر ويقل بسببها؛ لكن هل هو ناشئ عن وجع في البدن، أو يكون مسبباً لوجع؟ لأن التنصيص على أنه: ((ما كنت

---

(١) شرح الترمذي للشنقيطي، ١٣/٥٦

(٢) تنقيح القول الحثيث في شرح لباب الحديث، ص/٥٣

أرى الوجع)) يعني هل النبي -عليه الصلاة والسلام- استدل بكثرة القمل على وجود وجع عنده بسبب القمل؟
طالب:........." (١)

"الشيخ (الشرح) : الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . يقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى بعد ظهور الفتن والمراد بظهورها كثرتها وإلا وجودها فمتقدم منذ أن قتل الخليفة الراشد بل كسر الباب بقتل عمر رضي الله عنه يعني أصل الوجود متقدم وجود الفتن لكن المراد بظهورها أي كثرتها يعني كثرة الفتن نسأل الله السلامة والعافية . من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ، يقول الإمام رحمه الله تعالى حدثنا العياش بن الوليد البصري قال حدثنا عبد الأعلى يعني ابن عبد الأعلى السامي قال حدثنا معمر بن راشد عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يتقارب الزمان) يختلف أهل العلم في المراد بتقارب الزمان فمنهم من يقول باعتدال الليل والنهار يتساوى الليل والنهار في آخر الزمان لكن هذا فيه بعد ، ومنهم من يقول يتقارب يعني يدنوا قرب قيام الساعة يعرى الكلام عن الفائدة ، منهم من يقول تكثر الليالي والأيام قصور هذا قول لكنه أيضا ضعيف لأن اليوم والليلة منذ أن خلق الله السماوات والأرض منذ أن فصل بين الليل والنهار ووقتهما وزمانهما واحد المجموع أربع وعشرون ساعة ، منهم من يقال المراد بتقارب الزمان تسارع انقراض الدول تنقرض دولة ويأتي بعدها أخرى وتنقرض الثانية والثالثة وهكذا . انظر لكثرة الفتن وهذا يتمثل في الانقلابات الحاصلة في كثير من الدول ولكن أيضا هذا القول ضعيف لأنه لا يعني أن جيل ينتهي ويأتي جيل أخر أو أمة تذهب ويخلفها غيرها أن هذا من تقارب الزمان ، منهم من يقول المراد قصر الأعمار لكن أعمار هذه الأمة منذ بعثة نبيها عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة متقاربة ما تركوا المنايا بين الستين والسبعين ، قليل من يجاوز ذلك .." (٢)

"البحر

ثم الجواب عن وجه الحكمة في تعيين هذه الأعداد أنه يجب علينا أولا أن نتمثل في ذلك وإن خفي علينا وجهه لأن كلام النبي لا يخلو عن حكم وثانيا نقول بما أوقع الله تعالى في قلوبنا من أنواره التي يتجلى بها في الغوامض وهو أن الاختلاف في هذه الأعداد الظاهر أنه بحسب اختلاف الأحوال والأزمان والأشخاص فيمكن أن يقال في الذكر مرة إنها أدنى ما يقال لأنها ما تحتها شيء وفي الست إن الأيام ستة فمن ذكر ست مرات فكأنه ذكر في كل يوم منها مرة فتستغرق أيامه ببركة الذكر وفي العشر كل حسنة بعشر أمثالها بالنص وفي إحدى عشرة كذلك ولكن زيادة الواحدة عليها للجزم بتحقق العشرة وفي خمس وعشرين إن ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فمن ذكر خمسا وعشرين فكأنما ذكر في كل ساعة من ساعات الليل والنهار والواحد الزائد للجزم بتحققها وفي ثلاث وثلاثين إنها إذا ضوعفت ثلاث مرات تكون تسعا وتسعين فمن ذكر بثلاث وثلاثين فكأنما ذكر الله بأسمائه التسعة والتسعين التي ورد بها الحديث وفي سبعين إنه إذا ذكر الله بهذا العدد

---

(١) شرح بلوغ المرام (كتاب الحج) عبد الكريم الخضير، ص/١٠٤

(٢) شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري/عبد الكريم الخضير، ص/٣٣

يحصل له سبعمائة ثواب لكل واحد منها عشرة وقد صرح بذلك في حديث زميل الجهني وقد ذكرناه وفي مائة القصد فيها المبالغة في التكثير لأنها الدرجة الثالثة للأعداد." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٥٦ """""""

في

((صحيحه)) .

وحسنه الترمذي .

وله طرق متعددة ، قد ذكرناها في ((شرح الترمذي)) .

وفي رواية للنسائي : ((وغدا وابتكر)) .

وفي بعض رواياته : ((ومشى ولم يركب)) .

وظاهر الحديث : يدل على تقسيم يوم الجمعة إلى اثني عشر ساعة ، وأن الخطبة والصلاة يقعان في السادسة منها .

ومتى خرج الخطيب طوت الملائكة صحفها ، ولم يكتب لأحد فضل التبكير ، وهذا يدل على أنه بعد الزوال لا يكتب لأحد شيء من فضل التبكير إلى الجمعة بالكلية .

وظاهر الحديث : يدل على تقسيم نهار الجمعة إلى اثني عشر ساعة مع طول النهار وقصره ، فلا يكون المراد به الساعات المعروفة من تقسيم الليل والنهار إلى أربعة وعشرين ساعة ؛ فإن ذلك يختلف باختلاف طول النهار وقصره .

ويدل على هذا : حديث جابر ، عن النبي (، قال : ((يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد

العصر)) .

خرجه أبو داود والنسائي بإسناد كلهم ثقات .

وظاهره : يدل علي أن ساعة الإجابة جزء من هذه الاجزاء الاثني عشر المتساوية في جميع فصول السنة .

وزعم بعض الشافعية : أنه ليس المراد بالساعات في التبكير الأربع والعشرون ، بل ترتيب الدرجات ، وفضل السابق على الذي يليه ، لئلا." (٢)

"وهؤلاء حملوا الساعات على ساعات النهار المعهودة ، وهو الظاهر المتبادر إلى الفهم .

وأما ذكر الرواح ، فعنه جوابان :

أحدهما : أنه لما كان آخر الساعات بعد الزوال ، وهو رواح حقيقي ، سميت كلها رواحا ، كما يسمى الخارج للحج والجهاد حاجا وغازيا قبل تلبسه بالحج والغزو ؛ لأن امره ينتهي إلى ذلك .

والثاني : أن الرواح هنا اريد به القصد والذهاب ، مع قطع النظر عن كونه قبل الزوال أو بعده .

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤١٦/٩

(٢) فتح الباري . لابن رجب موافقا للمطبوع، ٣٥٦/٥

قال الأزهري وغيره : الرواح والغدو عند العرب يستعملان في السير ، أي وقت كان من ليل أو نهار ، يقال : راح في أول النهار وآخره ، وغدا بمعناه .

وأما التهجير ، فيجاب عنه ، بأنه استعمل في هذا المعنى بمعنى التبكير –أيضا – لا بمعنى الخروج في الهاجرة .

وقيل : أنه ليس من الهاجرة ، بل من الهجرة ، والمراد بها : هجر الأعمال الدنيوية للسعي إلى الجمعة .

وقد دل على استحباب التبكير من أول النهار حديث أوس بن أوس ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((من اغتسل يوم الجمعة وغسل، وبكر وابتكر ، ودنا واستمع كان له بكل خطوة يخطوها اجر سنة صيامها وقيامها)).

خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في

((صحيحه)) .

وحسنه الترمذي .

وله طرق متعددة ، قد ذكرناها في ((شرح الترمذي)) .

وفي رواية للنسائي : ((وغدا وابتكر)) .

وفي بعض رواياته : ((ومشى ولم يركب)) .

وظاهر الحديث : يدل على تقسيم يوم الجمعة إلى اثني عشر ساعة ، وأن الخطبة والصلاة يقعان في السادسة منها .

ومتى خرج الخطيب طوت الملائكة صحفها ، ولم يكتب لأحد فضل التبكير ، وهذا يدل على أنه بعد الزوال لا يكتب لأحد شيء من فضل التبكير إلى الجمعة بالكلية .

وظاهر الحديث : يدل على تقسيم نهار الجمعة إلى اثني عشر ساعة مع طول النهار وقصره ، فلا يكون المراد به الساعات المعروفة من تقسيم الليل والنهار إلى أربعة وعشرين ساعة ؛ فإن ذلك يختلف باختلاف طول النهار وقصره .

ويدل على هذا : حديث جابر ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد

العصر)) .

خرجه أبو داود والنسائي بإسناد كلهم ثقات .

وظاهره : يدل علي أن ساعة الإجابة جزء من هذه الاجزاء الاثني عشر المتساوية في جميع فصول السنة .

وزعم بعض الشافعية : أنه ليس المراد بالساعات في التبكير الأربع والعشرون ، بل ترتيب الدرجات ، وفضل السابق على الذي يليه ، لئلا يستوي في الفضيلة رجلان جاءا في طرفي ساعة .

ورد ذلك آخرون منهم ، وقالوا : من جاء في أول ساعة من هذه الساعات وآخرها مشتركان في تحصيل أصل البدنة أو البقرة أو الكبش مثلا ، ولكن بدنة الأول أو بقرته أكمل مما للذي جاء في آخرها ، وبدنة المتوسط متوسطة .

وهذا هو الأقرب ، وعليه يحمل الحديث الذي خرجه عبدالرزاق ، عن ابن." (١)

---

(١) فتح الباري لابن رجب، ١٥٨/٦

"وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان. وقال أبو ذر، لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق.

باب كيف يكون الرجل في أهله

يعنى مراسم جسكى ساته قائم هووكى اوسكانبها وجب تك وجه انقطاع قائم نهو.

٦٠٠٥ - قوله: (أنا وكافل اليتيم) وقد مر أنه من باب قوله: «المرء مع من أحب»، إلا أنه يرشد إلى خصوصية زائدة، مع الكافل.

٦٠٠٦ - قوله: (الساعي على الأرملة) والوجه فيه أنه جعل أوقاته معمورة من السعي عليها، فجوزي بأن كتب له أجر من جعل أوقاته معمورة بالعبادة، فكان كالصائم القائم لا يفتر.

٦٠١١ - قوله: (تعاطفهم) مهربانى.

٦٠٢٧ - قوله: (وليقض الله)... إلخ. وله شرحان: الأول: أن اشفعوا أنتم، سواء أقبل منكم أو لا؛ والثاني: أن ما بلغكم من التعليم، فهو تعليم إلهي.

٦٠٣١ - قوله: (ترب جبينه) وهذا كما تقول الأم لولدانها بالهندية: ناك ركر.

٦٠٣٧ - قوله: (يتقارب الزمان) قيل: المراد به قلة البركة في الأيام. وقيل: الزمان: الساعة، وتقاربها دنوها، أي تدنو الساعة. وقيل: المراد به قصر الزمان في نفسه، فتكون ساعتنا اليوم أقصر مما كانت فيما مضى، وبهذا الحساب فليقس اليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة. لا يقال: إن مقدار اليوم الآتي أيضا بأربع وعشرين ساعة، كما كان، فلو حملنا التقارب على قصر الأيام في أنفسها، لزم أن تكون الأيام في زماننا بعشرين ساعة، مثلا، لأنا نقول: المراد من قصر الأيام قصر الساعات أيضا ولو كان باعتبار الكمية، لا قصرها بمعنى نقصانها، من حيث العدد.

---." (١)

" ٧٧٢٢ - (ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله في كل ساعة منها ست مئة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار) أي نار التطهير ويحتمل إجراؤه على إطلاقه بأن يوفق من شاء من الكفار لأن يسلم

(الخليل) في مشيخته (عن أنس) بن مالك ." (٢)

"٣٨٠

ثم قال " يحيي ويميت " يعني " يحيي " للبعث " ويميت " في الدنيا " وهو على كل شيء قدير " من الإحياء والإماتة

ثم قال عز وجل " هو الأول " يعني الأول قبل كل أحد " والآخر " بعد كل أحد " والظاهر " يعني الغالب على كل شيء

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ١٥٩/٧

(٢) فيض القدير، ٣٩٥/٥

" والباطن " يعني العالم بكل شيء

ويقال " هو الأول " يعني مؤول كل شيء " والآخر " يعني مؤخر كل شيء " والظاهر " يعني المظهر " والباطن " يعني المبطن

ويقال هو " الأول " يعني خالق الأولين " والآخر " يعني خالق الآخرين " والظاهر " يعني خالق الآدميين وهم ظاهرون " والباطن " يعني خالق الجن والشياطين الذين لا يظهرون

ويقال " هو الأول " يعني خالق الدنيا " والآخر " يعني خالق الآخرة

" والظاهر والباطن " يعني عالم بالظاهر والباطن

ويقال " هو الأول " بلا ابتداء " والآخر " بلا انتهاء

" والظاهر والباطن " يعني منه نعمة ظاهرة باطنة

ويقال هو " الأول والآخر والظاهر والباطن " يعني هو الرب الواحد

ثم قال " وهو بكل شيء عليم " يعني من أمر الدنيا والآخرة

قوله عز وجل " هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش " قد سبق ذكره " يعلم ما يلج في الأرض " يعني ما يدخل في الأرض من الماء والكنوز والموات " وما يخرج منها " من النبات والكنوز والأموات " وما ينزل من السماء " وهو المطر والثلج والرزق والملائكة " وما يعرج فيها " يعني ما يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد والأرواح " وهو معكم أينما كنتم " يعني عالما بكم وبأعمالكم أينما كنتم في الأرض " والله بما تعملون بصير " فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا

ثم قال عز وجل " له ملك السموات والأرض " وقد ذكرناه " وإلى الله ترجع الأمور " يعني إليه عواقب الأمور

ثم قال عز وجل " يولج الليل في النهار " يعني يدخل الليل في النهار يعني إذا جاء الليل ذهب النهار

" ويولج النهار في الليل " يعني يدخل النهار في الليل فإذا جاء النهار ذهب الليل

ومعنى آخر يعني يدخل زيادة الليل في النهار حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات

ويدخل زيادة النهار في الليل حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبدا أربع وعشرون ساعة

ثم قال عز وجل " وهو عليم بذات الصدور " يعني بما في القلوب من الخير والشر

سورة الحديد ٧." (١)

" الأوقات المحسوبة وتحقيقه أن الحساب إحصاء ما له كمية انفصالية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٣/٣٨٠

قد تحصل كل من ذلك من أربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد إحصائه بتكرير أمثاله من غير اعتبار أن يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر فى السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير أسامى مراتب الأعداد وحكم مستقل أضيف إليها العدد وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والألوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدودة نفعا وحيث اعتبر فى الأوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها أسام خاصة وأحكام مستقلة علق بها الحساب المنبيء عن ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به الحساب وإنما الذى يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة أعنى حيثية تحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فإن ذلك وظيفة الحساب بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير أن يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا وإن لم تتحد الجهة أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل أمرا آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذى اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب

ما خلق الله ذلك أى ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الأحوال وفيه إيذان بأن معنى جعلهما على تلك الأحوال والهيئات ليس إلا خلقهما كذلك كما أشير إليه ولا يقدح فى ذلك أن استفادة القمر النور من الشمس أمر حادث فإن المراد بجعله نورا إنما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائط الاتصاف به بالفعل

إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم أحوال الفاعل أو المفعول أى ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الأشياء إلا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة أو مراعى فيه ذلك وهو ما أشير إليه إجمالا من العلم بأحوال السنين والأوقات المنوط به أمور معاملاتهم وعباداتهم

يفصل الآيات أى الآيات التكوينية المذكورة أو جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا أوليا أو يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرىء بنون العظمة

لقوم يعلمون الحكمة فى إبداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون مبدعها جل وعلا أو يعلمون ما فى تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لأنهم المنتفعون به

سورة يونس آية ٦ إن فى اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر إجمالى على ما ذكر أى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض أو فى تفاوتهما فى أنفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قربا وبعدا بحسب الأزمنة أو فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة إما فى الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب ." (١)

" فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار نعبده فيها حق عبادته ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر وفاته الشطر الباطن لإتصاف قلبه بالجمود وبعده في العباد والتلاوة

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢١/٤

عن لين القلوب والجلود كما قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا ويتميز به عنهم فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة والذوق الصحيح والفراسة الصادقة والمعرفة التامة والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها

فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ولقائه بذوق الإيقان لنعبده كأننا نراه كما جاء في الحديث ". (١)

"العشرون

سئلت عمرة الفرغانية – وكانت من كبار العارفات – ما الحكمة في أن الجنب والحائض منهيان عن قراءة القرآن دون التسمية فقالت لأن التسمية ذكر اسم الحبيب والحبيب لا يمنع من ذكر الحبيب الحادية والعشرون قيل في قوله الرحيم هو تعالى رحيم بهم في ستة مواضع في القبر وحشراته والقيامة وظلماته والميزان ودرجاته وقراءة الكتاب وفزعاته والصراط ومخافاته والنار ودركاته الثانية والعشرون كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم وأوصى أن تجعل في كفنه فقيل له أي فائدة لك فيه فقال أقول يوم القيامة إلهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة والعشرون قيل بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وفيه فائدتان إحداهما أن الزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بأسهم بهذه الحروف التسعة عشر الثانية خلق الله تعالى الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه الحروف التسعة عشر تقع كفارات للذنوب التي تقع في تلك الساعات التسعة عشر الرابعة والعشرون لما كانت سورة التوبة مشتملة على الأمر بالقتال لم يكتب في أولها بسم الله الرحمن الرحيم وأيضا السنة أن يقال عند الذبح باسم الله والله أكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم لأن وقت القتال والقتل لا يليق به ذكر الرحمن الرحيم فلما وفقك لذكر هذه الكلمة في كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب وإنما خلقك للرحمة والفضل والإحسان والله تعالى الهادي إلى الصواب

الكلام في سورة الفاتحة وفي ذكر أسماء هذه السورة وفيه أبواب

الباب الأول

اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى – فالأول فاتحة الكتاب سميت بذلك الاسم لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء والثاني سورة الحمد والسبب فيه أن أولها لفظ الحمد والثالث أم القرآن والسبب فيه وجوه – الأول أن أم الشيء أصله والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الإلهيات وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله إياك نعبد

(١) العقود الدرية، ص/٣١٤

وإياك نستعين يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات." (١)

"للتسبيح فصار هو في أربع وعشرين ساعة مسبحا فصار من الذين لا يفترون طرفة عين وأما في أوقاته فما تقدم أيضا أن الأول والآخر والوسط هو المعتبر فشرع التسبيح في أول النهار وآخره وأما الليل فاعتبر أوله ووسطه كما اعتبر أول النهار ووسطه وذلك لأن الظهر وقته نصف النهار والعشاء وقته نصف الليل لأنا بينا أن الليل المعتبر هو المقدار الذي يكون الإنسان فيه يقظان وهو مقدار خمس ساعات فجعل وقته في نصف هذا القدر وهو الثلاثة من الليل وأما أبو حنيفة لما رأى وجوب الوتر كان زمان النوم عنده أربع ساعات وزمان اليقظة بالليل ثمان ساعات وأخر وقت العشاء الآخرة إلى الرابعة والخامسة ليكون في وسط الليل المعتبر كما أن الظهر في وسط النهار وأما النبي (صلى الله عليه وسلم) لما كان ليله نهارا ونومه انتباها قال (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك وتأخير العشاء إلى نصف الليل) ليكون الأربع في نصف الليل كما أن الأربع في نصف النهار وأما التفصيل فالذي يتبين لي أن النهار اثنتا عشرة ساعة زمانية والصلاة المؤداة فيها عشر ركعات فيبقى على المكلف ركعتان يؤديهما في أول الليل ويؤدي ركعة من صلاة الليل ليكون ابتداء الليل بالتسبيح كما كان ابتداء النهار بالتسبيح ولما كان المؤدى من تسبيح النهار في أوله ركعتين كان المؤدى من تسبيح الليل في أوله ركعة لأن سبح النهار طويل مثل ضعف سبح الليل لأن المؤدى في النهار عشرة والمؤدى في الليل من تسبيح الليل خمس

المسألة الثانية في فضيلة السبحلة والحمدلة في المساء والصباح ولنذكرها من حيث النقل والعقل أما النقل فأخبرني الشيخ الورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب مسندا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال لبعض أصحابه (أتعجز عن أن تأتي وقت النوم بألف حسنة فتوقف فقال النبي عليه السلام قل سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرة يكتب لك بها ألف حسنة) وسمعته يقول رحمه الله مسندا (من قال خلف كل صلاة مكتوبة عشر مرات سبحان الله وعشر مرات الله أكبر أدخل الجنة) وأما العقل فهو أن الله تعالى له صفات لازمة لا من فعله وصفات ثابتة له من فعله أما الأولى فهي صفات كمال وجلال خلافها نقص فإذا أدرك المكلف الله بأنه لا يجوز أن يخفى عليه شيء لكونه عالما بكل شيء فقد نزهه عن الجهل ووصفه بضده وإذا عرفه بأنه لا يعجز عن شيء لكونه قادرا على كل شيء فقد نزهه عن العجز وإذا علم أنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء لكونه مريدا لكل كائن فقد وصفه ونزهه وإذا ظهر له أنه لا يجوز عليه الفناء لكونه واجب البقاء فقد نزهه وإذا بان له أنه لا يسبقه العدم لاتصافه بالقدم فقد نزهه وإذا لاح له أنه لا يجوز أن يكون عرضا أو جسما أو في مكان لكونه واجبا بريئا عن جهات الإمكان فقد نزهه لكن صفاته السلبية والإضافية لا يعدها عاد ولو اشتغل بها واحد لأفنى فيها عمره ولا يدرك كنهها فإذا قال قائل مستحضرا بقلبه سبحان الله متنبها لما يقوله من كونه منزها له عن كل نقص فإتيانه بالتسبيح على هذا الوجه من الإجمال يقوم مقام إتيانه به على سبيل التفصيل لكن لا ريب في أن من أتى بالتسبيح عن كل واحد على حدة مما لا يجوز على الله يكون قد أتى بما لا تفي به الأعمار فيقول هذا العبد أتى بتسبيحي طول عمره ومدة بقائه فأجازيه بأن أطهره عن كل ذنب وأزينه بخلع الكرامة وأنزله بدار المقامة مدة

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١/١٤٤

لا انتهاء لها وكما أن العبد ينزه الله في أول النهار وآخره ووسطه فإن الله تعالى يطهره في أوله وهو دنياه وفي آخره وهو عقباه وفي وسطه وهو حالة كونه في قبره الذي يحويه إلى أوان حشره وهو مغناه وأما الثانية وهو صفات الفعل فالإنسان إذا نظر إلى خلق الله السموات يعلم أنها نعمة وكرامة." (١)

"ثم ذلك في بدر وقوله تعالى: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فلذا تعالى لا يستعجل وهم يستعجلون فيوم الله بألف سنة، وأيامهم بأربع وعشرين ساعة فإذا حدد تعالى لعذابهم يوما معناه أن العذاب لا ينزل بهم إلا بعد ألف سنة، ونصف يوم بخمسمائة سنة، وربع يوم بمائتين وخمسين سنة وهكذا فلذا يستعجل الإنسان ويستبطىء، والله عز وجل ينجز وعده في الوقت الذي حدده فلا يستخفه استعجال المجرمين العذاب ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ من سورة العنكبوت هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ أي مدينة كبرى ﴿أمليت لها﴾ أي أمهلتها وزدت لها في أيام بقائها والحال أنها ظالمة بالشرك والمعاصي ثم بعد ذلك الإملاء والإمهال أخذتها ﴿وإلي المصير﴾ أي مصير كل شيء ومرده إلي فلا إله غيري ولا رب سواي فلا معنى لاستعجال هؤلاء المشركين العذاب فإنهم عذبوا في الدنيا أو لم يعذبوا فإن مصيرهم إلى الله تعالى وسوف يجزيهم بما كانوا يكسبون الجزاء العادل في دار الشقاء والعذاب الأبدي وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس[١] إنما أنا لكم نذير مبين﴾ ، فلست بإله ولا رب بيدي عذابكم إن عصيتموني وإنعامكم إن أطعتموني، وإنما أنا عبد مأمور بأن أنذر عصاة الرب بعذابه، وابشر أهل طاعته برحمته، وهو معنى الآية (٥٠) [٢] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمه أنهم تركوا الشرك والمعاصي لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم عند ربهم وهو الجنة دار النعيم ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[٣]﴾ أي عملوا جادين مسرعين في صرف الناس عن آيات الله حتى لا يؤمنوا بها ويعملوا بما فيها من هدي ونور معاجزين لله يظنون أنهم يعجزونه والله غالب على أمره ناصر دينه وأوليائه، أولئك البعداء في الشر والشرك أصحاب الجحيم الملازمون لها أبد الآبدين.

---

١ النداء لأهل مكة خاصة وللبشرية عامة إذ هو صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس كافة والنذير: المخوف. عقوبة الشرك والشر والفساد.

٢ أي: ظانين أنهم يعجزوننا فلم نقو عليهم ولم نقدر على أخذهم لأنهم مكذبون بالبعث الآخر وما فيه من حساب وجزاء على الكسب في هذه الدنيا.

٣ ومما يزيد تفسير هذه الآية وضوحا قوله صلى الله عليه وسلم: "مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، وكذبت طائفة فهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق".." (٢)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب - موافق للمطبوع، ٩٣/٢٥

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٨٥/٣

"و كل ما ذكر حث للعقلاء على العمل الصالح النافع في الدنيا والآخرة ، ودفع إلى الجد وعدم الكسل.

فقه الحياة أو الأحكام :

دلت الآيات على ما يأتي :

١- إن اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص ، وتعاقبهما ، وضوء النهار وظلمة الليل ، دليل على وحدانية الله تعالى ووجوده وكمال علمه وقدرته.

٢- ودورة الليل والنهار تعرفنا بعدد السنوات والأشهر والأيام المتماثلة ، وتعلمنا حساب المدة المكونة من طوائف ومجموعات ، كالسنة المكونة من اثني عشر شهرا ، والشهر من ثلاثين يوما ، واليوم من أربع وعشرين ساعة.

٣- النهار وقت مناسب للعمل والحركة والتقلب في الأرض لكسب المعايش وتحصيل الأرزاق.

٤- كل إنسان معلق بعمله ، وعمله مختص به ولازم له ، خيرا أو شرا.

٥- إن كتاب الإنسان وسجله الذي يلقاه أمامه يوم القيامة حافل بكل ما قدم وما أخر. وكفى بالإنسان محاسبا لنفسه. قال الحسن البصري : يقرأ الإنسان كتابه أميا كان أو غير أمي.

٦- كل أحد إنما يحاسب عن نفسه لا عن غيره ، فمن اهتدى فثواب اهتدائه له ، ومن ضل فعقاب كفره عليه.

٧- إقرار مبدأ المسؤولية الشخصية عدلا من الله ورحمة بعباده ، فلا يحمل

ج ١٥ ، ص : ٣٩

أحد ذنب أحد ، ولا يجني جان إلا على نفسه. قال ابن عباس عن آية :

ولا تزر وازرة وزر أخرى : نزلت في الوليد بن المغيرة قال لأهل مكة :

اتبعوني ، واكفروا بمحمد ، وعلي أوزاركم ، فنزلت هذه الآية. ومعناها : أن الوليد لا يحمل آثامكم ، وإنما إثم كل واحد عليه.

أما ما روي عن عائشة رضي الله عنها في الرد على ابن عمر حيث قال النبي في حديث رواه الشيخان : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله » فلا وجه لإنكارها وتخطئتها إذ لا معارضة بين الآية والحديث فإن الحديث محمول على ما إذا كان النوح من وصية الميت وسنته وبسببه ، كما كانت الجاهلية تفعله ، حتى قال طرفة : ." (١)

"الشمس والقمر بحسبان [الرحمن ٥٥/ ٥] أي يجريان بحساب مقنن مقدر ، لا يتغير ولا يضطرب ، بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا ، كما قال تعالى : هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب [يونس ١٠/ ٥] وقد جمع الله في هذه الآية ثلاث آيات سماوية ، كما جمع في آية فالق الإصباح ... ثلاث آيات أرضية وهي : فلق الصبح والتذكير به للتأمل في صنع الله بإفاضة النور الذي هو مظهر جمال الوجود ، وجعل الليل ساكنا ، نعمة من الله ليستريح الجسد ، وتسكن النفس ، وتهدأ من التعب العمل بالنهار ، وجعل الشمس والقمر حسبانا ، تحقيقا لحاجة الإنسان إلى معرفة حساب الأوقات من

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥/٣٦

أجل العبادات ، والمعاملات ، والتواريخ.

ومن المعروف فلكيا أن للأرض دورتين : دورة تتم في أربع وعشرين ساعة لحساب الأيام ، ودورة تتم في سنة ضمن فصول أربعة ، لحساب السنة الشمسية.

---

(١) أي قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم.

ج ٧ ، ص : ٣٠٧

ذلك تقدير العزيز العليم أي الجميع حاصل بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف ، الغالب على أمره ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، والمقدر له بموجب الحكمة : إنا كل شيء خلقناه بقدر [القمر ٥٤/ ٤٩]. ويلاحظ أن الله تعالى يذكر كثيرا خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، ثم يختم الكلام بالعزة والعلم.

ثم أوضح تعالى فائدة النجوم ، فقال : وهو الذي جعل لكم النجوم ..." (١)

"ج ٢ ، ص : ٣٥٨

المفردات :

آيتين علامتين دالتين على القدرة فمحونا آية الليل.

أى : جعلنا آية الليل ممحوة لا نور فيها عدد السنين والحساب يقول العلامة الشوكانى في كتابه فتح القدير في تفسير الآية : « والفرق بين العدد والحساب أن العدد إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله كالسنة المكونة من ٣٦٥ يوما ، والحساب إحصاء ماله كمية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص فالسنة مثلا إن نظرنا لها من ناحية أنها أيام فقط فذلك العدد ، وإن نظرنا لها من حيث تكونها من شهور اثنى عشر وكل شهر ثلاثون يوما مثلا وكل يوم أربع وعشرون ساعة فذلك هو الحساب » طائره عمله المقدر له ولعل السر في ذلك أن العرب كانوا يتشاءمون ويتباشرون بالطير عند طيرانه فكانوا يستدلون بالطير على الخير والشر والسعادة والشقاوة وكانت لهم علوم ومعارف في ذلك قال شاعرهم :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبى إذا الطير مرت

ولما كثر منهم ذلك سموا نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه وقال أبو عبيدة عن علماء اللغة : الطائر عند العرب : الحظ والمقدر للشخص من عمر ورزق وسعادة وشقاوة كأن طائرا يطير إليه من وكر الأزل ، وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ، ولا غاية إلى أن ينتهى إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص ، وقوله تعالى : في عنقه كناية عن لزوم ذلك له لزوم القلادة للعنق إن كان خيرا أو الغل للعنق إن كان شرا وزر الوزر الحمل والثقل والمراد الإثم مترفيها

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٣١٨/٧

متنعميها وأترفته النعمة أطغته.

وهذا سيل آخر من بيان نعمه وفضله وفيه بيان لهداية القرآن وبشارته.." (١)

"التاسعة : أن نوحا A لما ركب السفينة قال : ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ [هود : ٤١] فنجا بنصف هذه الكلمة ، فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة؟ العاشرة : الناس ثلاثة : سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه . فقال : الله للسابقين ، الرحمن للمقتصدين ، الرحيم للظالمين . الله معطي العطاء ، الرحمن المتجاوز عن زلات الأولياء ، الرحيم الساتر لعيوب الأغنياء . يعلم منك ما لو علمه أبواك لفارقاك ، ولو علمت المرأة لجفتك ، ولو علمت الأمة لأقدمت على الفرار ، ولو علم الجار لسعى في تخريب الدار . الله يوجب ولايته ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ [البقرة : ٢٥٧] الرحمن يستدعي محبته ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم : ٩٦] الرحيم يفيض رحمته ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب : ٤٣] هو رحيم بهم في ستة مواضع : في القبر وحسراته ، والقيامة وظلماته ، وقراءة الكتب وفزعاته ، والصراط ومخافاته ، والنار ودركاته والجنة ودرجاته .

الحادية عشرة : مر عيسى عليه السلام بقبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا ، فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور . فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فأوحى الله تعالى إليه : يا عيسى ، كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته إلى الكتاب فلقنه المعلم « بسم الله الرحمن الرحيم » فاستحييت من عبدي أن أعذبه بناري في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على ظهر الأرض .

الثانية عشرة : كتب عارف « بسم الله الرحمن الرحيم » وأوصى أن تجعل في كفنه . فقيل له في ذلك؟ فقال : أقول يوم القيامة : إلهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه « بسم الله الرحمن الرحيم » فعاملني بعنوان كتابك .

الثالثة عشرة : « بسم الله الرحمن الرحيم » تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر ، فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر .

الرابعة عشرة : اليوم بليلته أربع وعشرون ساعة ، ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فبقي التسعة عشرة ساعة لا تستغرق بذكر الله تعالى ، وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة .

الخامسة عشرة : لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » وأيضا السنة أن يقال عند الذبح : « بسم الله والله أكبر » ولا يقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب وإنما خلقك للرحمة والثواب .." (٢)

"« من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه » وخالف مالك . وإن كثر أفطر . ولو جامع ناسيا للصوم فالأصح أنه لا يبطل كما في الأكل . ولو أكل على ظن أن الصبح لم يطلع بعد ، أو أن الشمس قد

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣٥٨/٢

(٢) تفسير النيسابوري، ٢١/١

غربت وكان غالطا لم يجزئه صومه على الأشهر لأنه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن . ثم إن كان الصوم واجبا قضى ، وإن كان تطوعا فلا قضاء . والأحوط في آخر النهار أن لا يأكل إلا بعد تيقن غروب الشمس لأن الأصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد أو غيره ، فالأصح جواز الأكل ، وقد أفطر الناس في زمان عمر ثم انكشف السحاب وظهرت الشمس . وأما في أول النهار فيجوز الأكل بالظن والاجتهاد إلى طلوع الفجر لأن الأصل بقاء الليل ، فإن قيل : إن أول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي مقدما عليه؟ فيجاب إما بأن المسألة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في أمثالها وإما بأنا نتعبد بما يطلع عليه . ولا معنى للصبح إلا بظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل ، وإذا كان الشخص عارفا بالأوقات ومنازل القمر ، وكان بحيث لا حائل بينه وبين مطلع الفجر وترصد فمتى أدرك فهو أول الصبح المعتبر ، وحينئذ يحرم المفطرات وعن الأعمش أنه يحل الأكل والشرب والوقاع إلى طلوع الشمس قياسا لأول النهار على آخره . وجعل الخيط الأبيض وقت الطلوع والخيط الأسود ما اتصل به من آخر الليل . ومن الناس من قال : لا يجوز الإفطار إلا عند غروب الحمرة ، كما أنه لا يجوز الأكل إلا إلى طلوع الفجر . وهذه المذاهب قد انقرضت ، والفقهاء أجمعوا على بطلانها . يحكى عن الأعمش أنه دخل عليه أبو حنيفة يعوده فقال له الأعمش : إنك لثقيل على قلبي وأنت في بيتك فكيف إذا زرتني؟ فسكت عنه أبو حنيفة ، فلما خرج قيل له : لم سكت عنه؟ قال : ماذا أقول في رجل ما صام ولا صلى في دهره عنى أنه كان يأكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له ، وكان لا يغتسل من الإكسال فلا صلاة له . واعلم أن في الآية ترتيبا عجيبا ونسقا أنيقا وذلك أن الرفث لما كان من أشنع الأمور التي يجب الإمساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس إنه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الإخبار . قدم إباحته أولا ثم بين السبب في إباحته ، ثم وبخ المختانون في شأنه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ، ثم أعيد ذكر إباحته ليترتب عليه الغرض الأصلي من الرفث وهو طلب النسل ، وليعطف عليه إباحة الأكل والشرب جميع ذلك إلى آخر جزء من أجزاء الليل ، ثم لما بين مدة الإفطار وما أبيح فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الأصلي تلك المدة هي ما بقي من مدة الإفطار إلى تمام أربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته ، أعني من أول الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، ثم لما كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لأنه فهم من الآية أن الإمساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر أيام السنة ولياليها عقب إباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بخطره في حال الاعتكاف فقيل ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ قال الشافعي : الاعتكاف حبس المرء نفسه على شيء برا كان أو إثما .." (١)

" فصل الخطاب فعلى المفهوم مناللسان بالحساب القمرى أن ليلة الاحد سلخ الله تعالى منها نهار الاربعاء وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس ومن ليلة الثلاثاء نهار الجمعة ومن ليلة الاربعاء نهار السبت ومن ليلة الخميس نهار الاحد ومن ليلة الجمعة نهار الاثنين ومن ليلة السبت نهار الثلاثاء فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاث نهارات فكانت ستة وهى نشأتك ذات الجهات فالليالى منها للتحت والشمال والخلف والنهارات منها للفوق واليمين

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤٤٨/١

والامام فلا يكون الانسان نهارا ونورا تشرق شمسه وتشرق به ارضه حتى ينسلخ من ليل شهوته ولا يقبل على من لا يقبل الجهات حتى يبعد عن جهات هيكله وإنما نسبوا هذه النسبة من جهة الاشتراك فى الشأن الظاهر لستر الحكمة الالهية على يد الموكلين بالساعات وفى اليوم الايلاجى الشانى يعتبرون ليلا ونهارا أيضا وهو عندهم أربع وعشرون ساعة قد اتحد فيها الشأن فلم ينبعث فيها إلا معنى واحد ويتنوع فى الموجودات بحسب استعداداتها ولهذا قال سبحانه : كل يوم هو فى شأن ولم يقل فى شؤون وتنوينه للتعظيم الظاهر باختلاف القوابل وتكثير الأشخاص فإذا ساعات ذلك اليوم تحت حكم واحد ونظر وآل واحد قد ولاء من لا يكون فى ماكه إلا ما يشاء وتولاه وخصه بتلك الحركة وجعله اميرا فى ذلك والمتصرف الحقيقى هو الله تعالى لا هو من حيث هو فاليوم الشأنى ما كانت ساعاته كلها سواء ومتى اختلت فليس بيوم واحد ولا يوجد هذا فى أيام التكوير وكذا فى ايام السلخ إلا قليلا فطلبنا ذلك فى الأيام الإيلاجية فوجدناه مستوفى فيه وقد أرسل سبحانه آية الايلاج ولم يقل : يولج الليل الذى صبيحته الأحد فى الأحد ولا النهار الذى مساؤه ليلة الاثنين فى الاثنين فإذا لا يلتزم أن ليلة الأحد هى ليلة الكور ولا ليلة السلخ وإنما يطلب وحدانية اليوم من أجل احدية الشأن فلا ينظر إلا إلى اتحاد الساعات والحاكم المولى من قبل المولى الأحد الايلاجى مركبة من الساعة الأولى من ليلة الخميس والثانية منها والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الجمعة والثامنة من ليلة السبت والتاسعة منها والرابعة من يون السبت والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الأحد فهذه ساعات ليله

وأما ساعات نهاره من ايام التكوير فالأولى من يوم الأحد والثامنة والثالثة من يوم الاثنين والعاشرة منه والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الثلاثاء والثانية من يوم الثلاثاء والتسعة منه والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأربعاء فهذه اربعة وعشرون ساعة ظاهرة كالشمس ليوم الأحد الايلاجى الشانى كلها كنفس واحدة لأنها من معدن واحد وهكذا تقول فى سائر الأيام حتى تكمل سبعة ايام متميزة بعضها من بعض مولجه بعضها فى بعض نهارها في ليلها وليلها فى نهاره لحكمة التوالد والتناسل وذلك كسريان الحكم الواحد فى الأيام ويظهر ذلك من ايام التكوير

وقد ذكر مولانا الشيخ الأكبر قدس سره الشأن فى كل يوم فى رسالته المسماة بالشأن الالهى ولعلى إن شاء الله تعالى أذكر ذلك عند قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن وهذه الأيام ايضا غير يوم المثل وهو عمر الدنيا ويوم الرب ويوم المعارج ويوم القمر ويوم الشمس ويوم زحل ويوم الحمل ولكل كوكب من السيارات والبروج يوم وقد ذكر كل ذلك فى الفتوحات وإنما تعرضنا لهذا المقدار وإن كان الاستقصاء فى بيان مشرب القوم ليس بدعا فى هذا الكتاب تعليما لبعض طلبة العلم ما الليل والنهار إذ قد ظنوا لجهلهم بسبب بحث جرى بنا الظنون وفى هذا كفاية لمن القى السمع وهو شهيد فحمدا لك اللهم على ما علمت ولك الشكر على ما أنعمت ." (١)

" معلوم عند الله تعالى كما نزل بالامم قبلهم ورجوع إلى الحث على الاتباع بعد الاستطراد الذي قاله البعض

---

(١) روح المعاني، ١١٧/٣

وقد روعي نكتة في تعقيبه تحريم الفواحش حيث ناسبه أيضا وفسر بعضهم الأجل هنا بالمدة المعينة التي أمهلوها لنزول العذاب وفسره آخرون بوقت الموت وقالوا : التقدير ولكل أحد من أمة وعلى الأول لا حاجة إلى التقدير فاذا جاء أجلهم الضمير كما قال بعض المحققين إما للأمم المدلول عليها بكل أمة وإما لكل أمة وعلى الأول فاظهار الأجل مضافا إلى ذلك الضمير لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيؤه إياها بواسطة اكتساب الأجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كأنه قيل : إذا جاء آجالهم بأن يجيء كل واحد من تلك الأمم أجلها الخاص بها وعلى الثاني وهو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة لافادة أكمل التمييز وقرأ ابن سيرين آجالهم بصيغة الجمع واستظهرها ابن جني وجعل الافراد لقصد الجنسية والجنس من قبيل المصدر وحنه الاضافة إلى الجماعة والفاء قيل : فصيحة وسقطت في آية يونس لما سنذكره إن شاء الله تعالى هناك والمراد من مجيء قربه أو تمامه أي إذا حان وقرب أو انقطع وتم لايستأخرون عنه ساعة قطعة من الزمان في غاية القلة وليس المراد بها الساعة في مصطلح المنجمين المنقسمة إلى ساعة مستوية وتسمى فلكية هي زمان مقدار خمس عشرة درجة أبدا ومعوجة وتسمى زمانية هي زمان مقدار نصف سدس النهار أو الليل أبدا ويستعمل الأولى أهل الحساب غالبا والثانية الفقهاء وأهل الطلاسم ونحوهم وجملة الليل والنهار عندهم أربع وعشرون ساعة أبدا سواء كانت الساعة مستوية أو معوجة إلا أن كلا من الليل والنهار لا يزيد عى اثنتي عشرة ساعة معوجة أبدا ولهذا تطول وتقصر وقد تساوي الساعة المستوية وذلك عند استواء الليل والنهار والمراد لا يتأخرون أصلا وصيغة الاستغفار للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون

٤٣

- أي ولا يتقدمون عليه

والظاهر أنه عطف على ولا يستأخرون كما أعربه الحوفي وغيره واعترض بأنه لا يتصور الاستقدام عند مجيئه فلا فائدة في نفيه بل هو من باب الاخبار بالضروري كقولك : إذا قمت فيما يأتي لم يتقدم قيامك فيما مضى وقيل : إنه معططوف على الجملة الشرطية لا الجزائية فلا يتقيد بالشرط فمعنى الآية لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ولكل أمة أجل لا يستقدمون عليه وتعقبه العلامة السالكوتي بأنه لا يخفى أن فائدة تقييد قوله تعالى لايستأخرون فقط بالشرط غير ظاهرة وإن صح بل المتبادر الى الفهم السليم ما تقدم وفيه تنبيه على أن الأجل كما يمتنع التقدم عليه بأقصر مدة هي الساعة كذلك يمتنع التأخر عنه وإن كان ممكنا عقلا فان خلاف ما قدره الله تعالى وعلمه محال والجمع بين الأمرين فيما ذكر كالجمع بين من سوف التوبة إلى حضور الموت ومن مات على الكفر في نفي التوبة عنه في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ولعل هذا مراد من قال إنه عطف على الجزاء بناء على أن يكون معنى قووله تعالى : لايستأخرون ولا يستقدمون لا يستطيعون تغييره على نمط قووله تعالى ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب وقولهم : كلمته فما رد على سوداء ولا بيضاء فلا يرد ما قيل وأنت خبير بأن هذا المعنى حاصل بذكر الجزاء بدون ذكر ولا يستقدمون والحق العطف على الجملة الشرطية وفي شرح المفتاح القيد إذا جعل جزأ ." (١)

---

(١) روح المعاني، ١١٣/٨

" ذكر هاهنا بعض نعمه على المكلفين وهي ما يستدل به على وجوده ووحدته وقدرته وعلمه وحكمته بإتقان صنعه في هذين النيرين المتعاقبين على الدوام بعدما ذكر قبل هذا إبداعه للسموات والأرض واستواءه على العرش وغير ذلك والضياء قيل : جمع ضوء كالسياط والحياض وقرأ قنبل عن ابن كثير ﴿ ضياء ﴾ بجعل الياء همزة مع الهمزة ولا وجه له لأن ياءه كانت واوا مفتوحة وأصله ضواء فقلبت ياء لكسر ما قبلها قال المهدوي : ومن قرأ ضئاء بالهمزة فهو مقلوب قدمت الهمزة التي بعد الألف فصارت قبل الألف ثم قلبت الياء همزة والأولى أن يكون ضياء مصدرا لا جمعا مثل قام يقوم قياما وصام يصوم صياما ولا بد من تقدير مضاف : أي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور إلا أن يحمل على المبالغة وكأنهما جعلا نفس الضياء والنور قيل : الضياء أقوى من النور وقيل : الضياء هو ما كان بالذات والنور ما كان بالعرض ومن هنا قال الحكماء : إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس قوله : ٥ - ﴿ وقدره منازل ﴾ أي قدر مسيره في منازل أو قدره ذا منازل والضمير راجع إلى القمر ومنازل القمر : هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وهي معروفة ينزل القمر في كل ليلة منها منزلا لا يتخطاه فيبدو صغيرا في أول منازله ثم يكبر قليلا قليلا حتى يبدو كاملا وإذا كان في آخر منازله رق واستقوس ثم يستتر ليلتين إذا كان الشهر كاملا أو ليلة إذا كان ناقصا والكلام في هذا يطول وقد جمعنا فيه رسالة مستقلة جوابا عن سؤال أورده علينا بعض الأعلام وقيل : إن الضمير راجع إلى كل واحد من الشمس والقمر كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾ وفي قول الشاعر :

(نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف)

وقد قدمنا تحقيق هذا فيما سبق من هذا التفسير والأولى رجوع الضمير إلى القمر وحده كما في قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ ثم ذكر بعض المنافع المتعلقة بهذا التقدير فقال : ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ فإن في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم والسنة تتحصل من اثني عشر شهرا والشهر يتحصل من ثلاثين يوما إن كان كاملا واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار قد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ثم بين سبحانه أنه ما خلق الشمس والقمر واختلاف تلك الأحوال إلا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالإشارة بقوله : ﴿ ذلك ﴾ إلى المذكور قبله والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ومعنى تفصيل الآيات تبيينها والمراد بالآيات التكوينية أو التنزيلية أو مجموعهما وتدخل هذه الآيات التكوينية المذكورة هنا دخولا أوليا في ذلك قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب ﴿ يفصل ﴾ بالتحتية وقرأ ابن السميفع تفصل بالفوقية على البناء للمفعول وقرأ الباقون بالنون واختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الأولى ولعل وجه هذا الاختيار أن قبل هذا الفعل ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ وبعده ﴿ وما خلق الله في السموات والأرض ﴾ ." (١)

---

(١) فتح القدير، ٦١٥/٢

"المقدس على البراق ومن بيت المقدس إلى السماء الدنيا على المعراج ومنها إلى السماء السابعة على جناح الملائكة ومنها إلى السدرة على جناح جبريل ومنها إلى العرش على الرفرف والظاهر أن النزول كان على هذا الترتيب.

وقال بعض الأكابر من أهل الله أنه أسري به إلى السدرة على البراق وأياما كان فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر إلى أسفل منه فإذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم حتى لا ينظروا إلى العلامات ولا يتفكروا في ملكوت السموات ولولا ذلك لرأوا العجائب أي أدركوها ونزل عليه السلام إلى بيت المقدس وتوجه إلى مكة وهو على البراق حتى وصل إلى بيته الأشرف بالحرم المكي الأحمى بحجر الكعبة العظيمة أو إلى بيت أم هاني كما يدل عليه ما يجيء من تقرير القصة وكان زمان ذهابه ومجيئه ثلاث ساعات أو أربع ساعات.

وفي كلام السبكي أن ذلك كان قدر لحظة ولا بدع لأن الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء.

. روي . في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين قدس الله سرهما أن له وردا في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة.

يقول الفقير : قال شيخي وسندي قدس سره في الكلام عليه : إن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمس وثلاثون ألف ختمة لأنه إما أن ينبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر وأما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطا إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة إليها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القاري هذا فإنه صدق وقد كوشف لي هكذا وقد صدقته وقبلته وهذا سر عظيم انتهى كلام الشيخ ، وقد ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس أي عظمه وسعته ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم أن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وهي جزء من ستين جزأ من الدقيقة والدقيقة جزء من ستين جزأ من الدرجة وهي جزء من خمسة عشر جزأ من الساعة فإذا كانت هذه السرعة ممكنة للجماد فكيف لا يمكن لأفضل العباد إذا أراد رب البلاد والله تعالى قادر على جميع الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة في جسد النبي عليه السلام أو فيما يحمله.

قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره قد ذهب عليه السلام وجاء ولم يتم ماء إبريقه انصبابا ومن كان مؤمنا لا ينكر المعراج ولكن وقوع السير المذكور في مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر وأما عند التحقيق فلا إشكال ألا يرى أن في الوجود الإنساني شيئا لطيفا أعني القلب يسير من المشرق إلى المغرب بل جميع العوالم في آن واحد وهو بديهي لا ينكره من له أدنى تمييز حتى البله والصبيان أفلا يجوز أن تحصل تلك اللطافة لوجود النبي صلى الله عليه وسلم بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع منه في الزمن اليسير :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٠٢

راه زانداره برون رفته

ى نتوان بردكه ون رفته

عقل درين واقعه حاشا كند

عقل نه حاشا كه تمنا كند

. روي . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من ليلته قص القصة على أم هانىء وقال : "إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بذلك" فقالت : أنشدك الله أي بفتح الهمزة أي أسألك بالله ابن عم أي يا ابن عمي أن لا تحدث أي لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك فلما كان الغداة تعلقت بردائه فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدها وانتهى إلى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وأولئك النفر مطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال : "إني صليت العشاء" أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت "في هذا المسجد وصليت به الغداة" أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت وإلا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة

١٢٥

". (١)

"﴿له ملك السماوات والارض﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى : ﴿وإلى الله ترجع الامور﴾ على البناء للمفعول من رجع رجعا أي رد ردا وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمعنى إليه تعالى وحده لا إلى غيره استقلالا واستراكا ترد جميع الأمور فاستعدوا للقائه باختيار أرشد الأمور وأحسنها عند الله.

س تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بابداء دارد وثاني باعاده.

ولذا قرن بالأول يحيي ويميت وبالثاني ما يكون في الآخرة من رد الخلق إليه وجزائه إياهم بالثواب والعقاب وفيه إشارة إلى أنه له ملك علوم السموات الروحانية وهي العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيلي الأسباب لعباده المخلصين بـءفاضته عليهم وله أيضا ملك العلوم السرمية الكسبية الأرضية بالسعي والاجتهاد للعلماء بإفاضة توفيق الكسب والاجتهاد فأمور العلوم الكشفية والكسبية ترجع إلى عناية الله الأزلية والأبدية ﴿يولج اليل فى النهار﴾ الإيلاج الإدجال يعني از زمان شب درروز افزايد.

حتي يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات ﴿ويولج النهار فى اليل﴾ يعني از زمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبدا أربع وعشرون ساعة قال في فتح الرحمن : فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة وذلك بحر من بحار الكفرة لمن تأمله ﴿وهو عليم﴾ أي مبالغ في العلم ﴿بذات الصدور﴾ أي بمكنوناتها اللازمة لها من الأسرار والمعتقدات وذلك أغمض ما يكون وهو بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه في نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها وفي الآية إشارة إلى أنه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة في نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل ما يصدر من أصحاب ليل النفوس من السيئات ومن أرباب نهار الأرواح من الحسنات لا يفوته منهما شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما : اسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها فإذا علقت على المقاتل في الصف لم ينفذ إليه حديد كما في فتح الرحمن ﴿بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين﴾ روي أن

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٥/٩٥

الآية نزلت في غزوة ذي العشيرة وهي غزوة تبوك وفي عين المعاني يحتمل الزكاة والنفقة في سبيل الله والمعنى جعلكم الله خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الإنفاق فإن من علم أنهاوأنه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها إلى ما عينه اللهمن المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تخلوا به قال الشاعر :

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٤٤

ويكفيك قول الناس فيما ملكته

لقد كان هذا مرة لفلان

فلا بد من إنفاق الأموال التي هي للغير وستعود إلى الغير فكما أن الإنفاق من مال الغير يهون على النفس إذا أذن فيه صاحبه فكذا من المال الذي على شرف الزوال :

٣٥٣

مكن تكيه بر ملك واه وحشم

كه يش ازتو بودست وبعد ازتوهم

خورووش وبخشاى وراحت رسان

نكه مى هـ دارى زبهر كسان

بخيل توانكر بدينار وسيم

طلسم است بالاى كنجى مقيم

از ان سالهامى بماند زرش

كه لرزد طلسم نين بر سرش

بسكن اجل ناكها بشكنند

بآسودكى كنج قسمت كنند

كتاب روح البيان ج٩ متن

الهام رقم ٣٨ من صفحة ٣٥٤ حتى صفحة ٣٦٣

﴿فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به.

وقال الكاشفي : ونفقه كردندمال خودرا بزكاة وجهاد وسائر خيرات ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ مزدى بزرك وثوابي عظيم كه جنت ونعيم است.

قال في فتح الرحمن : الإشارة فيه إلى عثمان رضي الله عنه وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.
." (١)

"أما الترتيل فهو تؤدة وتأن وتمهل قال في "القاموس" ورتل الكلام ترتيلا أحسن تأليفه وترتل فيه ترسل انتهى.
وهو مختارورشو عاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن أقل من ثلاث لم يفهمه وفي قوت القلوب أفضل القراءة الترتيل لأن فيه التدبر والتفكر وأفضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان في صلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة أي سرعة وعن النبي عليه السلام إنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفي كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا أفهما ولا يكون قلبي فيها لم أعدلها ثوابا وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه أعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر قال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من اليل ويرتل القرآن كما أمر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون إن ما يجدونه في قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والأنوار من قرب الرب من القلب وفي الحديث :
٢٠٥
"يؤتى بقارىء القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقل اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها" ولكون المقصود من أنزل القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوي شرع الإنصات لقراءة القرآن وجوبا في الصلاة وندبا في غيرها وللقارىء أجر وللمستمع أجران لأنه يسمع وينصت أو يسمع بإذنيه يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدي القرض ولذا قالوا استماعه أثوب من تلاوته.
(
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٠٣
وفي سلسلة الذهب للمولى الجامي) :
صرف او كن حواس جسماني
وقف أو كن قواي روحاني
دل بمعنى زبان بلفظ سار
شم برخط ونقط وعجم كذار
كوش از ومعدن جواهركن
هوش از ومخزن سر آثركن
در اد ايش مكن زبان كج مج
حرفهايش إذا كن از مخرج
دورباش ازتهتك وتعجيل

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٢٨٩/٩

كام كيراز تأمل وترتيل

وأما الحدر فهو الإسراع في القراءة كما روى إنه ختم القرر في ركعة واحدة أربعة من الأمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد ابن جبير وأبو حنيفة رضي الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة أخرى وفي "القاموس" وأبو الحسن علي بن عبد الله بن ساذان بن البتني كعربي مقرىء ختم في النهار أربع ختمات إلا ثمنا مع فهام التلاوة انتهى.

وأما ما روى في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين رضي الله عنه من أن له وردا في اليوم والليلة سبعين أف ختمة فمعناه أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمصة وثلاثون ألف ختمة لأنها إما أن تنبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر وأما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطا إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة أيامها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القارىء وهذا أي الحذر مختار ابن كثير وأبي عمر ووقالون.

وأما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائي وهذا كله إنما يتصور في مراتب المدود وفي الحديث : "رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه" وهو متناول لمن يخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو إنه جلى وخفي فالجلي خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بأن بدل حرفا مكان حرف بأن يقول مثلا الطالحات بدل الصالحات وبالأعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به أم لا كما إذا قرأ الله بريىء من الشمركين ورسوله بجر رسوله والخفي خط يخل بالعرف والضابطة كترك الإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك ولا شك إن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه القعبا الشديد وإنما فيه اليهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراآت في غير

٢٠٦

محلها لا يتصور أن يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها وفي بعض شروح الطريقة ومن الفتنة أن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب أن يعلم مقدار ما يصح به انظم والمعنى ويتوغل في الإخلاص وحضور القلب.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٠٣

لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت

شود از تو حضور خاطر فوت

فكر حسن غنا برد هوشت

متكلم شود فراموشت

لعنت است اين كه سازدت ى سيم

روز وشب با مير وخواجه نديم

لعنت است اين كه همت توتمام

كنت مصروف لفظ وحرف وكلام

نقد عرمت زفكرت معوج

خرج شد در رعايت مخرج

صرف كردى همه حيات سره

در قرآآت سبعه وعشره

همنين هره از كلام اخدا

جزخدا قبله دلست ترا

". (١)

"قرأت في الإنجيل ابن آدم أعطيتك ثلاث خصال ما لم تسلني سترت عليك ذنبك فلا يعلم الخلق أني راض عنك أم غضبان وأعطيتك دعوة أخيك المؤمن في ظهر الغيب ورزقتك مالا فبخلت به على نفسك في حياتك فأبقيت لك ثلثك بعدك وأنا أرحم الراحمين

قال قلت شيئا آخر قال نعم الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين الف نفس كل ساعة ألف نفس ومائتي وخمسين نفس (٦٣) محمد بن سليمان بن ذكوان أبو الطاهر

حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو الحسن أحمد بن نصر بن أبي رجاء

". (٢)

"٢٣٤٨ - حدثنا ابن قتيبة؛ قال: قال ابن أبجر: -[٣٩]- إذا خرج الطعام قبل ست ساعات؛ فهو مكروه، وإذا بقي أكثر من أربع وعشرين ساعة؛ فهو ضرر.." (٣)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: ثنا محمد بن الحسن عن علي بن بحر، قال: ثنا عبدة الصفار، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا عبد الله بن بجير بن حمران القيسي، قال: سمعت ثابتا البناني، يقول: « الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت عليها قائم فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب»." (٤)

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٥٩/١٠

(٢) معجم الشيوخ، ص/١١٤

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٣٨/٦

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٢٦/٢

"الثانية والعشرون: كتب عارف «بسم الله الرحمن الرحيم» وأوصى أن تجعل في كفنه فقيل له: أي فائدة لك فيه فقال: أقول يوم القيامة: إلهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم، فعاملني بعنوان كتابك.

الثالثة والعشرون: قيل «بسم الله الرحمن الرحيم» تسعة عشر حرفا، وفيه فائدتان: إحداهما: أن الزبانية تسعة عشر، فالله تعالى يدفع بأسهم بهذه الحروف التسعة عشر، الثانية: خلق الله تعالى الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة، ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه الحروف التسعة عشر تقع كفارات للذنوب التي تقع في تلك الساعات التسعة عشر.

الرابعة والعشرون: لما كانت سورة التوبة مشتملة على الأمر بالقتال لم يكتب في أولها/ «بسم الله الرحمن الرحيم» وأيضا السنة أن يقال عند الذبح «باسم الله، والله أكبر» ولا يقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» لأن وقت القتال والقتل لا يليق به ذكر الرحمن الرحيم، فلما وفقك لذكر هذه الكلمة في كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب، وإنما خلقك للرحمة والفضل والإحسان، والله تعالى الهادي إلى الصواب.

[الكتاب الثالث] الكلام في سورة الفاتحة وفي ذكر أسماء هذه السورة،

وفيه أبواب

الباب الأول [أسماء الفاتحة وسببها]

اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى: - أسماء الفاتحة وسببها:

فالأول: «فاتحة الكتاب» سميت بذلك الاسم لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الصلاة، وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره، وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: «سورة الحمد» والسبب فيه أن أولها لفظ الحمد.

والثالث: «أم القرآن» والسبب فيه وجوه: - الأول: أن أم الشيء أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم يدل على الإلهيات، وقوله: مالك يوم الدين يدل على المعاد، وقوله: إياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات، وسيأتي شرح هذه المعاني بالاستقصاء، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن.." (١)

"لكان كثيرا وإليه أشار تعالى بقوله: قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه [المزمل: ٢- ٤] وزيادة القليل على النصف هي ساعة فيصير سبع ساعات مصروفة إلى النوم والنائم مرفوع عنه القلم، فيقول الله عبدي صرف جميع أوقات تكليفه في تسبيحي فلم يبق لكم أيها الملائكة عليهم المزية التي ادعيتم بقولكم: نحن نسبح

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥٦/١

بحمدك ونقدس لك [البقرة: ٣٠] على سبيل الانحصار بل هم مثلكم/ فمقامهم مثل مقامكم في أعلى عليين، واعلم أن في وضع الصلاة في أوقاتها وعدد ركعاتها واختلاف هيئاتها حكمة بالغة، أما في عدد الركعات فما تقدم من كون الإنسان يقظان في سبع عشرة ساعة ففرض عليه سبع عشرة ركعة، وأما على مذهب أبي حنيفة حيث قال بوجوب الوتر ثلاث ركعات وهو أقرب للتقوى، فنقول هو مأخوذ من أن الإنسان ينبغي أن يقلل نومه فلا ينام إلا ثلث الليل مأخوذا من قوله تعالى: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ويفهم من هذا أن قيام ثلثي الليل مستحسن مستحب مؤكد باستحباب ولهذا قال عقيبه: علم أن لن تحصوه فتاب عليكم [المزمل: ٢٠] ذكر بلفظ التوبة، وإذا كان كذلك يكون الإنسان يقظان في عشرين ساعة فأمر بعشرين ركعة، وأما النبي عليه السلام فلما كان من شأنه أن لا ينام أصلا كما

قال: «تنام عيناي ولا ينام قلبي»

جعل له كل الليل كالنهار فزيد له التهجد فأمر به، وإلى هذا أشار تعالى في قوله: ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا [الإنسان: ٢٦] أي كل الليل لك للتسبيح فصار هو في أربع وعشرين ساعة مسبحا، فصار من الذين لا يفترون طرفة عين، وأما في أوقاته فما تقدم أيضا أن الأول والآخر والوسط هو المعتبر فشرع التسبيح في أول النهار وآخره، وأما الليل فاعتبر أوله ووسطه كما اعتبر أول النهار ووسطه، وذلك لأن الظهر وقته نصف النهار والعشاء وقته نصف الليل لأنا بينا أن الليل المعتبر هو المقدار الذي يكون الإنسان فيه يقظان وهو مقدار خمس ساعات فجعل وقته في نصف هذا القدر وهو الثلاثة من الليل، وأما أبو حنيفة لما رأى وجوب الوتر كان زمان النوم عنده أربع ساعات وزمان اليقظة بالليل ثمان ساعات وأخر وقت العشاء الآخرة إلى الرابعة والخامسة، ليكون في وسط الليل المعتبر، كما أن الظهر في وسط النهار، وأما النبي لما كان ليله نهارا ونومه انتباها

قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك وتأخير العشاء إلى نصف الليل»

ليكون الأربع في نصف الليل كما أن الأربع في نصف النهار، وأما التفصيل فالذي يتبين لي أن النهار اثنتا عشرة ساعة زمانية والصلاة المؤداة فيها عشر ركعات فيبقى على المكلف ركعتان يؤديهما في أول الليل ويؤدي ركعة من صلاة الليل ليكون ابتداء الليل بالتسبيح كما كان ابتداء النهار بالتسبيح، ولما كان المؤدى من تسبيح النهار في أوله ركعتين كان المؤدى من تسبيح الليل في أوله ركعة لأن سبح النهار طويل مثل ضعف سبح الليل، لأن المؤدى في النهار عشرة والمؤدى في الليل من تسبيح الليل خمس.

المسألة الثالثة: في فضيلة السبحلة والحمدلة في المساء والصباح، ولنذكرها من حيث النقل والعقل، أما النقل

فأخبرني الشيخ الورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب مسندا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لبعض أصحابه: «أتعجز عن أن تأتي وقت النوم بألف حسنة؟ فتوقف فقال النبي عليه السلام: قل سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرة يكتب لك بها ألف حسنة»

وسمعته يقول رحمه الله مسندا «من قال خلف كل صلاة مكتوبة عشر مرات سبحان الله وعشر/ مرات الله أكبر أدخل الجنة»

وأما العقل فهو أن الله تعالى له صفات لازمة لا من فعله وصفات ثابتة له من فعله، أما الأولى فهي صفات كمال وجلال خلافها نقص، فإذا." (١)

"وغدا وابتكر)) .

وفي بعض رواياته: ((ومشى ولم يركب)) .

وظاهر الحديث: يدل على تقسيم يوم الجمعة إلى اثني عشر ساعة، وأن الخطبة والصلاة يقعان في السادسة منها.

ومتى خرج الخطيب طوت الملائكة صحفها، ولم يكتب لأحد فضل التبكير، وهذا يدل على أنه بعد الزوال لا يكتب لأحد شيء من فضل التبكير إلى الجمعة بالكلية.

وظاهر الحديث: يدل على تقسيم نهار الجمعة إلى اثني عشر ساعة مع طول النهار وقصره، فلا يكون المراد به الساعات المعروفة من تقسيم الليل والنهار إلى أربعة وعشرين ساعة؛ فإن ذلك يختلف باختلاف طول النهار وقصره.

ويدل على هذا: حديث جابر، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: ((يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة، لا يوجد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه،." (٢)

"الحادية عشرة: مر عيسى عليه السلام بقبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا، فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور. فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فأوحى الله تعالى إليه: يا عيسى، كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته إلى الكتاب فلقنه المعلم «بسم الله الرحمن الرحيم» فاستحييت من عبدي أن أعذبه بناري في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على ظهر الأرض.

الثانية عشرة: كتب عارف «بسم الله الرحمن الرحيم» وأوصى أن تجعل في كفنه.

فقيل له في ذلك؟ فقال: أقول يوم القيامة: إلهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه «بسم الله الرحمن الرحيم» فعاملني بعنوان كتابك.

الثالثة عشرة: «بسم الله الرحمن الرحيم» تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر، فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر.

الرابعة عشرة: اليوم بليلته أربع وعشرون ساعة، ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فبقي التسعة عشرة ساعة لا تستغرق بذكر الله تعالى، وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة.

الخامسة عشرة: لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في أولها «بسم الله الرحمن الرحيم» وأيضا السنة أن يقال عند الذبح: «بسم الله والله أكبر» ولا يقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم» فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب وإنما خلقك للرحمة والثواب.

السادسة عشرة:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٧/٢٥

(٢) فتح الباري لابن رجب ابن رجب الحنبلي ١٠٠/٨

قال صلى الله عليه وسلم: «من رفع قرطاسا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وإن كانا من المشركين»

وعن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت «بسم الله الرحمن الرحيم» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول ما نزلت هذه الآية على آدم قال: أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها، ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما، ثم رفعت بعده فما أنزلت إلا على سليمان وعندها قالت الملائكة: الآن تم والله ملكك، ثم رفعت فأنزلها الله تعالى علي، ثم يأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون: «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم.

وعن أبي هريرة." (١)

"والخيط الأسود ما اتصل به من آخر الليل. ومن الناس من قال: لا يجوز الإفطار إلا عند غروب الحمرة، كما أنه لا يجوز الأكل إلا إلى طلوع الفجر. وهذه المذاهب قد انقرضت، والفقهاء أجمعوا على بطلانها. يحكى عن الأعمش أنه دخل عليه أبو حنيفة يعوده فقال له الأعمش: إنك لثقيل على قلبي وأنت في بيتك فكيف إذا زرتني؟ فسكت عنه أبو حنيفة، فلما خرج قيل له: لم سكت عنه؟ قال: ماذا أقول في رجل ما صام ولا صلى في دهره عنى أنه كان يأكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له، وكان لا يغتسل من الإكسال فلا صلاة له. واعلم أن في الآية ترتيبا عجيبا ونسقا أنيقا وذلك أن الرفث لما كان من أشنع الأمور التي يجب الإمساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس إنه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الإخبار. قدم إباحته أولا ثم بين السبب في إباحته، ثم وبخ المختانون في شأنه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة، ثم أعيد ذكر إباحته ليترتب عليه الغرض الأصلي من الرفث وهو طلب النسل، وليعطف عليه إباحة الأكل والشرب جميع ذلك إلى آخر جزء من أجزاء الليل، ثم لما بين مدة الإفطار وما أبيح فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الأصلي تلك المدة هي ما بقي من مدة الإفطار إلى تمام أربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته، أعني من أول الفجر الصادق إلى غروب الشمس، ثم لما كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لأنه فهم من الآية أن الإمساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر أيام السنة ولياليها عقب إباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بخطره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد

قال الشافعي: الاعتكاف حبس المرء نفسه على شيء برا كان أو إثما. قال تعالى يعكفون على أصنام لهم [الأعراف: ١٣٨] والاعتكاف الشرعي: المكث في بيت الله تعالى تقربا إليه. وهو من الشرائع القديمة. قال تعالى أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين [البقرة: ١٢٥] وللأئمة خلاف في المراد من المباشرة هاهنا. فعن الشافعي: في أصح قوليه ووافقه أبو حنيفة وأحمد: إنها الجماع والمقدمات المفضية إلى الإنزال. لأن الأصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين. فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف وحين يخرج لحاجة ولم تتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والعناق وكل ما فيه تلاصق البشرتين.

خالفنا الدليل فيما إذا لم ينزل من هذه الأمور لتبين عدم الشهوة فيها، وقد علم أن اللمس بغير شهوة جائزة لأنه صلى الله

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٨١/١

عليه وسلم كان يدني رأسه من عائشة لترجل رأسه وهو صلى الله عليه وسلم معتكف، فيبقى ما فيه الشهوة على أصل المنع. احتج من قال إنها لا تبطل الاعتكاف بأن هذه الأمور لا تبطل الصوم والحج فلا تفسد الاعتكاف، لأنه ليس أعلى درجة منهما. وأجيب بأن النص مقدم على." (١)

"في حديث عبد الله بن عمر، وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة) الحديث. وفيه: (يسبح الله أحدكم في دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا، ويكبر عشرا) . الحديث فهي خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وكذلك في حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، من رواية موسى الجهني: عن مصعب بن سعد عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يمنع أحدكم أن يسبح دبر كل صلاة عشرا، ويكبر عشرا ويحمد عشرا؟) وكذلك رواه علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، أخرجه أحمد في رواية عطاء بن السائب عن أبيه (عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة) الحديث، وفيه: (تسبحان لله في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا) ، وكذلك في حديث أم مالك الأنصارية، أخرجه الطبراني في (الكبير) من رواية عطاء بن السائب: عن يحيى بن جعدة عن رجل حدثه، (عن أم مالك الأنصارية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هنيئا لك يا أم مالك بركة عجل الله ثوابها، ثم علمها في دبر كل صلاة: سبحان الله عشرا، والحمد لله عشرا، والله أكبر عشرا) . وكونه ستا، كما في حديث أنس في بعض طرقه، ومرة واحدة، كما في بعض طرق حديثه، أيضا، وكونه سبعين مرة كما في حديث زميل الجهني أخرجه الطبراني في (الكبير) من رواية أبي مشجعة بن ربعي الجهني: (عن زميل الجهني، قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا صلى الصبح قال، وهو ثان رجله: سبحان الله وبحمده، واستغفر الله، إنه كان توابا، سبعين مرة، ثم يقول: سبعين بسبعمائة. .) الحديث. وكونه مائة مرة كما في بعض طرق حديث أبي هريرة، أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، من رواية يعقوب بن عطاء: عن عطاء ابن أبي علقمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (من سبح في دبر كل صلاة مكتوبة مائة، وكبر مائة وحمد مائة غفرت له ذنوبه، وإن كانت أكثر من زبد البحر) .

ثم الجواب عن وجه الحكمة في تعيين هذه الأعداد أنه: يجب علينا أولا: أن نتمثل في ذلك وإن خفي علينا وجهه، لأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو عن حكم. وثانيا: نقول بما أوقع الله تعالى في قلوبنا من أنواره التي يتجلى بها في الغوامض، وهو أن الاختلاف في هذه الأعداد الظاهر أنه بحسب اختلاف الأحوال والأزمان والأشخاص، فيمكن أن يقال: في الذكر مرة، إنها أدنى ما يقال، لأنها ما تحتها شيء. وفي الست: إن الأيام ستة، فمن ذكر ست مرات فكأنه ذكر في كل يوم منها مرة، فتستغرق أيامه ببركة الذكر. وفي العشر: كل حسنة بعشر أمثالها بالنص. وفي إحدى عشرة كذلك، ولكن زيادة الواحدة عليها للجزم بتحقق العشرة. وفي خمس وعشرين إن ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فمن ذكر خمسا وعشرين فكأنما ذكر في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، والواحد الزائد للجزم بتحققها. وفي ثلاث وثلاثين إنها

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥١٨/١

إذا ضوعفت ثلاث مرات تكون تسعا وتسعين، فمن ذكر بثلاث وثلاثين فكأنما ذكر الله بأسمائه التسعة والتسعين التي ورد بها الحديث. وفي سبعين إنه إذا ذكر الله بهذا العدد يحصل له سبعمائة ثواب، لكل واحد منها عشرة، وقد صرح بذلك في حديث زميل الجهني، وقد ذكرناه. وفي مائة: القصد فيها المبالغة في التكثير، لأنها الدرجة الثالثة للأعداد.

فإن قلت: إذا نقص من هذه الأعداد المعينة أو زاد، هل يحصل له الوعد الذي وعد له فيه؟ قلت: ذكر شيخنا زين الدين في (شرح الترمذي) قال: كان بعض مشايخنا يقول: إن هذه الأعداد الواردة عقيب الصلوات أو غيرها من الأذكار الواردة في الصباح والمساء وغير ذلك، إذا كان ورد لها عدد مخصوص مع ثواب مخصوص، فزاد الآتي بها في أعدادها عمدا لا يحصل له ذلك الثواب الوارد على الإتيان بالعدد الناقص، فلعل لتلك الأعداد حكمة، وخاصة تفوت بمجاوزة تلك الأعداد وتعديها، ولذلك نهى عن الاعتداء في الدعاء. انتهى. قال الشيخ: فيما قاله نظر، لأنه قد أتى بالمقدار الذي رتب على الإتيان به ذلك الثواب، فلا تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله عند الإتيان بذلك العدد. انتهى. قلت: الصواب هو الذي قاله الشيخ، لأن هذا ليس من الحدود التي نهى عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها، والدليل على ذلك ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه. فإن قلت: الشرط في هذا أن يقول: الذكر المنصوص عليه بالعدد متتابعا أم لا؟ والشرط أن يكون في مجلس واحد أم لا؟ قلت: كل منهما ليس بشرط، ولكن الأفضل أن يأتي به متتابعا، وأن يراعي الوقت الذي عين فيه.

ذكر ما يستفاد منه: من ذلك يتعلق بهذا الحديث المسألة المشهودة في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر، فذهب الجمهور من الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر، لأن مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها، وذلك مع الفقر أكثر." (١)

"الأوقات المحسوبة وتحقيقه أن الحساب إحصاء ما له كمية انفصالية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من أربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد إحصائه بتكرير أمثاله من غير اعتبار أن يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير أسامي مراتب الأعداد وحكم مستقل أضيف إليها العدد وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والألوف اعتباري لا يجدى فى تحصل المعدودة نفعا وحيث اعتبر في الأوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها أسام خاصة وأحكام مستقلة علق بها الحساب المنبيء عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وإنما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة أعني حيثية تحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فإن ذلك وظيفة الحساب بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير أن يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٣١/٦

لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وإن لم تتحد الجهة أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل أمرا آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب

﴿ما خلق الله ذلك﴾ أي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الأحوال وفيه إيذان بأن معنى جعلهما على تلك الأحوال والهيئات ليس إلا خلقهما كذلك كما أشير إليه ولا يقدح في ذلك أن استفادة القمر النور من الشمس أمر حادث فإن المراد بجعله نورا إنما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائط الاتصاف به بالفعل

﴿إلا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم أحوال الفاعل أو المفعول أي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الأشياء إلا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة أو مراعى فيه ذلك وهو ما أشير إليه إجمالا من العلم بأحوال السنين والأوقات المنوط به أمور معاملاتهم وعباداتهم

﴿يفصل الآيات﴾ أي الآيات التكوينية المذكورة أو جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا أوليا أو يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرىء بنون العظمة

﴿لقوم يعلمون﴾ الحكمة في إبداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون مبدعها جل وعلا أو يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لأنهم المنتفعون به

سورة يونس آية (٦)." (١)

"٧٧٢٢ - (ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله في كل ساعة منها ست مئة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار) أي نار التطهير ويحتمل إجراؤه على إطلاقه بأن يوفق من شاء من الكفار لأن يسلم (الخليل) في مشيخته (عن أنس) بن مالك." (٢)

"يطرق بخير) ثم يقرأ الكافرون وينام على خاتمتها (طب عن أبي مالك الاشعري) واسناده ضعيف

(ليقم الاعراب) في الصلاة (خلف المهاجرين والانصار ليقتدوا بهم في الصلاة) أي ليفعلوا كفعلهم لانهم أوثق وأعرف واضبط والاعراب لا يهتدون الى ذلك الا باسطتهم (طب عن سمرة) بن جندب واسناده حسن

(ليكف الرجل منكم) من الدنيا (كزاد الراكب) أي ما يبلغه الى الآخرة على وجه الكفاف والباعث على ذلك قصر الامل (ه حب عن سلمان) الفارسي

(ليكف أحدكم من الدنيا خادم ومركب) لان التوسع في نعيمها يوجب الركون اليها والانهماك في لذاتها وحق على كل مسافران لا يحمل الا بقدر زاده في سفره (حم ن والضياء) المقدسي (عن بريدة) تصغير بردة

(ليكونن في هذه الامة خسف وقذف ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات) المغنيات (وضربوا بالمعازف) قيل أراد الحقيقة وقيل خسف المنزلة ومسخ القلوب (ابن أبي الدنيا في) كتاب (ذم الملاهي عن أنس) بن مالك

(ليكونن في ولد) بضم فسكون (العباس) بن عبد المطلب (ملوك يلون أمر أمتي) يعني الخلافة (يعز الله تعالى بهم الدين)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢١/٤

(٢) فيض القدير المناوي ٣٩٥/٥

وهذا من معجزاته فانه اخبار عن غيب وقع (قط في الافراد عن جابر) باسناد فيه كذاب

(ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار) أي نار التطهير (الخليلي) في مشيخته (عن أنس) بن مالك

(ليلة القدر ليلة سبع وعشرين) من رمضان وبه قال جمهور الصحابة والتابعين وكان أبي بن كعب يحلف عليه (د عن معاوية) الخليفة واسناده صحيح

(ليلة القدر ليلة أربع وعشرين) أخذ به راويه بلال وحكى عن ابن عباس والحسن وقتادة (حم عن بلال) المؤذن (الطيالسي) أبو داود (عن أبي سعيد) واسناده حسن

(ليلة القدر في العشر الاواخر) أي التي تلي آخر الشهر (في الخامسة أو الثالثة) منه (حم عن معاذ) بن جبل واسناده صحيح

(ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين) وعليه جمع (ان الملائكة تلك الليلة) يكونون (في الارض أكثر من عدد الحصى) يحضرون مجالس الذكر ويستغفرون للمؤمنين ويؤمنون على دعائهم فاذا طلع الفجر صعدوا (حم عن أبي هريرة) ورجاله رجال الصحيح

(ليلة القدر ليلة بلجة) أي مشرقة نيرة مضيئة (لا حارة ولا باردة) بل معتدلة (ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح) أي شديدة (ولا يرمى فيها بنجم ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها) قيل معناه ان الملائكة لكثرة اختلافها في ليلتها ونزولها الى الارض وصعودها تستر بأجنحتها واجسامها اللطيفة ضوء الشمس (طب عن واثلة) بن الاسقع باسناد ضعيف خلافا لقول المؤلف حسن

(ليلة القدر ليلة سمحة طلقة) أي سهلة طيبة (لا حارة ولا باردة) أي معتدلة (تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة) أي ضعيفة الضوء (حمراء) أي شديدة الحمرة (الطيالسي هب عن ابن عباس) واسناده ضعيف وقول المؤلف حسن ممنوع

(ليلة أسرى بي) من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (ما مررت على ملأ من الملائكة الا أمروني بالحجامة) لكونها موافقة لارض الحجاز ولكون جسده الشريف اقتضى ذلك (طب عن ابن عباس

ليلني) بكسر اللامين وخفة النون من غير ياء قبل النون وباثباتها مع شدة النون على التأكيد (منكم) أي ليدنو مني منكم (أولو الاحلام) أي البالغون." (١)

"الخمور، واتخذوا القينات، وضربوا المعازف (ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن أنس".

(ليكونن) إخبار مؤكد (في هذه الأمة) أمة إجابته (خسف وقذف) رمي بالحجارة كما رمي أصحاب الفيل (ومسخ) قردة وخنازير كما سلف غير مرة إنما يكون ذلك إذا كان منهم ما أفاده (وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا المعازف) وتقدم هذا كله. (ابن أبي الدنيا (١) في ذم الملاهي عن أنس) وفي الباب ابن عباس وأبو أمامة وغيرهما عند أحمد والطبراني وغيرهما.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٣٣

٧٧٠٢ - "ليكونن في ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي يعز الله تبارك وتعالى بهم الدين. (قط) في الإفراد عن جابر (ض) ."

(ليكونن في ولد العباس ملوك) لم يقل خلفاء لأنهم على غير سيرة مرضية فهو كحديث الخلافة: "ثلاثون ثم ملك عضوض" (يلون أمر أمتي) وقد كان كما أخبر به - صلى الله عليه وسلم -. (يعز الله بهم الدين) لا ينافيه أنهم خالفوا هديه - صلى الله عليه وسلم - لأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر. (قط (٢) في الإفراد عن جابر) رمز المصنف لضعفه وفيه عمرو بن راشد، قال في الميزان (٣): عن أبي حاتم قال: وجدت حديثه كذبا وزورا.

٧٧٠٣ - "ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار. الخليلي عن أنس

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٩) عن أبي أمامة، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٢) رقم (٣٤١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٦٧)، والصحيحة (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في الكنز (٣٣٤٠٠)، أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٦)، وابن الجوزى في العلل المتناهية (١/ ٢٨٨) من طريق الدارقطني، وقال: فيه عمرو بن راشد قال الإمام أحمد لا يساوى حديثه شيئا، وقال ابن حبان لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح يضع الحديث، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٥٥)، والضعيفة (٤٣٩٦): موضوع.

(٣) انظر الميزان (٥/ ٢٣٥).." (١)

"(ض) ".

(ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة) وهكذا كل يوم وليلة. (الله في كل ساعة منهما ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار) وظاهره أنه محض عفو وفضل لا عن توبة ولا عمل صالح بل لفضيلة اليوم والليلة. (الخليلي (١) عن أنس) رمز المصنف لضعفه.

٧٧٠٤ - "ليلة القدر ليلة سبع وعشرين. (د) عن معاوية (صح) ".

(ليلة القدر) الوارد في القرآن ذكرها وفي السنة عظيم أجرها (ليلة سبع وعشرين) (٢) أي من رمضان وعليه الجماهير من الصحابة وغيرهم (د (٣) عن معاوية) رمز المصنف لصحته وقد عزاه الديلمي إلى مسلم باللفظ المذكور.

٧٧٠٥ - "ليلة القدر ليلة أربع وعشرين (حم) عن بلال، الطيالسي عن أبي سعيد".

(ليلة القدر ليلة أربع وعشرين) جمع بينه وبين ما قبله وما بعده أنها تنتقل فتارة في سنة كذا وتارة في سنة كذا (حم (٤)

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٩/٢٩٩

عن بلال، الطيالسي عن أبي سعيد).

٧٧٠٦ - "ليلة القدر في العشر الأواخر، في الخامسة أو الثالثة. (حم) عن معاذ (صح) ".

(ليلة القدر في العشر الأواخر) من رمضان (في الخامسة) وعشرين. (أو

---

(١) أخرجه الخليل في مشيخته كما في الكنز (٢١٠٤٤) والرافعي في التدوين (٣/ ٢٧٨)، وعزاه الهيثمي في المجمع (٢/ ١٦٥) إلى أبي يعلي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٥٦).

(٢) جاء في الأصل (ليلة تسع وعشرين).

(٣) أخرجه أبو داود (١٣٨٦)، وأخرجه مسلم (١١٦٥) من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٢)، والبزار (١٣٧٦) من حديث بلال، وأخرجه أبو داود الطيالسي (٢١٦٧) عن أبي سعيد، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٥٧).." (١)

"يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وهي معروفة، ينزل القمر في كل ليلة منها منزلا لا يتخطاه، فيبدو صغيرا في أول منازله، ثم يكبر قليلا قليلا حتى يبدو كاملا، وإذا كان في أواخر منازله رق واستقوس، ثم يستتر ليلتين إذا كان الشهر كاملا، أو ليلة إذا كان ناقصا، والكلام في هذا يطول وقد جمعنا فيه رسالة مستقلة جوابا عن سؤال أورده علينا بعض الأعلام. وقيل: إن الضمير راجع إلى كل واحد من الشمس والقمر، كما قيل في قوله تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها «١» ، وفي قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

وقد قدمنا تحقيق هذا فيما سبق من هذا التفسير، والأولى: رجوع الضمير إلى القمر وحده، كما في قوله تعالى: والقمر قدرناه منازل «٢» ، ثم ذكر بعض المنافع المتعلقة بهذا التقدير، فقال: لتعلموا عدد السنين والحساب فإن في العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى، وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى، ولولا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم. والسنة تتحصل من اثني عشر شهرا، والشهر يتحصل من ثلاثين يوما إن كان كاملا، واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار قد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء، ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان، والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ثم بين سبحانه أنه ما خلق الشمس والقمر واختلاف تلك الأحوال إلا بالحق والصواب دون الباطل والعبث، فالإشارة بقوله: ذلك إلى المذكور قبله، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، ومعنى تفصيل الآيات تبيينها، والمراد بالآيات: التكوينية أو التنزيلية أو مجموعهما، وتدخل هذه الآيات التكوينية المذكورة هنا دخولا أوليا في ذلك. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب يفصل بالتحتية. وقرأ ابن السميقع تفصل بالفوقية على

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٩/٣٠٠

البناء للمفعول، وقرأ الباقون بالنون.

واختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الأولى، ولعل وجه هذا الاختيار أن قبل هذا الفعل ما خلق الله ذلك إلا بالحق وبعده وما خلق الله في السماوات والأرض ثم ذكر سبحانه المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وما خلق في السموات والأرض من تلك المخلوقات، فقال إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون أي: الذين يتقون الله سبحانه ويجتنبون معاصيه وخصهم بهذه الآيات لأنهم الذين يمعنون النظر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه حذرا منهم عن الوقوع في شيء مما يخالف مراد الله سبحانه، ونظرا لعاقبة أمرهم، وما يصلحهم في معادهم. قال القفال: من تدبر في هذه الأحوال علم أن الدنيا مخلوقة لبقاء الناس فيها، وأن خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل، وإذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السدي في قوله تعالى: جعل الشمس ضياء والقمر نورا قال: لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار، وهو قوله فمحونا آية الليل «٣» الآية.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: وجوههما إلى السموات، وأقفيتهما إلى الأرض.

---

(١) . الجمعة: ١١.

(٢) . يس: ٣٩.

(٣) . الإسراء: ١٢.." (١)

"٦٠٣٦ - حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا أبو غسان قال حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد قال جاءت امرأة إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ببردة. فقال سهل للقوم أتدرون ما البردة فقال القوم هى شملة. فقال سهل هى شملة منسوجة فيها حاشيتها - فقالت يا رسول الله أكسوك هذه. فأخذها النبى - صلى الله عليه وسلم - محتاجا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها. فقال «نعم». فلما قام النبى - صلى الله عليه وسلم - لامه أصحابه قالوا ما أحسنت حين رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه. فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى - صلى الله عليه وسلم - لعلى أكفن فيها.

أطرافه ١٢٧٧، ٢٠٩٣، ٥٨١٠ - تحفة ٤٧٦٥ - ١٧/ ٨

٦٠٣٧ - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يتقارب الزمان وينقص العمل، ويلقى الشح ويكثر الهرج». قالوا وما الهرج قال «القتل، القتل».

أطرافه ٨٥، ١٠٣٦، ١٤١٢، ٣٦٠٨، ٣٦٠٩، ٤٦٣٥، ٤٦٣٦، ٦٥٠٦، ٦٩٣٥، ٧٠٦١، ٧١١٥، ٧١٢١ - تحفة ١٢٢٨٢

٦٠٣٨ - حدثنا موسى بن إسماعيل سمع سلام بن مسكين قال سمعت ثابتا يقول حدثنا أنس - رضى الله عنه - قال

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤٨٤/٢

خدمت النبي – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين، فما قال لى أف. ولا لم صنعت ولا ألا صنعت. طرفاه ٢٧٦٨، ٦٩١١ – تحفة ٤٣٦

٦٠٣٧ – قوله: (يتقارب الزمان) قيل: المراد به قلة البركة في الأيام. وقيل: الزمان: الساعة، وتقاربها دنوها، أي تدنو الساعة. وقيل: المراد به قصر الزمان في نفسه، فتكون ساعتنا اليوم أقصر مما كانت فيما مضى، وبهذا الحساب فليقس اليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة. لا يقال: إن مقدار اليوم الآتي أيضا بأربع وعشرين ساعة، كما كان، فلو حملنا التقارب على قصر الأيام في أنفسها، لزم أن تكون الأيام في زماننا بعشرين ساعة، مثلا، لأنا نقول: المراد من قصر الأيام قصر الساعات أيضا ولو كان باعتبار الكمية، لا قصرها بمعنى نقصانها، من حيث العدد.

وتلك الساعات لما قصرت لزم قصر الأيام لا محالة، وكذلك قصر الشهر والسنة، وإنما لا حس لنا بذلك، لأن السبيل إلى معرفة الطول والقصر، كانت تلك الساعة، فلما قصرت هي بعينها، مع بقاء أعدادها، اشتبه الحال، والتبس طول الأيام الماضية من قصر الأيام الحاضرة. ولا استحالة فيه عند سلطان العقل أيضا، لأنه ثبت اليوم أن كل شيء فيه الاندراس، لا بد له أن يتدرج إلى الاختتام يوما ما وبهذا استدل جالينوس على حدوث العالم، فإنه لما رأى فيه أمارات الاندراس، ذهب إلى حدوثه لا محالة، كذا في «شرح عقائد الجلالي».

أما حديث الفلاسفة من دوام الأجرام الأثيرية، وعدم تغيرها، فحمق جلي، وقد." (١)

"ودرساً في أصول الفقه؛ تارة في "اللمع" لأبي إسحاق، وتارة في "المنتخب" لفخر الدين الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين" (١).

قال: "وكنتُ أعلِّق جميع ما يتعلق بها؛ من شرح مُشْكِل، ووضوح عبارة، وضبط لغة".

قال: "وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه" (٢).

قال: "وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريتُ كتاب

---

(١) المذكور أحد عشر درساً فقط! وكذا نقله عنه: الذهبي في "تاريخ الإسلام" (ورقة ٥٧٥)، و "تذكرة الحفاظ" (٤/ ١٤٧٠)، والسخاوي في "ترجمة الإمام النووي" (ص٦)، والسيوطي في "المنهاج السوي" (لوحة٥/ أ– ب)، وابن العماد في "شذرات الذهب" (٥/ ٣٥٥)، وجميع المعاصرين الذين ترجموا له!

(٢) عقَّبَ الشيخ عبد الغني الدَّقْر في كتابه "الإمام النووي" (ص ٣٤) على ما ذكره المصنف بقوله: "اثنا عشر درساً يقرؤها على المشايخ كل يوم شرحاً وتصحيحاً، ويعلق ما يتعلق بها من شرح مشكل، وإيضاح عبارة، وضبط لغة، تحتاج كل يوم بلى اثنتي عشرة ساعة على أقل تقدير، وتحتاج إلى مراجعة ما يجب أن يراجع، وحفظ ما يجب أن يُحفظ –بأدنى

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ١٣٣/٦

التقدير- إلى اثنتي عشرة ساعة، فهذه أربع وعشرون ساعة، فمتى ينام؟! ومتى يأكل؟! ومتى يقوم بعبادته؟! ومتى يتهجد في ليله؟! ومعروف أنه سباق بلى الطاعات والعبادات ... متي يكون هذا كله وهو محتاج في دراسته ومراجعته إلى أربع وعشرين ساعة في اليوم والليل!

هنا يبدو إكرام الله إياه، وتفضله عليه، وذلك بأن بارك الله له في وقته، فمنحه القدرة على أن ينتج في يوم ما ينتج غيره في يومين، وفي سنة ما ينتج غيره في سنتين، وبهذا نفسِّر هذه الوثبة الهائلة التي جعلت منه في نحو عشر سنوات عالماً في درجة كبار علماء عصره، ثم جعلت منه إمام عصره، كما نفسر هذه الكثرة الهائلة من مؤلَّفاته المتقنة الرائعة في فترة لا تتجاوز خمساً وعشرين سنة، هي كل عمره في العلم تعلُّماً وتعليماً وتأليفاً). انتهى.." (١)

"والمواد الحربية في البحر، وأصلاهم الحلفاء نارا حامية خلال هزيمتهم، ولم تنفعهم وتنفع الأتراك خطوط الدفاع التي كانوا جعلوها في الجبل المطل على بيروت، كما لم تنفعهم والترك أيضا الخطوط التي أنشئوها في جبل المانع والمزة وقاسيون المحيطة بدمشق من غربها وجنوبها وشمالها، وهكذا لم تصب دمشق وثغرها بيروت بأذى يوم الهزيمة على نحو ما كان العقلاء يحاذرون.

لم يجر استيلاء الحلفاء على بيروت إلا يوم ٧ تشرين الأول أي بعد سقوط عاصمة الشام بثمانية أيام، فأرسلت الحكومة العربية في دمشق برقية إلى رئيس بلدية بيروت بأمر الأمير فيصل غداة وصوله إلى دمشق تأمره فيه برفع العلم العربي، ووصل إلى بيروت من دمشق اللواء شكري باشا الأيوبي تحف به شرذمة من الفرسان، واحتل دار الحكومة، وبعد أربعة أيام وصل القائد الإنكليزي وأمر اللواء العربي بالعودة إلى دمشق، وأنزلت الراية العربية وعين الكولونيل بياباب الفرنسي حاكما على بيروت، وأخرج الفرنسيون جندا إلى البر بين تصفيق الأهالي ولا سيما أبناء الطوائف الغربية، ثم صدر أمر القائد اللنبي إلى الأمير فيصل أن يحتل جيشه حمص وحماة وحلب، وكانت الجنود الإنكليزية والأسترالية تتقدمه أولا، ففتحت حمص يوم ١٤ تشرين الأول، وحماة يوم ١٦ ودخل الجيش العربي حلب يوم ٢٥ منه مساء بعد مقاومة خفيفة ومناوشة الفرسان البريطانيين والأستراليين لبقايا الجيش التركي الذي دافع لإشغال الجيش المهاجم حتى يتسنى له الانسحاب من حلب بانتظام وسلام خشية الأسر، ويتم له نقل الموظفين وعيالهم والنقود والأوراق والسجلات، وطلب الشريف ناصر بن علي قائد الحملة العربية إلى قائد الفرقة البريطانية الجنرال مكاندرو أن يمده بسرية من جيشه ليضمها إلى فصيلة عربية يمد بها السرية التي كان أنفذها لاحتلال حلب فرفض الجنرال طلبه، وبعد الإلحاح عليه صرح بأن القائد العام أمره أن لا تطأ قدم جندي واحد من الجيش الإنكليزي مدينة حلب إلا بعد دخول الجيش العربي ورسوخ قدمه بها، وهكذا لم يدخل الجيش البريطاني حلب إلا بعد دخول الجيش العربي بأربع وعشرين ساعة وتأليف الحكومة العربية المؤقتة وكان آخر ما سقط من الديار الشامية ميناء الإسكندرية احتلته البحارة الفرنسية يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨.." (٢)

---

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ابن العطار ص/٥٠

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ١٥٥/٣

"من

فرنسا فرقا من الجند فأرسل يوم ١١ تموز ١٩٢٠ إلى الملك فيصل كتابا مطلعه: بينما كانت السكينة سائدة في سورية أثناء الاحتلال الإنكليزي ابتدأ الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذا بازدياد منذ ذاك الوقت. وأرسل إليه أيضا يوم ١٤ تموز ١٩١٩ بلاغا يدور على خمس مواد وهي أن يعطي لفرنسا الخط الحديدي من رياق إلى حلب، وأن تلغى حكومة فيصل القرعة العسكرية التي أخذت تجمعها ويقبل الانتداب الفرنسي والنقود السورية ويضرب على أيدي الأشقياء. فطلب الملك مهلة أربع وعشرين ساعة فانتهت مدة الإنذار الأول في ١٨ تموز الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا ثم مددت أربعا وعشرين ساعة أخرى ثم مددت ثانية وانتهت يوم ٢٢ تموز. ووقع تأخير في إرسال الجواب بالإيجاب أي بقبول مطالب فرنسا وكان الداعي إليه انقطاع الأسلاك البرقية، فأمر الجنرال غورو جيشه بالمسير إلى دمشق بقيادة الجنرال غوابيه يوم ٢١ تموز فسار إلى البقاع واحتل رياق وأخذ يصعد أكمات مجدل عنجر، وكان الجيش العربي اتخذ له حصونا في تلك الأكمات، وتجمع بعض عامة دمشق وبضع مئات من البدو عسكر البيشة الحجازي وأخذوا يخفون إلى مقابلة الجيش الفرنسي الزاحف فوصلوا إلى جبال ميسلون، وفي يوم ٢٢ تموز خرجت كتيبة عربية من حمص مغيرة على الجند الفرنسي في تل كلخ فانهزمت الكتيبة وأخذ منها ١٥١ أسيرا بينهم ضابطان وثلاثة مدافع رشاشة.

وفي ٢٢ تموز أعلم الجنرال غورو الملك فيصلا أنه مستعد أن يتوقف عن الزحف إذا قبل بمواد الإنذار وبالشروط التالية ١ تنشر حكومة دمشق منشورا كتب مسودته الفرنسيون وبينوا فيه السبب الذي حملهم على إعطاء الأوامر للجنود بالزحف على دمشق والسبب الذي توقف من أجله ذلك الزحف. ٢ الموافقة على بقاء الجنود الفرنسية حتى نهاية الخط الذي وصلوه وقتئذ ليوم تنفيذ جميع شروط

الإنذار. ٣ تسليم خط السكة الحديدية من رياق إلى التكية للفرنسيين وبقاؤه بأيديهم في هذه المدة. ٤ سحب جميع الفصائل الشريفية إلى شرقي هذا الخط وجعل الدرك تحت رعاية الفرنسيين بالمنطقة التي تم احتلالها. ٥ تتوقف حكومة دمشق عن إرسال المعاونات للعصابات المنظمة." (١)

"وفي هذه الصبيحة يهدي أحد أبوي الزوج إلى الزوجة قطعة من الحلي تسمى الصبيحة وفي اليوم الرابع يحضر المدعون إلى منزل الزوج لتهنئة العروسين، ثم في اليوم الثامن يزور العروسان أصحابهما فيحيون لهما ليلة طرب، ثم في اليوم الثاني عشر يولم الزوج إلى كهنة الطائفة وبعد شهر يطوف العروسان منازل الألى كانوا مدعوين ليلة القران ويردان إليهم الزيارة.

المهر يدفع من الزوجة إلى الزوج عكس ما هو معروف عند المسلمين ولا حد لأكثره إذا كانت الزوجة غنية والرغبة منها في الزوج فوق رغبته بها وهو يسمى

دوطه وبعض الكتبة يترجمون هذه اللفظة بكلمة بائنة وإذا كانت رغبة الزوجين في الزواج متساوية فليس هناك دوطة إنما كل واحد من الزوجين يهدي الآخر قطعة من الحلي قيمتها تناسب ثروته.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٧٦/٣

بعد انتهاء هذه الحفلات يصرف بعض المتفرنجين شهرا من حياته بالتغيب عن منزله يسمونه شهر العسل يمضيه الزوجان في موضع نزه جميل يطلقان فيه حريتهما، كأن العروسين يمضيان هذا الشهر في وداع الحياة المطلقة المؤذنة بفراقها لحلول ذلك الضيف الثقيل بل القيد الأبدي الذي لا يحل وثاقه إلا بالموت: عادة أخذها الغربيون عن الأمم الوثنية القديمة كأنها رمز إلى سرعة انقضاء راحة الإنسان بالزواج وطول عنائه بعده، وذلك لأن الزوجين لا يلبث فرحهما بعد الاقتران سوى أيام قلائل حتى يدخلا في العريض الطويل من تكاليف الحياة وأوصابها التي لا تنفد إلا بنفاد العمر. فما أشبه الحياة وما فيها من الراحة والتعب بإناء مفعم من الصبر قد بسط على وجهه قليل من العسل، وكأن الإنسان لا يضطر إلى استعمال ما في هذا الإناء اضطرارا حقيقيا إلا بعد أن يتزوج فكأن مقدار ما يناله حينئذ من الراحة وما يعقبها من التعب كمقدار ما في ذلك الإناء من الصبر والعسل فلا يعلق من العسل غير قليل حتى ينفد ويظهر تحته الصبر، فيجرعه مكرها ضرورة عدم إمكان الحياة إلا به وهذا مصداق قول الناس في الزواج فرح شهر وتر دهر.

وما يستعمله النصارى في أتراحهم أنه متى احتضر انه متى احتضر المريض يحضر إليه كاهنه ويستأديه واجباته الدينية، وبعد أن يقضي نحبه يتربصون بدفنه مدة أربع وعشرين ساعة يضعونه في خلالها في صندوق من الصفيح، وفي هذه البرهة." (١)

"٢٣٠ ميلا بحريا في أربع وعشرين ساعة (٣٢). وإذا ما صلحت الريح استطاع الإنسان أن يسافر من صقلية إلى الإسكندرية أو من قادس إلى أستيا في ستة أيام، ومن يودكة Ytica إلى رومة في أربعة (٣٣).

وكانت أطول الرحلات وأكثرها تعرضا للخطر الرحلة البحرية التي تستغرق ستة أشهر من عدن في بلاد العرب إلى بلاد الهند، وذلك لأن الرياح الموسمية كانت تضطر السفن إلى ملازمة السواحل الغاصة بالقراصنة في الطريق كله؛ وقد استطاع ملاح يوناني من أهل الإسكندرية في وقت ما قبل سنة ٥٠ ميلادية أن يبين بالرسم أوقات هبوب الرياح الموسمية، ويعرف ان في مقدوره في بعض الفصول أن يعبر المحيط الهندي في طريق مستقيم وهو آمن. وكان هذا الكشف يعادل في أهميته بالنسبة لهذا البحر أهمية عبور كولومبوس المحيط الأطلنطي؛ ذلك ان السفن قد استطاعت بعد هذا العمل أن تسير من الثغور المصرية الواقعة على البحر الأحمر إلى بلاد الهند في ٤٠ يوما. وحدث حوالي ٨٠م ان كتب بحار آخر من أهل الإسكندرية غير معروف اسمه كتابا عن " الطواف بالبحر الأريتزي". وكان بمثابة دليل للتجار الذين يتجرون بين ثغور ساحل أفريقيا الشرقي والهند. وكان غيره من الملاحين في ذلك الوقت قد سار في المحيط الأطلنطي إلى بلاد غالة، وبريطانيا، وألمانيا، بل انهم وصلوا إلى اسكنديناوة وروسيا (٣٤). ولسنا نعرف في تاريخ الإنسانية قبل ذلك ان البحر قد حمل من السفن أو من البضائع ومن الخلق ما حمله في تلك الأيام.." (٢)

"الدين، وكان في هذا الوقت، بنوع خاص، أكثر بغضا للإلحاد منه في أي وقت آخر لأن الإلحاد في ذلك الوقت يهدد الروح المعنوية الإسلامية، والمسلمون منهمكون في حرب مقدسة، بأشد الأخطار. ولهذا أمر في عام ١١٩١ بإعدام السهرودي، وهو صوفي زنديق؛ ونشر ابن ميمون في الشهر نفسه مقالة في بعث الموتى عبر فيها مرة أخرى عن تشكه في

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢٨٨/٦

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٢٤/١٠

عقيدة الخلود الجسمي ولكنه أعلن أنه يؤمن بها على أنها من قواعد الدين فحسب.

وسكنت هذه الزوبعة إلى حين، وانصرف هو إلى عمله الطبي وإلى كتابة فتاوي دينية أو أخلاقية وصلت إليه من العالم اليهودي. ولما عرض عليه شمويل ابن يهوذا بن تبون، وكان وقتئذ يترجم دلالة الحائرين إلى اللغة العبرية، أنه يرغب في زيارته حذره من أن يظن أنه سيحدثه في أي موضوع علمي ولو مدة ساعة واحدة بالليل أو بالنهار لأن عمله اليومي يجري على النحو الآتي: "فأنا أقيم في القسطاط بينما يقيم السلطان في القاهرة على بعد مسيرة يومي سبت (١) (ميل واحد ونصف ميل). وواجباتي نحو نائب السلطان جد ثقيلة؛ فعلي أن أزوره في كل يوم في الصباح الباكر، وإذا ما كان هو، أو أحد أبنائه، أو أي فرد في داخل حريمه، منحرف المزاج، فلن أجرؤ على مغادرة القاهرة بل علي أن أقيم معظم النهار في القصر ... ولا أعود إلى الفسطاط إلى ما بعد الظهر ... وأكون وقتئذ قد أوشكت أن أموت من الجوع. ولكني أجد غرفة الاستقبال مزدحمة بالناس، من رجال الدين، وموظفي الدولة، والأصدقاء، والأعداء ... فأنزل عن دابتي، وأغسل يدي، وأرجو مرضاي أن يصبروا علي حتى أتناول بعض المرطبات–وتلك هي الوجبة الوحيدة التي أتناولها كل أربع وعشرين ساعة. ثم أستقبل مرضاي ... وأظل كذلك إلى أن يحل الليل،

---

(١) مسيرة السبت مسافة يبلغ مقدارها ألفي ذراع وهي التي يصرح لليهودي أن يمشيها في يوم السبت وتعادل المسافة بين النهاية القصوى للمعسكر والتابوت (الآية الرابعة من الإصحاح الثالث من سفر يشوع). (المترجم)." (١)

"أوائل ١٦٤٨، يندد بالضرائب التي أفقرت الشعب على عهد ريشليو ومازاران إذ يقول:

"لقد ألحق الخراب بفرنسا طوال عشرة أعوام. فاضطر الفلاحون أن يناموا على القش بعد أن بيعت أمتعتهم وفاء للضرائب. وتمكينا لنفر من الناس من أن ينعموا في باريس بحياة البذخ أكرهت جماهير لا حصر لها أن تعيش على الخبز القفار .. فاقدة كل شيء إلا نفوسها–وهذه لم تترك لها إلا لأن أحدا يجد سبيلا لعرضها للبيع (٦).

وفي ١٢ يوليو، انعقد البرلمان في قصر العدالة مع غيره من محاكم باريس ووجهوا إلى الملك وأمه مطالب عدة لابد أنها بدت لهما ثورية. فقد طالبوا بخفض ربع الضرائب الشخصية كلها، وبألا تفرض ضرائب جديدة دون موافقة البرلمان بالتصويت الحر، وبطرد النظار الملكيين Intondants الذين حكموا الأقاليم دون اكتراث للحكام والقضاة المحليين، وبألا يحبس شخص أكثر من أربع وعشرين ساعة دون أن يمثل أمام القضاة المختصين. ولو أن هذه المطالب أجيبت لأصبحت حكومة فرنسا ملكية دستورية، ولسارت فرنسا جنبا إلى جنب مع إنجلترا في تطورها السياسي.

بيد أن الملكة الأم ربطتها بالماضي جذور أقوى من النصر بالمستقبل، إذ لم يكن لها عهد قط بأي شكل من أشكال الحكم سوى الملكية المطلقة، وقد أحست أن التخلي عن السلطة الملكية على هذا النحو المقترح الآن مفض لا محالة إلى صدوع لا رأب لها في صرح الحكومة الوطيد، وإلى تقويض تلك الركيزة السيكلوجية التي يستمدها من التقاليد والعرف، والنزول بها إن عاجلا أو آجلا إلى فوضى الجماهير المتسيدة. ثم يالها من سبة أن تسلم ولدها سلطة دون تلك التي تمتع بها أبوه (أو

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٣٠/١٤

ريشليو)! ذلك تقاعس عن واجبها سوف يوقفها موقف الإدانة أمام محكمة التاريخ. ووافقها مازاران لما رأى من قضاء مبرم عليه في هذه المطالب الوقحة من هؤلاء القانونيين المتنطعين. ومن ثم أمر في ٢٦ أغسطس بالقبض على بيير بروسيل وغيره." (١)

"الجريمة. أما السبب الثاني في رأي الروائي العظيم فهو الزيادة في استهلاك الجن. يقول:

"إن شراب الجن هو القوت الرئيسي (إن جاز لنا أن نسميه كذلك) الأكثر من مائة ألف شخص في هذه العاصمة. وكثير من هؤلاء التعساء يترعون عدة أكواب من هذا السم خلال أربعة وعشرين ساعة، ومن سوء حظي أنني أرى وأشم أيضا كل يوم ما يخلفه هذا من آثار رهيبة (٧٦) ".

وأما السبب الثالث هو القمار، والرابع قصور القوانين، فقد ترك مهمة القبض على المجرمين لحراس أو خفراء:

"يختارون من بين أنس فقراء، شيوخ، عجزة ... يطلب إليهم وهم لا يحملون من السلاح غير عمود لا يكاد يقوى بعضهم على رفعه، أن يؤمنوا أشخاص رعايا صاحب الجلالة وبيوتهم من هجمات عصابات أوغاد صغار السن، شجعان، أشداء، مستهترين، مدججين بالسلاح (٧٧) ".

وحتى إذا لم يرهب الحارس عنف اللصوص، فإن في الإمكان رشوته، وكذلك الضابط الذي يرفع إليه بلاغاته، وكذلك القاضي الذي يأتيه الضابط بمجرم. وكانت واجبات الشرطة في لندن موكولة إلى ١. ٠٠٠ ضابط، و٤٧٤ معاونا، و٧٤٧ حارسا. وبين القبض والإدانة قام ٢. ٢١٤ محاميا بلندن بعضهم ذوو ثقافة قانونية ونزاهة معقولة، وبعضهم لم يبلغوا هذا المبلغ تماما. قال الدكتور جونسون في رجل برح الغرفة لتوه، إنه "لا يحب أن يغتاب إنسانا، ولكنه يعتقد أن الرجل محام (٧٨) ".

ولم يوافق فيلدنج على رأي كوك الذي ذهب غلى أن "حكمة جميع الحكماء في العالم، لو اجتمعوا معا في وقت واحد، ما كانت لتعدل" فضائل الدستور الإنجليزي. ولعله كان يسلم بأن ذلك الدستور." (٢)

"عن خدماتك يضطرني إلى نفيك إلى شانتلوب حيث يتعين عليك أن ترحل في ظرف أربع وعشرين ساعة". وتحدى أكثر الحاشية غيظ الملك بالإعراب عن عطفهم على الوزير المقال بعد أن صدمه هذا الطرد الفجائي لرجل أدى لفرنسا خدمات جليلة. وركب نبلاء كثيرون إلى شانتلوب ليواسوا شوازيل في منفاه. وكان منفى مريحا لأن ضيعة الدوق كانت تحوي قصرا من أبدع القصور، وحدائق خاصة من أرحب الحدائق في فرنسا؛ ثم إنه كان يقع في تورين غير بعيد من باريس. هنالك عاش شوازيل حياة الأبهة والأناقة، لأن دوباري أقنعت الملك بأن يرسل إليه ٣٠٠. ٠٠٠ جنيه فورا وتعهدا بستين ألفا كل عام. وحزن جماعة الفلاسفة لسقوطه، وبكى الطاعمون على مائدة دولباخ قائلين: "لقد ضاع كل شيء" وقال ديدرو في وصفهم إنهم غرقوا في دموعهم.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٢/٣١

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠٣/٣٥

٩ – تمرد البرلمانات

جاءت بعد شوازيل "حكومة ثلاثية" كان ديجون وزير الخارجية فيها وورينيه نيكولا دمويو مستشارا، والأبيه جوزيف ماري تريه مراقبا ماليا. وأعطى تريه لدوباري كل ما طلبته من مال، ولكنه فيما عدا ذلك خفض المصروفات تخفيضا بطوليا. فأوقف استهلاك الديون، وخفض نسبة الفائدة على الديون الحكومية، ووضع الجديد من الضرائب، والفروض، والرسوم وضاعف الرسم الحكومي على النقل الداخلي. وبلغت جملة ما وفره ٣٦. ٠٠٠. ٠٠٠ جنيه، وأضاف ١٥. ٠٠٠. ٠٠٠ إلى الدخل. والواقع أنه إنما أجل الانهيار المالي بتفليسة مؤقتة ولكن الكثيرين عانوا من تخلف الحكومة في إيفاء ديونها، وضموا أصواتهم لأصوات السخط الذي لم يهدأ. وما لبث العجز أن عاد إلى التفاقم حتى بلغ ٤٠. ٠٠٠. ٠٠٠ جنيه في آخر سنوات الحكم (١٧٧٤). وكان هذا الذي يبدو اليوم دينا أهليا متواضعا لأمة تتمتع بالاستقرار المالي مبررا إضافيا لقلق أولئك الذين أقرضوا الحكومة مالا، والذين سمعوا الآن، بعداء أقل الصيحات المتصاعدة بطلب التغيير.

وكانت أزمة الذروة في العقد الأخير من حكم لويس الخامس عشر هي." (١)

"من أهل برن لي"، كل هذا حدا به إلى الاعتقاد بأنه الآن في مأمن من الإزعاج والمطاردة. والتمس من مجلس الشيوخ شيئا من التفسير والتأجيل، واقترح بديلا يائسا لحكم النفي:

"لست أرى لي غير سبيل واحد، ومهما بدا رهيبا، فإني سأتخذه لا دون نفور فحسب، بل برغبة شديدة إذا تفضل أصحاب السعادة بالموافقة. وذلك إنني إن طاب لهم سأقضي ما بقي لي من أجل سجينا في إحدى قلاعهم، أو في أي مكان آخر في ضياعهم يرون اختياره. وسأعيش فيه على نفقتي، وسأقدم ضمانا بألا أكلفهم أي نفقة. وأقبل ألا أحمل ورقا أو قلما، أو أكون على اتصال بأي إنسان في الخارج. فقد سمحوا لي، وع بعض الكتب، بالاحتفاظ بحرية المشي بين الحين والحين في حديقة، وسيرضيني هذا.

أكان ذلك إيذانا بانهيار عقله؟ إنه يؤكد لنا عكس هذا:

"لا تظنوا أن وسيلة تبدو بهذا العنف هي ثمرة اليأس. فعقلي في تمام الهدوء في هذه اللحظة. وقد ترويت في اتخاذ قراري، ولم انته إليه إلا بعد تفكير عميق. وأرجو أن تلاحظوا أنه إذا بدا هذا قرارا شاذا فإن وضعي أكثر شذوذا. فالحياة المضطربة التي أكرهت على أن أحياها سنوات عديدة دون انقطاع، خليقة بتعذيب رجل موفور العافية، فما بالكم بعليل تعس براه التعب وسوء الحظ، ولم يعد له الآن من أمنية إلا أن يموت في هدوء وسلام (٩٣) ".

وكان رد برن أن أمرته بالرحيل عن الجزيرة وعن كل إقليم برن خلال أربع وعشرين ساعة (٩٤).

فإلى أين يمضي؟ كان لديه دعوات إلى بوتسدام من فردريك، وإلى كورسيكا من باولي، وإلى اللورين من سان–لامبير، وإلى أمستردام من ناشره ري، وإلى إنجلترا من ديفد هيوم. ففي ٢٢ أكتوبر كتب إليه هيوم الذي كان يومها سكرتيرا للسفارة

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٥٠/٣٩

البريطانية في باريس يقول:

"أن محنك العجيبة التي لم يسمع بمثلها، فضلا عن فضيلتك وعبقريتك." (١)

"الصيف، ويثرثر الجار مع جاره إذ هما يستحمان ثرثرة لا تنقطع (٥٢)؛ وكانوا يستحمون في الشتاء بماء ساخن مبلغ حرارته مائة وعشر درجات، فيكون لهم ذلك وسيلة تدفئة من البرد؛ وكان غذاؤهم بسيطا وصحيا قبل أن تطغى عليهم موجة الترف؛ ووصف الصينيون اليابانيين في الزمن القديم فقالوا عنهم إنهم "شعب طويل العمر، حتى ليكثر فيه الأفراد الذين يبلغون في أعمارهم مائة عام" (٥٣).

وكان الطعام الرئيسي عند الشعب هو الأرز، يضيفون إليه السمك والخضر ونبات البحر والفاكهة واللحم، كل بنسبة ثرائه؛ وكان اللحم لونا من الطعام نادرا إلا بين الطبقة العالية وطبقة الجنود؛ وكان العامل الياباني يفضل هذا الطعام الذي يتألف من أرز وسمك ولا لحم، يتمتع برئتين سليمتين وعضلات قوية، فيستطيع الجري من خمسين ميلا إلى ثمانين في أربع وعشرين ساعة دون أن يشكو إعياء. فإذا ما أضاف اللحم إلى غذائه، فقد قدرته هذه على الجري السريع (١) وحاول الأباطرة في عصر كيوتو محاولة دينية قصدوا بها أن يؤيدوا قوانين التغذية كما تأخذ بها البوذية؛ فحرموا ذبح الحيوان وأكله؛ ولكن لما رأى الناس أن الكهنة أنفسهم كانوا يخرجون على تلك القوانين خفية، أخذوا يدخلون اللحم لونا شهيا من الطعام ويسرفون في أكله كلما مكنتهم من ذلك قدرتهم المالية (٥٧).

فاليابانيون كالصينيين والفرنسيين يعدون إجادة الطهي علامة جوهرية للحضارة، حتى لقد أخذ الطهاة كأنهم في ذلك فنانون أو فلاسفة ينقسمون مدارس يناهض بعضها بعضا بما تبدع كل منها من "وصفات".

---

(١) لكننا نلاحظ من جهة أخرى أن اليابانيين الذين لم يكونوا يعملون بأجسادهم، وكانوا يعيشون على كميات كبيرة من الأرز، كانوا يتعرضون لاضطرابات في الهضم.." (٢)

"وبدأ التصويت على جرم (إدانة) الملك في ١٥ يناير سنة ١٧٩٣ · فصوت ٦٨٣ – بمن فيهم ابن عم الملك فيليب دأورليان Philippe d'Orleans من بين ٧٤٩ نائبا على إدانة الملك · وقد عارض روبيسبير ومارا وسان . جوست Saint-Just حركة طرح هذا القرار (الحكم) للتصديق أو دعوة الشعب الفرنسي للاقتراع عليه من خلال جمعيات القاعدة Primary assemblies، ولم يحظ هذا الاقتراح بالقبول فقد عارضه ٤٢٤ ولم يوافق عليه سوى ٢٨٧، لأن دعوة الشعب إلى مثل هذا الاقتراع تعني استفتاءهم على عودة الملكية، كما قال سان جوست· أما روبيسبير الذي طالما دافع عن الديمقراطية وحق الذكور جميعهم في الانتخاب فقد تردد الآن وقال إن: "الفضيلة (وتعني الحماسة الجمهورية) كانت دائما في الأقلية على هذه الأرض" وعندما وضع السؤال التالي في صياغته الأخيرة في ١٦ يناير:

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٣٩/٣٩

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٥٥/٥

"ما هو الحكم الذي سيتعرض له ملك فرنسا؟ "

فإن الفريقين دخلا في نزاع شهدته الشوارع حيث صاحت الجموع مطالبة بحكم الإعدام وهددوا حياة كل من يصوت لحكم أقل من الإعدام، حتى إن النواب الذين كانوا حتى الأمس يطالبون بعدم إعدامه أصبحوا خوفا على حياتهم يصوتون لصالح الحكم عليه بالإعدام، وأذعن دانتون، وثبت بين Paine على موقفه، أما فيليب دأورليان الذي كان مستعدا للحاق بابن عمه فقد صوت لإقصائه (لإعدامه) أما مارا فقد صوت لإعدامه في ظرف أربع وعشرين ساعة أما روبيسبير الذي كان دائما يعارض العقوبات الغليظة (الإعدام) فقد أصبح الآن يقدم الحجج ليبرهن على أن بقاء الملك حيا سيكون خطرا على الجمهورية، أما كوندورسيه فطالب بإبطال العقوبات الغليظة (الإعدام) الآن وإلى الأبد، وحذر بريسو من أن الحكم بالإعدام سيؤدي إلى دخول ملوك أوروبا كلهم الحرب ضد فرنسا." (١)

"وعلى أية حال فقد كانت هناك حدود لدوران تاليران وعبثه، فعندما طردت الجماهير الملك والملكة من قصر التوليري وأقامت دكتاتورية البروليتاريا، فإنه لم ينحن للسادة الجدد وإنما استقل قاربا واتجه إلى إنجلترا في ١٧ سبتمبر سنة ١٧٩٢، وهناك قوبل بمشاعر مختلفة ومتباينة، فقد استقبله بحرارة كل من جوزيف برستلي Joseph Priestley وجيرمي بنثام Jeremy Bentham وجورج كاننج George Canning وتشارلز جيمس فوكس Fox، أما من استقبلوه ببرود فهم الارستقراطية الإنجليزية الذين لم ينسوا دوره في الثورة الفرنسية.

وفي مارس سنة ١٧٩٤ انتهى التسامح الانجليزي معه وصدرت الأوامر له بمغادرة انجلترا في غضون أربع وعشرين ساعة، فأبحر إلى الولايات المتحدة وعاش هناك بارتياح من عوائد ممتلكاته واستثماراته، وعاد إلى فرنسا (أغسطس ١٧٩٦)، وأصبح وزيرا للخارجية (يوليو ١٧٩٧) في ظل حكومة الإدارة. وبمثل هذه الطاقة والقدرة استطاع أن يضيف لثروته الكثير بأساليب شتى حتى أنه كان قادرا على إيداع مبلغ ثلاثة ملايين فرنك في البنوك الإنجليزية والألمانية. وعندما علم أن حكومة الإدارة ستسقط استقال منها في ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٩ وراح ينتظر مطمئنا مترقبا وصول نابليون للحكم ليستدعيه لشغل منصبه من جديد، ولم يطل انتظاره فقد استدعاه القنصل (نابليون) في ٢٢ نوفمبر سنة ١٧٩٩ ليصبح – من جديد – وزيرا للخارجية." (٢)

"والموضع الذي مبلغ أطول ما يكون من النهار فيه اثنتان وعشرون ساعة من ساعات الاستواء، فإن بُعد تلك الدائرة الموازية من معدل النهار خمسة وستون جزءاً ونصف جزء وظل رأس الحمل هناك ست وعشرون إصبعاً وعشرون دقيقة وثلاثون ثانية من إصبع، وظل رأس السرطان عشر أصابع وأربعون دقيقة وثماني عشرة ثانية، وظل رأس الجدي ألف إصبع ومئة وخمسون إصبعاً وسبع عشرة دقيقة وتسع ثوان من إصبع.

والموضع الذي يكون مبلغ أطول أيامه ثلاث وعشرون ساعة من ساعات الاستواء يكون بعد الدائرة الموازية عليه من معدل النهار ستة وستين جزءا وظل رأس الحمل هناك ست وعشرون إصبعا وسبع وخمسون دقيقة من إصبع، وظل رأس السرطان

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ملحق/١٣٣

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ملحق/٣٥٩

عشر أصابع وإحدى وخمسون دقيقة وسبع وعشرون ثانية ولا حدَّ لظل الجدي.

والموضع الذي مبلغ أطول ما يكون النهار فيه أربع وعشرون ساعة من ساعات الاستواء فإن بعد دائرته الموازية من معدل النهار ستة وستون جزءاً ونصف جزء قال: وهذه أول الدوائر التي يقع الظل فيها دائراً حول المقياس وكل ما انتصب، وذلك أن الشمس لَّما كانت لا تغيب هناك في الانقلاب الصيفي وحده – يريد رأس السرطان – صارت أظلال المقاييس تقع إلى جميع جهات الأفق وفي هذا الموضع دائرة الإنقلاب الصيفي الموازية لمعدل النهار دائمة الظهور، ودائرة الانقلاب الشتوي الموازية لمعدل النهار دائمة الخفاء من قبل أنهما جميعاً يماسَّان الأفق فيه على المبادلة ويصير الدائرة المائلة أيضاً التي تمر بأوساط البروج هي الأفق إذا كان الطالع منها نقطة الاستواء الربيعي – أي رأس الحمل.

قال: فإن أحب محبٌّ من قبل الازدياد في العلم أن يبحث بوجه آخر من الدوائر أيضاً التي أميل إلى الشمال من الدوائر التي ذكرناها عن شيء من جمل ما يلزم فيها وجد الموضع الذي ارتفاع القطب الشمالي فيه سبعة وستون جزءاً بالتقريب وهي بُعده من معدل النهار الذي هو منطقة الاستواء، لا يغيب هناك خمسة عشر جزءاً من الدائرة التي تمر أوساط البروج التي عن كل واحدة من جنبتي رأس السرطان – يريد من نصف الجوزاء إلى نصف السرطان – حتى يكون مبلغ أطول ما يكون من النهار وهناك ودور الأظلال إلى جميع جهات الأفق قريباً عن شهر واحد.

وحيث يكون ارتفاع القطب تسعة وستين جزءاً ونصف جزء فإنك تجد هناك عن كل واحدة من جنبتي الانقلاب الصيفي ثلاثين جزءاً لا تغيب أصلاً – يريد من أول الجوزاء إلى آخر السرطان – حتى يكون أطول ما يكون من النهار هناك ودور إظلال المقاييس قريباً من شهرين.

وحيث يكون ارتفاع القطب وبعد الدائرة الموازية من معدل النهار ثلاثة وسبعين جزءاً وثلث جزء فإنك تجد هناك ن كل واحدة من جنبتي الانقلاب الصيفي خمسة وأربعين جزءاً لا تغيب – يريد ما بين نصف الثور ونصف الأسد – حتى يكون مبلغ أطول ما يكون من النهار هناك ودور إظلال المقاييس يمتد إلى قريب من ثلاثة أشهر.

وحيث يكون ارتفاع القطب ثمانية وسبعين جزءاً وثلث جزء فإنك تجد هناك عن كل واحدة من جنبتي الانقلاب الصيفي ستين جزءاً لا تغيب، وهي من أول الثور إلى آخر الأسد، حتى يكون مبلغ أطول ما يكون من النهار هناك، ودور إظلال المقاييس قريباً من أربعة أشهر.

وحيث يكون ارتفاع القطب أربعة وثمانين جزءاً فإنك تجد هناك عن كل واحدة من جنبتي الانقلاب الصيفي خمسة وسبعين جزءاً لا تغيب، وهي من نصف الحمل إلى نصف السنبلة، حتى يكون مبلغ أطول ما يكون من النهار هناك قريباً من خمسة أشهر وتكون أظلال المقاييس تدور حولها قريباً من هذه المدة من الزمان.." (١)

" فقالوا وأين الفراش فبعثوا لاحضاره وسألوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال دبوى نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب فقالوا له دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها فلم يرض ايضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها

(١) صفة جزيرة العرب، ص/١٣

ومضوا فباتت عندها في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما اصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فاحضرها وسلمها الى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته

وفي يوم الخميس نادوا في الاسواق بان كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل و يأخذ ثمنها واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان احضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها او كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والاسواق وان يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وان يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات

وفيه نادوا على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين والبطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة ايام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة الى صارى عسكر وقالوا له ارنا طريقا للذهاب فان طريق البرغير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم ." (١)

" ذلك بحجة قريبة او بعيدة العهد او بحجج اسلافهم ومورثيهم فاذا طولبوا باثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت او الاسفار او ربما حضرت الشهود فلم تقبل فان قبلت فعل به ما ذكر ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم اذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلوما لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فإذا بقيت اكثر من ذلك ضبطت للديوان ايضا ولا حق فيها للورثة وان فتحت على الرسم بأذن الديوان يدفع على ذلك الاذن مقررا أو كذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وكذلك من يدعي دينا على الميت يثبته بديوان الحشريات ويدفع على اثباته مقرر او يأخذ له ورقة يستلم بها دينه فاذا استلمه رفع مقررا ايضا ومثل ذلك في الرزق والاطيان بشروط وانواع وكيفية اخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوي والمنازعات والمشاجرات والاشهادات الجزئيات والكليات والمسافر كذلك لا يسافر الا بورقة ويدفع عليها قدرا وكذلك المولود اذا ولد ويقال له اثبات الحياة وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الاملاك وغير ذلك

وفيه نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون او منهزمون لا يسخرون بهم ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم

وفيه نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكر عند الامراء فأخذوا مكانا بوكالة علي بساحل بولاق وبالجمالية واخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بانهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم

---

(١) عجائب الآثار، ٢/٢٠٨

وفيه أحضروا محمد كتخدا اباسيف الذي كان سردارا بدمياط من طرف الامراء المصريين وكان سابقا كتخدا حسن بك الجداوي فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشا لابراهيم بك

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول الى المدينة ." (١)

"أديت صلاة العيد في القاهرة وغادرت مصر في سفينة يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة إبريل واتجهنا نحو الصعيد الأعلى وهو ولاية مصرية في الجنوب يأتي منها ماء النيل إلى مصر وأكثر رغدها منه وهناك على ضفتي النيل كثير من المدن والقرى يطول وصفها.

وقد بلغنا مدينة تسمى أسيوط يزرع فيها الأفيون وهو الخشخاش وحبه أسود حين تنمو الشجرة تكسر ويربط كيس في موضع الكسر فيخرج منه عصير يشبه اللبن فيجمعونه ويحفظونه وهو الأفيون وبذور هذا الخشخاش صغيرة مثل الكمون وينسجون في أسيوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لها في العالم والصوف الدقيق الذي يصدر إلى بلاد العجم والمسمى الصوف المصري كله من الصعيد الأعلى لأنهم لا ينتجون الصوف بمدينة مصر نفسها وقد رأيت في أسيوط فوطة من صوف الغنم لم أر مثلها في لهاورأو ملتان وهي من الرقة بحيث تحسبها حريراً.

ومن هناك بلغنا مدينة تسمى قوص رأيت فيها أبنية عظيمة من الحجارة تبعث على العجب في نفس من يراها وهي مدينة قديمة محاطة بسور من الحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة التي يزن الواحد منها عشرين أو ثلاثين ألف من والعجيب أنه ليس على مسافة عشرة أو خمسة عشر فرسخاً منها جبل أو محجر فمن أين وكيف نقلوا هذه الحجارة؟ ومن قوص بلغت مدينة تسمى إخميم وهي مدينة واسعة عامرة رجالها أشداء لها سور حصين وبها نخل وبساتين كثيرة وقد أقمت بها عشرين يوما وفي هذه الجهة طريقان أحدهما صحراوي لا ماء فيه والثاني طريق النيل وقد ترددنا أي الطريقين نسلك وأخيراً سرنا في طريق النيل وبلغنا مدينة أسوان.

عند الجانب الجنوبي من أسوان جبل يخرج من وسطه النيل ويقال إن السفن لا تستطيع المضي في النيل وراء هذا الجبل لأن الماء هناك ينحدر من شلالات عظيمة وعلى مسافة أربعة فراسخ من هذه المدينة طريق ولاية النوبة وهي ولاية أهلها جميعا نصارى ويرسل ملوكها من قديم الهدايا لسلطان مصر وبين البلدين عهود ومواثيق فلا يذهب جيش السلطان هناك ولا يؤذي أهلها ومدينة أسوان محصنة جدا بحيث لا يستطيع أحد إن يقصدها من النوبة وبها جيش دائم للمحافظة عليها وعلى ولايتها ويقابل المدينة جزيرة وسط النيل كأنها حديقة فيها نخل وزيتون وأشجار أخرى وزرع كثير ويروى زرعها بالسواقي وقد لبثت بها واحداً وعشرين يوماً كان أمامنا حتى شاطئ البحر صحراء فسيحة طولها أكثر من مائتي فرسخ .

وكان حينذاك الموسم الذي يعود فيه الحجاج على الجمال فانتظرناهم لنستأجرها ونذهب بها وهي راجعة وكنت عرفت وأنا في أسوان رجلاً تقياً صالحاً يعرف شيئاً من علم المنطق اسمه عبد الله محمد بن فليج وقد عاونني في اكتراء الجمل واختيار الرفيق وغير ذلك وقد استأجرت جملاً بدينار ونصف دينار ورحلت عن هذا البلد في الخامس من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة يوليو كان الطريق يتجه نحو الجنوب.

---

(١) عجائب الآثار، ٢/٢١٠

بعد ثمانية فراسخ من رحلتنا بلغنا جهة تسمى ضيقة وهي واد في الصحراء على جانبيه حائطان من الجبال وسعته مائة ذراع وقد حفر فيه بئر يخرج منه ماء كثير ولكنه ليس عذبا وبعد إن تركنا ضيقة سرنا خمسة أيام في صحراء لا ماء فيها كان مع كل منا قربة ماء ثم بلغنا منزلا يسمى الحوض وهو جبل حجري فيه عينان يتفجر منهما ماء عذب يستقر في حفرة ولم يكن بد من إن يذهب رجل إلى حيث العينان ليحضر الماء لشرب الإبل التي مضى عليها سبعة أيام لم تشرب فيها ولم تأكل إذ إن علفها قد نفد كله وكانت تستريح مرة في الأربع وعشرين ساعة وذلك من الوقت الذي تشتد فيه حرارة الشمس حتى صلاة العصر وتسير بقية الوقت والمنازل التي ينزلون بها معلومة فليس ممكنا النزول في أي مكان لتعذر وجود ما توقد به النار أما في هذه المنازل فإنهم يجدون بعر الإبل فيتخذونه وقودا يطبخون عليه ما تيسر كان الإبل تعلم أنها إن أبطأت ماتت عطشا فهي تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق في هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق وهناك أمكنة يقل فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخاً ويكون ملحا وأمكنة لا يوجد فيها ماء قط مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخاً.." (١)

"بعد إن أيسرنا ارتدينا ملابسنا وذهبنا يوماً إلى ذلك الحمام الذي لم يسمح لنا بدخوله من قبل فوقف الحمامي عند دخولنا من الباب وكذلك وقف كل من الحاضرين حتى دخلنا ثم جاء المدلك والقيم وقاما بخدمتنا فلما فرغنا ودخلنا غرفة الملابس وقف كل من بها ولم يجلسوا حتى لبسنا ثيابنا وخرجنا وفي أثناء ذلك كان الحمامي يقول لصاحب له هذان هما الرجلان اللذان لم ندخلهما الحمام يوم كذا كان يظن أنني لا أعرف لغته فقلت له بالعربية حقا ما تقول فنحن اللذان كنا نلبس خرقة من الصوف على ظهرنا فخجل الرجل واعتذر كان بين هذين الحالين عشرون يوماً وقد ذكرت هذا الفصل حتى يعرف الناس أنه لا ينبغي التذمر من أزمات الزمان واليأس من رحمة الخالق جل جلاله وعم نواله فإنه تعالى رحيم.

وصف المد والجزر بالبصرة ووصف أنهارها

يحدث المد ببحر عمان عادة مرتين كل أربع وعشرين ساعة فيرتفع الماء بمقدار عشر أذرع وحين يبلغ الارتفاع أقصى مداه يبدأ الجزر بالتدريج فينخفض الماء عشراً أو اثنتي عشرة ذراعاً ويعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدار الأذرع العشر بظهوره على عمود أقيم هناك أو على حائط ولو كانت الأرض مستوية وغير عالية لعظم امتداد البحر إليها ويسير النهران دجلة والفرات بغاية البطء حتى يتعذر في بعض الجهات معرفة اتجاه التيار فيهما وحين يبدأ المد بدفع البحر ماءهما مسافة أربعين فرسخاً حتى يظن إنهما يرتدان إلى منبعيهما أما في الأماكن الأخرى التي تقع على شاطئ البحر فإن امتداد المد إليها يتوقف على ارتفاعها وانخفاضها فحيثما استوت الأرض ازداد المد وحيثما ارتفعت قل ويقال إن المد والجزر متعلقان بالقمر فيبلغ المد أقصى مداه حين يكون القمر على الأفقين يعني أفقي المشرق والمغرب ومن ناحية أخرى حين يكون القمر في اجتماع الشمس واستقبالها يزداد الماء أي إن المد يزيد في هذه الأوقات ويعظم ارتفاعه وحين يكون القمر في التربيعات تأخذ المياه في النقصان يعني لا يكون علوها كثيراً وقت المد ولا ترتفع ارتفاعها وقت الاجتماع والاستقبال وكذلك يكون جزرها في هذه الحالة أقل هبوطا منه في وقت الاجتماع والاستقبال وبهذه الدلائل يقولون إن المد والجزر متعلقان بالقمر والله تعالى

---

(١) سفر نامه، ص/٣١

أعلم .

والأبلة التي تقع على النهر المسمى بها مدينة عامرة وقد رأيت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدها أو وصفها والمدينة الأصلية تقع الجانب الشمالي للنهر وعلى جانبه الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنية الكبيرة ما لا يوجد أحسن منه في العالم وهذا الجانب الجنوبي يسمى شق عثمان والشط الكبير الذي هو دجلة والفرات مجتمعين والمسمى شط العرب يقع شرقي الأبلة والمدينة في الجنوب ويلتقي نهرا الأبلة ومعقل عند البصرة وقد ذكرت ذلك من قبل.

وصف أحياء البصرة والبصرة عشرون ناحية في كل منها كثير من القرى والمزارع وهي حشان شربه بلاس عقر ميسان المقيم نهر حرب شط العرب سعد سام الجعفرية المشان الصمد الجونة الجزيرة العظمى مروت الشرير جزيرة العرش الحميدة الحويزة المنفردات .

ويقال إنه كان من المتعذر في وقت ما إن تمر سفينة من فم نهر الأبلة لعظم عمق مائه فأمرت امرأة من أثرياء البصرة بتجهيز أربعمائة مركب وملأتها كلها بنوى التمر وأغرقتها هناك بعد أحكام سدادها فارتفع القاع وتيسر عبور السفن وفي الجملة فقد غادرنا البصرة في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ٢٠فبراير فركبنا الزورق وسرنا في نهر الأبلة ورأينا طوال أربعة فراسخ في اجتيازه حدائق وجواسق ومناظر لا تنقطع على شاطئيه ويتفرع من هذا النهر ترع كل منها في سعة نهر فلما بلغنا شق عثمإن وهي أمام الأبلة نزلنا وأقمنا بها وفي السابع عشر من شوال فبراير ركبنا سفينة تسمى بوصي كان الناس الكثيرون الواقفون على الجانبين يصيحون قائلين سلمك الله يا بوصي وقد بلغنا عبادان فنزل الركاب من السفينة.." (١)

"وصدرت إلي التعليمات لان أبقى في برج المراقبة لمدة أربع وعشرين ساعة وذلك من أجل الاطمئنان على حركة الطائرات في ذلك اليوم التي كانت غير اعتيادية كما أخبروني بأن جلالة الملك سيزور برج المراقبة بصحبته مدير الميناء وبعض الشخصيات للاطلاع على احدث الآلات التي تم تركيبها في البرج (أنظر الصورة عند زيارة الملك للبرج وقد ظهر المؤلف وهو يشرح للملك بعض التفاصيل عن الأجهزة).

وحوالي الساعة الحادية عشرة من يوم الخامس والعشرين هبطت طائرة الملك الخاصة ثم تبعتها بعض الطائرات تحمل الحاشية ثم بعض طائرات السلاح الجوي العراقي التي رافقت طائره الملك. كما جاء صباح ذلك اليوم بالقطار بعض الشخصيات من بغداد ليكونوا في استقبال الملك ولحضور الاحتفال. ومن كبار الشخصيات الذين حضروا الاحتفال السيد محمد الصدر رئيس مجلس الأعيان ورئيس الوزراء جميل المدفعي. وكان ذلك اليوم يوماً لا ينسى في تاريخ البصرة الحديث وربما في تاريخ العراق بما اتسم به من مظاهر الهيبة والأبهة.

كما أبرزت تلك الاحتفالات إمكانات دائرة الميناء الضخمة وما أظهرته دوائرها المختلفة من استعداد وتناسق في العمل لم

---

(١) سفر نامه، ص/٤٤

يكن له أي شبه أو مثيل في دوائر الحكومة العراقية الأخرى.

وبعد اكتمال مرافق المطار والافتتاح الرسمي الذي تم أصبحت للمطار شهره عالميه. حيث لم يكن في المنطقة أي مطار يضاهيه. كذلك فان اكتشافات النفط الجديدة في البلاد المجاورة زاد من أهمية المطار كما ازدادت رحلات طائرات شركات النفط التي كانت تنقل الموظفين باستمرار. ومن البصرة كانوا ينطلقون إلى الكويت وعبادان والظهران في السعودية.

عام المجلس التشريعي في الكويت

في النصف الثاني من عام ١٩٣٨ وقع حدث هام في الكويت لا يمكن إغفاله لأن حوادثه أصبحت جزءاً من تاريخ هذا البلد وعلينا أن نتقبلها ونتفهم ذلك بمفاهيم ومقاييس تلك الأيام.." (١)

"وهنا يحتاج الأمر إلى وقفة تأمل في القانون الذي أقره المجلس كما قدمه العدساني والذي أعده خلال فترة أربع وعشرين ساعة. ومن قراءة أول مادة منه يتبين انه دستور وليس قانونا وكان المفروض إعطاء الفرصة الكافية للتفكير في الأمر وعمل الاستشارات اللازمة مع خبراء ورجال سياسة في بلاد عربية مع الأخذ بالاعتبار علاقة الكويت ببريطانيا ومعاهدة الحماية المعقودة بين البلدين وتقاليد البلد المتوارثة التي تربط الحاكم بالمحكوم. ولكن مع الأسف الشديد لم يحصل شيء من هذا. فالمادة الأولى من القانون تقول –الأمة مصدر السلطات ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين–.

أما المادة الثالثة فتقول –مجلس الأمة التشريعي مرجع لجميع المعاهدات والامتيازات الداخلية والخارجية والاتفاقات وكل أمر يستجد من هذا القبيل لا يعتبر شرعيا إلا بموافقة المجلس وإشرافه–.

أما المادة الخامسة فتقول –رئيس مجلس الأمة التشريعي هو الذي يمثل السلطة التنفيذية في البلاد–.

فإذا رجعنا إلى المادة الأولى نجد أن المجلس هو مصدر السلطات والمادة الخامسة تقول رئيس المجلس التشريعي هو الذي يمثل السلطة التنفيذية ومعنى هذا أن المجلس أصبح هو المشرع والمنفذ!

والسؤال هنا أين موقع الحاكم من كل هذا وأين موقع بريطانيا من معاهدة الحماية إذا كانت الامتيازات الداخلية والخارجية بيد المجلس كما تقول المادة الثالثة؟

وتمر الأيام ويطالب أعضاء المجلس بإبعاد بعض حاشية الأمير على اعتبار انهم يستغلون مراكزهم لمنافعهم الشخصية وانهم

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٢٠٩

لا يقدمون إلا الأخبار المضللة التي تزيد من شقة الخلاف بين الحاكم والمجلس. ولا شك أن إثارة مثل هذه الأمور الجانبية بين المجلس والحاكم قد أثارت الشكوك لا سيما بعد أن أصر المجلس على المطالب المشار إليها.." (١)

"ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه، والأفلاك أجسام كريات مشقات بعضها في جوف بعض وهي تسعة أقربها إلينا فلك القمر، وبعده فلك عطارد، ثم بعده فلك الزهرة، وبعده فلك الشمس، وفوقه فلك المريخ، ثم فلك المشتري، وفوقه فلك زحل، ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة، ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع، ويسمى الأطلس، وفلك الأفلاك، وفلك الكل، وقد اختلف في الأفلاك فقيل: هي السموات، وقيل: بل السموات غيرها، وقيل: بل هي كرية، وقيل غير ذلك. وقيل: الفلك الثامن هو الكرسي، والفلك التاسع هو العرش، وقيل غير ذلك. وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة، ودورانه يكون أبدا من المشرق إلى المغرب، ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لإدارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق أفق الأرض والليل مدة غيبوبة الشمس تحت أفق الأرض، وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كحجز البطيخة كل قسم منها يقال له: برج وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والد لو، والحوت. وكل برج من هذه البروج الإثني عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال: لكل قسم منها درجة، وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا إلى الثوالث والروابع والخوامس إلى الثواني عشر وما فوقها من الأجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا. فالزمان على ذلك أربعة فصول: وهي الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء. وجهات الأقطار أربعة: الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب. والأركان أربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. والطبائع أربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. والأخلاط أربعة: الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم. والرياح أربعة: الصبا، والدبور، والشمال، والجنوب.." (٢)

"احتيج في هذا الكتاب إلى إيراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ القبط منها، فإن بذكر ذلك يتم الغرض. فأقول: التاريخ عبارة عن يوم، ينسب إليه ما يأتي بعده، ويقال أيضا: التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من أول زمن مفروض لتعرف بها الأوقات المحدودة، ولا غنى عن التاريخ في جميع الأحوال الدنيوية، والأمور الدينية، ولكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتاج إليه في معاملاتها، وفي معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الأمم.

وأول الأوائل القديمة وأشهرها هو، كون مبدأ البشر، ولأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته، وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ، وكل ما تتعلق معرفته ببدء الخلق، وأحوال القرون السالفة، فإنه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد، وعجز المعتني به عن حفظه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: " ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله " " إبراهيم ٩ " . فالأولى أن لا يقبل من ذلك إلا ما يشهد به كتاب أنزل من عند

---

(١) رحلة مع قافلة الحياة، ص/٢١٦

(٢) المواعظ والاعتبار، ١/٦

الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ، ولا طرقه تبديل، أو خبر ينقله الثقات، وإذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الأمم خلافا كثيرا، وسأتلو عليك من ذلك ما لا أظنك تجده مجموعا في كتاب، وأقدم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا.

ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا

ماضيها وباقيها

اعلم: أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة، فقال قوم من القدماء الأول: بالأكوار والأدوار وهم الدهرية، وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة، وهم في ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم، وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سني العالم أو أيام العالم، وإنه كلما مضى ذلك العدد عادت الأشياء إلى حالها الأول.

وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل، أبي معشر وغيره، وتبع هؤلاء خلق وأنت تقف على فساد هذا الظن إن كنت تخبر من العدد شيئا ما، وذلك أنك إذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة، فإنك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس، فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الأدوار، ظنوا أنها عدد أيام العالم، فتفطن ترشد.

وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائر حتى تعود إلى تلك النقطة، وأن الكور هو استئناف الكواكب في أدوارها سيرا آخر إلى أن تعود إلى مواضعها مرة بعد أخرى.

وزعم أهل هذه المقالة، أن الأدوار منحصرة في أنواع خمسة: الأول: أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تداويرها.

الثاني: أدوار مراكز أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة.

الثالث: أدوار أفلاكها الحالة في فلك البروج.

الرابع: أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج.

الخامس: أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة، وهذه الأدوار المذكورة، منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة، ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة، فأقصر هذه الأدوار، أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة فإنه يدور في كل أربع وعشرين ساعة، دورة واحدة، وباقي الأدوار يكون في أزمنة أخر أطول من هذه لا حاجة بنا في هذه المسألة إلى ذكرها.

قالوا: وأدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج في كل ستة وثلاثين وألف سنة شمسية مرة واحدة، وحينئذ تنتقل أوجات الكواكب، وجوز هراتها إلى مواضع حضيضها، ونوبهراتها وبالعكس، فيوجب ذلك عندهم، عود العوالم كلها إلى ما كانت عليه من الأحوال في الزمان والمكان والأشخاص والأوضاع، بحيث لا يتخالف ذرة واحدة، وهم مع ذلك مختلفون في كمية ما مضى من أيام العالم، وما بقي.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣١٤

"وهم في عمل الأشهر مفترقون فرقتين، إحداهما الربانية: واستعمالهم إياها على وجه الحساب بمسير الشمس والقمر الوسط، سواء رؤي الهلال أو لم ير، فان الشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضي من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر، وذلك أنهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل إلى بيت المقدس ينصبون على رؤوس الجبال دبادب، ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال، وألزموهم بإيقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية، وكانت بينهم وبين السامرة العداوه المعروفة، فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم، ووالوا بين ذلك شهورا، اتفق في أوائلها أن السماء كانت متغيمة، حتى فطن لذلك من في بيت المقدس، ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الأفق من جهة المشرق، فعرفوا أن السامرة فتنتهم، فالتجأوا إلى أصحاب التعاليم في ذلك الزمان ليأمنوا بما يتلقونه من حسابهم مكايد الأعداء، واعتلوا لجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها، فعمل أصحاب الحساب لهم الأدوار، وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال، وأنكر بعض الربانية حديث القرباء ورفعهم الدخان، وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم إلى الشتات، فخافوا إذا تفرقوا في الأقطار وعولوا على الرؤية أن تختلف عليهم في البلدان المختلفة فيتشاجروا، فلذلك استخرجوا هذه الحسبانات واعتنى بها اليعازر بن فروح، وأمروهم بالتزامها والرجوع إليها حيث كانوا.

والفرقة الثانية هم الميلادية الذين يعملون مبادي الشهور من الاجتماع، ويسمون القراء والأسمعية، لأنهم يراعون العمل بالنصوص دون الإلتفات إلى النظر والقياس، ولم يزالوا على ذلك إلى أن قدم عاتان رأس الجالوت من بلاد المشرق في نحو الأربعين ومائة من الهجرة إلى دار السلام بالعراق، فاستعمل الشهور برؤية الأهلة على مثل ما شرع في الإسلام، ولم يبال أي أي يوم وقع من الأسبوع، وترك حساب الربانيين، وكبس الشهور بأن نظر كل سنة إلى زرع الشعير بنواحي العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن إلى أن يمضي منه أربعة عشر يوما، فإن وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة، وإن وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ، وتقدمت المعرفة بهذه الحالة، وإن من أخذ برأيه يخرج لسبعة تبقى من شفط، فينظر بالشام والبقاع المشابهة له في المزاج إلى زرع الشعير، فإن وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع، عد منه إلى الفاسح خمسين يوما، وإن لم يره طالعا كبسها بشهر، فبعضهم يردف الكبس بشفط، فيكون في السنة شفط وشفط مرتين، وبعضهم يردفه بآذر فيكون آذر وآذر في السنة مرتين، وأكثر استعمال العانانية لشفط دون آذر، كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره.

فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول: إن شهر تشري لا يكون أوله يوم الأحد والأربعاء، وعدته عندهم ثلاثون يوما أبدا، وفيه عيد رأس السنة، وهو عيد البشارة بعتق الأرقاء، وهذه العيد في أول يوم منه، ولهم أيضا في اليوم العاشر منه صوم الكبور، ومعناه الاستغفار، وعند الربانيين أن هذا الصوم لا يكون أبدا يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة، وعند من يعتمد في الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس في ليلة العاشر إلى غروبها من ليلة الحادي عشر، وذلك أربع وعشرون ساعة. والربانيون يجعلون مدة الصوم خمسا وعشرين ساعة، إلى أن تشتبك النجوم، ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا، وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصنات، وظلم الرجل أخاه، وجحد الربوبية، وفيه أيضا عيد المظلة، وهو سبعة أيام يعيدون في أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام

المظلة إلى آخر اليوم الثاني والعشرين، تمام سبعة أيام، واليوم الثامن يقال له عيد الإعتكاف، وهم يجلسون في هذه الأيام السبعة التي أولها خامس عشر تشري تحت ظلال سعف النخل الأخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الأشجار التي لا يتناثر ورقها على الأرض، ويرون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله آباءهم في التيه بالغمام، وفيه أيضا عيد القرائين خاصة صوم في اليوم الرابع والعشرين منه، يعرف بصوم كدليا، وعند الربانيين يكون هذا الصوم في ثالثه.." (١)

"وخرجت بعد ذلك الى المدينة أطوف شوارعها وميادينها وأستمع الى ناسها، ووددت لو يفسح لي الوقت لدراسة أكثر عمقا وتحقيقا، ففي هذه البقعة يقرأ المرء صفحة من صفحات الاستعمار الإفرنسي الملطخ بالعار الأبدي. وهاأنا أرى المدينة قطعة مختلسة من الشاطئ الإفرنسي أو كأنما اتصلت اليابسة باليابسة فلصق الشمال الافريقي بشاطئ فرنسا الجنوبي ، فتشابها وتشاكل الأمر.

وهنا لا تسمع إلا اللغة الإفرنسية من المواطنين والافرنسيين، ولم يبق للوطنيين إلا الأزياء المهلهلة والأعمال الحقيرة. وكنت حين أقرأ أن زعماء فرنسا قد اعتزموا أثناء الحرب أن يناضلوا من شمال إفريقيا لا أدرك باحاطة شاملة كيف يقاتلون من إقليم أجنبي في شمال افريقيا، ولكنني بعد الذي رأيت في الدار البيضاء أيقنت أن ذلك لا يتعدى انتقال حركة الحرب الافرنسية من إقليم فرنسي الى إقليم فرنسي كما كاد أن ينقل الحكم الروسي من موسكو الى "كويشيف" أثناء هذه الحرب. وحين يبلغ المرء الدار البيضاء يكون قد قطع أفريقيا من الشرق الى الغرب، في خلال أربع وعشرين ساعة. ولقد وقفت على شاطئ الأطلنطي أفكر في هذا الخطف العجيب يحمل امرءاً من القاهرة مساء ليكون مساء اليوم الثاني في الدار البيضاء، ينعم بالنسمات الوادعة أذ يرسلها المحيط الرهيب.

ولم يكن هذا الخاطر يثنيني عن إكبار الحملة العربية الكبرى قبل ثلاثة عشر قرنا وقد قطعت الفدافد والصحارى، والوهاد والأنجاد، ثم ضربت سهمها في أحشاء أفريقيا الشمالية، وراح هذا السهم ينحني ليخترق أسبانيا وجنوب فرنسا، وعلى أنوار هذا الخاطر تنعكس صورة جميلة، لئن عجز." (٢)

"ومما هو منسوب إليه بنقل حنين بن إسحاق وغيره، وليس لها ذكر أصلاً في كتاب حنين المتقدم ذكره، ومن ذلك تفسير كتب أوجاع النساء لابقراط ، مقالة واحدة، تفسير كتاب تدابير الأصحاء لأبقراط، مقالة واحدة، كتاب مداواة الأسقام، ويعرف أيضاً بطب المساكين، مقالتان، كتاب في الجبر، ثلاث مقالات، كتاب في الموت السريع، ومقالة واحدة، مقالة في الحقن والقولنج، مقالة في النوم واليقظة والضمور، مقالة في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة، مقالة في عناية الخالق عز وجل بالإنسان، رسالة إلى فيلافوس الملكة في أسرار النساء، رسالة في فسطانس القهرمان في أسرار الرجال، كتاب في الأدوية المكتومة التي كنى عنها في كتبه ورمزها، مقالة واحدة؛ وقال حنين بن إسحاق غرض جالينوس في هذا الكتاب أن يصف ما جمعه طول عمره من الأدوية الخفيفة الخواص، وجربها مراراً كثيرة فصحت، فكتمها عن أكثر الناس ضناً بها عنهم، ولم يطلع عليها إلا الخواص من ذوي الألباب وصحة التمييز من أهل الصناعة، وقد كان غيري فسر هذا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/٢٤٧

(٢) من القدس إلى واشنطن، ص/٢١

الكتاب فصحف وزاد فيه ما ليس منه، ونقّص منه ما لم يفهم تفسيره، فساعدت نفسي فيه بحسب الإمكان والطاقة، وقابلت به على التجارب التي اجتمعت عندي، وفسرت ذلك إلى العبري لأبي جعفر محمد بن موسى، مقالة في استخراج مياه الحشائش، مقالة في أبدال الأدوية، كتاب فيما جمع من الأقاويل التي ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب، مقالة في الألوان، جوامع كتابه في البرهان، كتاب الرد على الذين كتبوا في المماثلات، كتاب طبيعة الجنين، كتاب الرد على أرثيجانس في النبض، كتاب في السبات اختصار لكتابه في قوي الأغذية، كتاب في الأفكار المسفية لأراسطرطس، كتاب منافع الترياق، مقالة في الكيموسات، كلام في الطعوم، رسالة في عضة الكَلْب الكَلِب، كتاب في الأسباب الماسكة، تفسير كتاب فولوبس في تدبير الأصحاء، تفسير ما في كتاب فلاطن المسمى طيماوس من علم الطب، كتاب في الأدوية المنقية، كتاب في الأمعاء، كتاب في تحسين الأصوات ونفي الآفات عنها.

أقول وبالجملة فإن لجالينوس أيضاً كتباً أخر كثيرة مما لم يجده الناقلون، منها، ومما قد أندرس على طول الزمان، وخصوصاً ما في المقالة الثانية مما قد ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس، فمن كانت له رغبة في النظر إلى أسمائها، وفي أغراضه في كل واحد منها فعليه بالنظر في ذلك الكتاب.

الأطباء المشهورون بعد وفاة جالينوس

فأما الأطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريباً منه فمنهم اصطفن الاسكندراني؛ وانقيلاوس الاسكندراني؛ وجاسيوس الاسكندراني؛ ومارينوس الاسكندراني – وهؤلاء الأربعة هم ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها وأوجز القول فيها – وطيماوس الطرسوسي، وسيمري الملقب بالهلال، لأنه كان كثير الملازمة لمنزله منغمساً في العلوم والتأليفات، فكان لا يراه الناس إلا كل مدة، فلقب بالهلال من الاستتار؛ ومغنس الاسكندراني؛ وأريباسيوس صاحب الكنانيش طبيب يليان الملك، ولاريباسيوس من الكتب كتاب إلى ابنه أسطاث تسع مقالات، كتاب مزج الأحشاء مقالة، كتاب الأدوية المستعملة، كتاب السبعين مقالة، كناشه؛ وفولس الأجانيطي، وله من الكتب كناش الثريا، مقالة في تدبير الصبي وعلاجه؛ وأصطفن الحراني؛ وأريباسيوس القوابلي ولقب بذلك لأنه كان ماهرً بمعرفة أحوال النساء؛ ودياسقوريدس الكحال، ويقال أنه أول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل؛ وفافالس الإثيني، وافرونيطس الاسكندراني، ونيطس الملقب بالمخبر من الحذاقة؛ ونارسيوس الرومي الذي قدم من الاسكندرية فصار واحداً منهم؛ وإيرون؛ وزريايل، وممن كان قريباً من ذلك الوقت أيضاً فيلغريوس، وله من الكتب كتاب من لا يحضره طبيب وهو مقالة، كتاب علامات الاسقام الخمس، ومقالة في وجع النقرس، مقالة في الحصاة، مقالة في الماء الأصفر، مقالة في وجع الكبد، مقالة في القولنج، مقالة في اليرقان، مقالة في خلق الرحم، مقالة في عرق النساء، مقالة في السرطان، مقالة في صنعة ترياق الملح، مقالة في عضة الكلب الكلِب، مقالة في القوباء، مقالة فيما يعرض للثة والأسنان.

الباب السادس

ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النّصارى وغيرهم." (١)

"نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد، قال كان قد أسكت الوزير أبو طاهر بن بقية في داره الشاطئه على الجسر ببغداد، وقد حضر الأمير معز الدولة بختيار، والأطباء مجمعون على أنه قد مات، فتقدم أبو الحسن الحراني، وكنت أصحبه يومئذ، فقال أيها الأمير إذا كان قد مات فلن يضره الفصاد، فهل تأذن في فصده؟ قال له افعل يا أبا الحسن، ففصده، فرشح منه دم يسير، ثم لم يزل يقوى الرشح إلى أن صار الدم يجري فأفاق الوزير، فلما خلوت به سألته عن الحال وكان ضنيناً بمايقول، فقال إن من عادة الوزير أن يستفرغ في كل ربيع دماً كثيراً من عروق المعدة، وفي هذا الفصل انقطع عنه فلما فصدته ثابت الطبيعة من خناقها.

قال عبد الله بن جبرائيل لما دخل عضد الدولة، رحمه الله، إلى بغداد كان أول من لقيه من الأطباء أبو الحسن الحراني، وكان شيخاً مسناً، وسنان وكان أصغر من أبي الحسن؛ وكانا عالمين فاضلين، وكانا جميعاً يسعران المرضى ويمضيان إلى دار السلطان، فحسن ثناؤه عليهما، ولما دخلا إلى عضد الدولة قال من هؤلاء؟ قالوا الأطباء، قال نحن في عافية، وما بنا حاجة إليهم، فانصرفا خجلين، فلما خرجا من الدهليز قال سنان لأبي الحسن يجمل أن ندخل إلى هذا الأسد؛ ونحن شيخا بغداد فيفترسنا؟ قال له أبو الحسن فما الحيلة؟ قال نرجع إليه، وأنا أقول ما عندي، وننظر أيش الجواب قال افعل، فاستأذنا ودخلا فقال سنان أطال الله بقاء مولانا الملك، موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة المرضى، والملك أحوج الناس إليه، فقال له عضد الدولة صدقت، وقرر لهما الجاري السني وصارا ينوبان مع أطبائه.

قال عبيد الله بن جبرائيل ولهما أحاديث كثيرة حسنة، منها حديث قلاّء الكبود، وذلك أنه كان بباب الأزج إنسان يقلي الكبود، فكانا إذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما، وقام لهما حتى ينصرفا عنه، فلما كان في بعض الأيام اجتازا فلم يرياه، فظنا أنه قد شغل عنهما، ومن غد سألا عنه، فقيل لهما إنه الآن قد مات، فعجبا من ذلك، وقال أحدهما للآخر له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته، فمضيا جميعاً وشاهداه، فلما نظرا إليه تشاورا في فصده، وسألا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة ليفكروا في أمره، ففعلوا ذلك، وأحضروا فصاداً ففصده فصدة واسعة، فخرج منه دم غليظ، وكان كلما خرج الدم خف عنه، حتى تكلم، وسقياه ما يصلح، وانصرفا عنه، ولما كان في اليوم الثالث خرج إلى دكانه، فكان هذا من المعجز لهما، فسئلا عن ذلك، فقالا سببه أنه كان إذا قلى الكبود يأكل منها، وبدنه ممتلئ دماً غليظاً وهو لا يحس، حتى فاض من العروق إلى الأوعية، وغمر الحرارة الغريزية وخنقها، كما يخنق الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج، فلما بدروه بالفصد نقص الدم وخف عن القوة الحملُ الثقيل، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم إلى الصحة، وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضاً، وقد ذكر أسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة." (٢)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٨٦

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢١٦

""""""" صفحة رقم ٢٠٣ """"""

إليه بجيشه الذي كان معسكراً بقرب مدينة (بعلبك) ليشتركا في المدافعة عن موانئ الشام فوصل إبراهيم باشا إلى بيروت وعسكر في ضواحيها وفي أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠ وصل الأميرال (ستوبفورد) الذي كان يجول بمراكبه أمام الإسكندرية إلى مياه بيروت ليشترك مع (الكومودور نابير) في إطلاق المدافع على موانئ الشام وفي ١٠ منه وصلهما العساكر البرية وكانت مؤلفة من ألف وخمسمائة من البيادة الإنكليزية وثمانية آلاف بين أتراك وأرنؤد .

وفي يوم ١١ منه أنزلت هذه العساكر إلى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن إبراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الإنكليزية وفي ظهر ذلك اليوم وبعد نزول هذه العساكر إلى البر أرسل إلى سليمان باشا بلاغ من الأميرالين الإنكليزي والنمساوي بأن يخلى مدينة بيروت حالاً فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع إبراهيم باشا في هذا الأمر الجلل ، فلم يقبل طلبه وابتدئ في إطلاق المدافع على المدينة واستمر الإطلاق حتى المساء وابتدئ أيضاً في اليوم التالي قبل الفجر ولم ينقطع إلا بعد هدم أو حرق أغلب المدينة وأُحرقت كذلك كل الموانئ الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا وإرجاعها إلى الدولة العلية كما كانت ، مع أن محمد علي باشا لم يأت بأمر يدل على رغبته في الخروج من تحت ظل الراية العثمانية بل لم يزل مؤكداً إخلاصه وولاءه للدولة ولم يطلب إلا بقاء هذه الولايات له ولذريته مع تبعيتهم للباب العالي ودفعهم الخراج له اعترافاً ببقاء تلك التبعية ولولا تقلب الأحوال بينه وبين السلطان لتم بينهما الإتفاق على أحسن وفاق وحقنت دماء العباد ويدل على رغبة الطرفين في ذلك إرسال الباب العالي ساريم بك أولاً وعاكف أفندي ثانياً إلى محمد علي باشا لحلّ هذه المسألة .

ولا يخفى أن محمد علي باشا هو الذي خلص مصر من فئة المماليك الباغية ونشر بجميع جوانبها لواء الأمن وتسبب في ازدياد الزراعة ونموّ التجارة حتى." (١)

"سيتخذ التدابير اللازمة لضم الكويت إلى العراق، وبالفعل فقد أصدر أمرا ينص على تعيين أمير الكويت "حاكما لمقاطعة الكويت" وتصدر إليه الأوامر من بغداد.

---

(١) البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، ص/٢٠٣

وإزاء هذا التهديد العراقي، فقد أرسل الكويت برقيات إلى جميع الدول العربية يخطرها بالموقف الذي أعلنته حكومة العراق، وكذلك فقد طلبت حكومة الكويت، حماية القوات البريطانية لأراضيها من احتمالات الغزو العسكري لها استنادا إلى المعاهدة البريطانية الكويتية.. واستجابت الحكومة البريطانية على وجه السرعة، فأنزلت قواتها في الكويت بعد أربع وعشرين ساعة من الطلب الكويتي.

وتقدم الكويت والعراق بالشكوى إلى مجلس الأمن، كل يعرض قضيته.. كما تقدمت المملكة العربية السعودية بطلب إلى مجلس الجامعة لعقد اجتماع غير عادي للنظر في التهديد العراقي ولبحث موضوع انضمام الكويت إلى الجامعة العربية.

وكثرت الاجتماعات والمساعي العربية، ولم يستطع مجلس الجامعة أن يصل إلى قرار في الموضوع، المرة بعد المرة، إلا في يوليو (تموز) ١٩٦١، فقد أصدر قرارا "بقبول الكويت عضوا في الجامعة العربية، وتقديم المساعدة الفعالة لصيانة استقلال الكويت" وكان القرار بموافقة الدول العربية باستثناء العراق..

وقام الأمين العام بإنشاء قوة طوارئ عربية مكونة من قوات سعودية ومصرية وسودانية وأردنية وتونسية تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة جندي.. ولكن هذه القوات لم تصل إلى الكويت إلا في العاشر من شهر سبتمبر." (١)

"(أيلول)، حين أصبح التهديد العراقي آخذا بالتراخي.. وأصبح عمل القوات العربية رمزيا.

ولكن الأزمة الكويتية العراقية التي استعصى حلها على الجامعة العربية، قد تمت تسويتها بمقتل اللواء عبد الكريم قاسم، وقيام حكم عراقي جديد، اعترف باستقلال الكويت، وتبادل العلاقات الدبلوماسية معها.. وكأن شيئا ما كان.. وكان ذلك دليلا آخر، إن الحكام بأشخاصهم هم سبب الخلاف والشقاق..

وقد تأكدت في النزاع الكويتي العراقي حقيقتان أساسيتان، بدت ملامحهما في النزاعات العربية السابقة.. الأولى أن مجلس الأمن لم يستطع أن يجد حلا للأزمة.. والثانية أن مجلس الجامعة، بسبب رخاوة ميثاقه وانعدام مؤسساته واختصاصاته لم يستطع كذلك أن يجد الحل العربي المطلوب.. وفي الوقت المطلوب.

ولقد كانت سابقة حسنة، أن الجامعة العربية استطاعت أن تؤلف قوة أمن عربية، ولكن بريطانيا قد سبقتها بزمن غير قليل، فقد بعثت بقواها عبر البحار بعد أربع وعشرين ساعة.. واتخذ الجنود البريطانيون خلالها مواقعهم في الصحراء اللاهبة في ذلك الشهر اللاهب، حين "يذوب المسمار في الباب" كما يقول العراقيون والكويتيون.

وبعد النزاع الكويتي العراقي، نشب نزاع خطير أخر، وهذه المرة في داخل كيان الجمهورية العربية المتحدة، بين القاهرة ودمشق، بعد الانفصال في شهر سبتمبر ١٩٥٨ ولم تكف كارثة الانفصال بنفسها حتى تناول النزاع بعدها اتهامات خطيرة، بعضها مالي وبعضها قومي، وأية واحدة منها تصل إلى حد الخيانة القومية العظمى، وتطور الأمر بين سوريا ومصر إلى توتر." (٢)

---

(١) الجامعة العربية .. كيف تكون جامعة .. وكيف تصبح عربية، ص/٢٩٤

(٢) الجامعة العربية .. كيف تكون جامعة .. وكيف تصبح عربية، ص/٢٩٥

"ترد فى الغالب وتصادر الأملاك! ***ص_٠٨٨

* وإليك قانونا آخر: أولا: إذا مات شخص ما، وجب على أهله أن يدفعوا على موته ضريبة.. ونحن نورد لك نص ما قاله الجبرتى فى ذلك فإنه أمر لا يكاد يصدق: " إذا مات الميت يشاورون عليه (أى يخبرون عنه) ويدفعون (معلوما) لذلك ". ثانيا: تفتح تركة الميت فى ظرف أربع وعشرين ساعة، فإذا مضت تلك المدة ولم تفتح التركة صودرت فورا " ولا حق للورثة فيها " على ما قاله الجبرتى.. وإذا علمت أن تقاليد بلادنا الشرقية كانت تتشبث بإقامة المأتم فى تلك الأيام البعيدة لمدة سبعة أيام أو ثلاثة على الأقل، وأنه كان لهؤلاء الأجداد من الآنفة ما يصرفهم عن تعجل النظر فى تركة المتوفى.. إذا علمت ذلك أدركت مبلغ التركات التى صادرها هؤلاء بقوانينهم الهمجية. ثالثا: إذا فتحت التركة فى الموعد المقرر، يجب أن يكون فتحها بإذن رسمى، ويدفع على ذلك الإذن ضريبة مقررة. رابعا: على كل وارث للتركة أن يثبت وراثته، وأن يدفع على ذلك الثبوت ضريبة.. خامسا: إذا قبض كل وارث ما يخصه، يجب أن يدفع عنه ضريبة مقررة. سادسا: إذا كان الميت مدينا، وجب على الدائن أن يثبت دينه، وأن يدفع على هذا الإثبات ضريبة، ويأخذ ورقة يتسلم بها الدين.. فإذا تسلم الدين دفع عليه ضريبة أخرى. وكذلك قرروا ضريبة على من يريد أن يسافر من مكان إلى آخر، لا أجرا للركوب، فإن المسكين كان يسافر على دابته أو جمله أو على سفينة من سفن النيل، بل يدفع تلك الضريبة مقابل الإذن له بالسفر. وكما فرضوا على الموت ضريبة فرضوا للحياة ضريبة أخرى، فعلى كل من يولد له ولد أن يدفع عليه مبلغا " معلوما ". ولندع الجبرتى يحدثنا عن تلك العجائب بأسلوبه الرائع: " والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدرا، وكذلك المولود إذا ولد "، ويقال له: " إثبات الحياة ". ويطول بنا القول إذا رحنا نستقصى الوسائل التى ابتدعوها لاستنزاف أموال الشعب،ص_٠٨٩." (١)

"وفي هذا المقدار مقنَعٌ وبلاغ لمن ناصَح نفسَه وأعطى النَصفة وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ وإذا صحّ إثبات البارئ ووجود الصانع فلنقُل الآن في صفاتها أقول أن السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محالٌ من وجه التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة إلى هذه الأشياء تصوّرها في الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث فإمّا أن أراد السؤال عن إثباته وإثبات صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندي وجود البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب أنه هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتى يُعدُّ جميع أسمائه وصفاته فإن زعم أنه سأل عن هويّة ذاته قيل غير محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم أن هذا من صفاته اللاَشيَّةِ والبطلان فهذا من وساوس الجهل وهذيان الخطل ويكلمّ في إيجاب الصنعةِ الصانع والفعِل لفاعلَ بما قد سبق ذكره فإن طلب نظيراً أو شبيهاً بهذه الصفات فهذا يكلّفنا أن نتّخذ إلهين اثنين محسوساً وغير محسوس ثمّ نشبّه الغائب بالشاهد ليتحقّقه وما من إلهٍ إلاّ إلَه واحدٌ وليس يحجب علم ما تيقّنّاه لجهل ما جهلنا ألا ترى أنّا إذا آنَسْنا شخصاً في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب أن نُبطِل علمنا في ذات الشخص بما خفي علينا من بعض هيئاته كذلك لّما قامت الدلالة أن يستحيل وجود فعل لا من فاعل ثم وجدنا فعلاً لم نشاهد فاعله لم يجب أن نُبطل علمنا البديهيّ بجهلنا وقد سُئل رسول الله

---

(١) الإستعمار أحقاد وأطماع، ص/٩٤

صلى الله عليه وسلم عن هويّته فنزل الجواب في صفاته قُلْ هُوَ الله أحد اللهُ الصّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أحد فأخبر أنّه أحد لا كأحدٍ وصَمَد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس من الخلائق الروحانيّين بقوله ولم يكن له كفؤاً أحد فنفى النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلام فيما رُوِيَ لرجل من الأعراب سأله عنه هو الذي إذا مسّك ضرٌّ فدعوتَه أجابك وإذا أصابتك سنةً فدعوتَه امطر السحاب وأنبت النبات وإذا ضلَّتْ راحلتُك بفلاةٍ من الأرض فدعوتَه ردّها إليك فجعل يدلّ على ربّه بدلالة فعله وشهادة الكتاب تُغْنِيْ عن طلب الأسانيد لمثل هذه الأخبار بقول الله تعالى امّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السو وفي رواية المَقْبريّ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنّ الشيطان يأتي أحدكم فلا يزال يقول له مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حتّى يقول فمن خلق اللهَ فإذا سمعتم ذلك فافزعوا إلى سورة الإخلاص فقال أبو هريرة رضى الله عنه فبينا أنا قاعد إذ أتاني آتٍ فقال مَن خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله فقُمْتُ وقلت صدقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولهذا نهى عن التفكّر فيه إذ لا مَطْلَع للوهم والتفكر عليه من طلب ما لا سبيل إليه رجع بأحد الأمرَيْن إمّا شاكًّا وإمّا جاحداً والجحود والشكّ فيه كُفْر وقد قيل تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأنّ الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أَعلمُ أحداً من أصناف الخلق والأمم إلاّ وهو مُقِرّ بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر فمن ذلك قول الفلاسفة الهيولي وإنه خلاف الأجرام العلويّة والسُّفليّة ومنهم من يقول بحيّ ناطق لا يجوز عليه الموت وهو لم يشاهده حيًّا ناطقاً إلاّ ميتاً ومنهم من قال بأنّ جوهرَ الأفلاك من غير الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ طوال النهار بها أربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها ستّة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأنّ النطفة تنقلب علقةً والعلقة تنقلب مضغةً ولم يشاهدها عياناً ومن قال بأرض لا بتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من الثنويّة بنور خالصٍ في الغائب وظلمة خالصة غير مماسَّيْن ولا ممتزجَيْن وهو لم يشاهد جسماً إلاّ مؤلّفاً مركّباً في أَشْباهٍ لهذا يطول الكلام بذكرها حتّى تعلم أن أقول القائل لا شيء غير ما يعاينه ولا شيء غاب عنه إلاّ كما يشاهده محال باطل وبعد فانّا نجدُ الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والفَرَح والحُزْن واللذّة والكراهية والحبّ والبُغض وغير ذلك من كثير من الأعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون ولا عَرْضٍ ولا ريح ولا طعم أو صفة من." (١)

"يقرأ المرء صفحة من صفحات الإستعمار الإفرنسي الملطخ بالعار الأبدي. وها أنا أرى المدينة تبدو وكأنها قطعة مختلسة من الشاطئ الإفرنسي، أو كأنما اتصلت اليابسة فلصق الشمال الإفريقي بشاطئ فرنسا الجنوبي، فتشابها وتشاكل الأمر.

... وهنا لا تسمع إلاّ اللغة الإفرنسية من المواطنين والإفرنسيين، ولم يبق للوطنيين إلاّ الأزياء المهلهلة و الأعمال الحقيرة. وكنت حين أقرأ أن زعماء فرنسا قد اعتزموا أثناء الحرب أن يناضلوا من شمال إفريقيا، لا أدرك بإحاطة شاملة كيف يقاتلون من إقليم أجنبي في شمال إفريقيا، ولكنني بعد الذي رأيت في الدار البيضاء أيقنت أن ذلك لا يتعدى انتقال حركة الحرب الإفرنسية من إقليم فرنسي إلى إقليم فرنسي، كما كاد أن ينقل الحكم الروسي من موسكو إلى "كويشيف" أثناء هذه الحرب

---

(١) البدء والتاريخ، ص/١٩

الثانية.

... وحين يبلغ المرء الدار البيضاء يكون قد قطع أفريقيا من الشرق إلى الغرب، في خلال أربع وعشرين ساعة. ولقد وقفت على شاطئ الأطلنطي أفكر في هذا الخطف الطائر يحمل المرء من القاهرة ليكون مساء اليوم الثاني في الدار البيضاء، ينعم بالنسميات الوادعة إذ يرسلها المحيط الرهيب.

... ولم يكن هذا الخاطر يثنيني عن إكبار الحملة العربية الكبرى قبل ثلاثة عشر قرناً وقد قطعت الفدافد والصحارى، والوهاد والأنجاد، ثم ضربت سهمها في أحشاء أفريقيا الشمالية، وراح هذا السهم ينحني ليخترق إسبانيا وجنوب فرنسا.

... وعلى ضياء هذا الخاطر تنعكس صورة جميلة هي صورة المستقبل الذي نتطلع إليه، ولئن عجز الخيال عن إبرازها الآن بالروح والجسم فلا." (١)

"وبحسب ناطق باسم القوات اللبنانية فإنها لم تمنحهم سوى أربع وعشرين ساعة ينهون فيها انسحابهم (١) بالطبع سهل رفض القوات اللبنانية، التعاون مع سعد حداد وتفضيلها العمل بشكل مستقل عنه، على إسرائيل اتخاذ مثل هذا القرار لكن رغم إغلاق المكاتب التنظيمية الرسمية فإن عددًا من العناصر بقي في المنطقة، منهم من التحق بالمليشيا التابعة لإسرائيل ومنهم من عمل مرتزقًا لحسابه الخاص، لم تتحسن حظوظ لحد بالنجاح بدخول عناصر من القوات اللبنانية إلى مليشياه، ومن المهم أن نلاحظ أن العلاقات الشيعية المارونية تدهورت بشكل خطير بفعل التجاوزات التي مارستها العناصر المارونية المستوردة ولقد فاقم هذا الأمر العداء الشيعي لإسرائيل، فالقرى المارونية نعمت تاريخيًا بعلاقة حسن الجوار مع المحيط الشيعي المجاور المتفوق عدديًا، إلا أن محاولة القوات اللبنانية الفاشلة في مد نفوذها إلى الجنوب ساعدت على تسريع عملية تراجع الموارنة والشيعة إلى هوياتهم الطائفية وخلق حالة من العداء لم تكن موجودة قبل عام ١٩٨٢، وبسبب هذه التطورات فإن حماية القرى المارونية من شيعة يرغبون في الانتقام هي إحدى أولى مهام حفظ السلام، إذا ما قدر للجنوب أن ينعم يومًا ما بالسلام.

---

(١) New York Times , July 29, 1983.

(٢٠/١٢)

___." (٢)

"ومن ذلك الحين عزمت على زيارة هذه الأراضي في أقرب وقت ممكن. فلما أشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت إلى السفارة النرويجية في الرباط، وسألتها عن الأراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعة أشهر، فأخبروني أن الأمر كذلك، وأن هناك نواحي تابعة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة أشهر من أول مايو (أيار) إلى آخر يوليو (تموز) فتأهبت للرحلة وتوجهت من مكناس في سيارتي يسوقها الحاج أحمد هارون في اليوم الثاني من يوليو،

---

(١) أربعون عاما. في الحياة العربية والدولية، ص/٣٨٣

(٢) أمل والشيعة نضال من أجل كيان لبنان، ص/٢٥٧

وسرنا متوكلين على الله من مكناس إلى تطوان، ثم عبرنا البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، ثم سرنا عبر إسبانيا ففرنسا فألمانيا، فالدانمارك، فالسويد فالنرويج، وتركنا السيارة في مدينة (أوسلو) عاصمة النرويج، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين، فوصلنا مدينة (ناروك)، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة أربعة وعشرين ساعة.

أوقات الصلاة في الأراضي القطبية

كنت عازما قبل أن أصل إلى تلك البلاد أن أصلي خمس صلوات في مدة اثنتي عشر ساعة، ثم أترك الصلاة اثنتي عشر ساعة، فتكون خمس صلوات في أربع وعشرين ساعة.

فلما وصلت إلى تلك البلاد تغير رأيي، وظهر لي أن تُتبَع أوقاتُ الصلاة في تلك البلاد الأراضي الجنوبية من البلاد النرويجية، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر في الجنوب، ويصلي الظهر حين تزول الشمس في الجنوب، وهكذا الشأن في جميع الصلوات، بناء على قاعدة: "ما قرب من الشيء يعطي حكمه"، وكذلك يفعل الصائم في رمضان إذا جاء في وقت الشمس، أو في وقت الظلام.

هل في الأراضي القطبية فصول؟." (١)

"وفي كامب ديفد المقر الصيفي للرؤساء القابع في جبال "كاتوكتين " ، انعقد الاجتماع الثاني الذي دعا إليه جورج بوش في أقل من أربع وعشرين ساعة . وقد بدأ كالذي سبقه في الساعة الثامنة صباحا ، وحضره إلى جانب برنت سكوكروفت وريتشارد هاس والجنرال كولن باول ، الذي كانوا هناك في اليوم السابق ، رئيس موظفي البيتالأبيضجون سنونو ووزير المالية نيقولاس برادي ومدير وكالة المخابرات الأميركية (CIA) وليام وبستر إضافة إلى وزير الخارجية جيمس بيكر الذي كان قد عاد من موسكو في مساء اليوم السابق . وجلس المجتمعون حول طاولة من خشب البلوط في الشاليه الخشبية بعد أن كان أكثرهم قد خلعوا ملابسهم الرسمية وارتدوا ملابس عادية كما لو كانوا قد جاؤوا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع . والواقع أنهم كانوا وسط أزمة متفاقمة.

واستهل الاجتماع عدد من الخبراء العسكريين المدعوين إلى الاجتماع بتقديم تقرير حول " الوضع كما هو على الأرض وما يمكننا علمه " .

واثير احتمال القيام بنشاطات سرية تهدف إلى زعزعة استقرار النظام العراقي أو التخلص من صدام حسين غير أنه لم تجر مناقشة خطط محددة . وبعد أن أكمل العسكريون عرضهم وخرجوا من القاعة طلب جورج بوش من المجتمعين التعليق . ودار النقاش كله حول الخيارات العسكرية . وكان واضحا أن انتشارا عسكريا أميركيا في الخليج لا يمكن أن يتم عمليا دون دعم ومساندة الدول العربية وخاصة المملكة العربية السعودية . إلا أن الرياض لم تكن مستعدة لإعطاء الضوء الأخضر ،

---

(١) الشمس في نصف الليل، ص/٢

وذلك لسببين : أولهما أن السعوديين كانوا لا يزالون متمسكين باحتمال تسوية عربية ، وثانيهما أن فكرة وجود قوات أميركية أثارت لديهم قلقا عميقا .." (١)

"وواجهت " الدب " وزملاء مشكلات عديدة أكثر خطورة منها عدم وجود قواعد على الأرض السعودية والحرارة المرتفعة في الصحراء التي تجعل القتال صعبا للغاية . وكان بين أسباب القلق الأخرى احتمال استخدام العراق للأسلحة الكيماوية وسقوط طلائع القوات الأميركية التي كانت نسبيا في حاجة إلى حماية قبل وصول الدبابات والأسلحة الثقيلة . من المرجح أن التدخل في منطقة الخليج كان أصعب تحد تواجهه السلطات الأميركية منذ حرب فيتنام . وفي الأسبوع الأخير من يوليو أُجري تدريب أطلق عليه " علم الحرب ٩٠ " لاختيار قدرة قادة الجيش على الاتصال فيما بينهم من مسافات طويلة . وكانت العملية موجهة إلى الشرق الأوسط . ولكن بالرغم من التوتر المتزايد فإنه لم تجر الاشارة إلى العراق والكويت والسعودية . ولتفادي إثارة الحساسيات اظهر باول لباقة خارقة عندما طلب تقطيع الخرائط وتعديلها بحيث لا يظهر أي تشابه بينها وبين بلدان المنطقة .

وفي قاعدة ماكديل وفي البنتاغون (وزارة الحربية) كانت الكمبيوترات الضخمة تعمل طيلة أربع وعشرين ساعة في استيعاب المعلومات الجديدة . وكان يجري العمل ببرنامج ضخم له اسم كاللغز ويرمز إليه بالحروف TPFD (أي قوة الانتشار في المرحلة الزمنية (١) ويشتمل على معلومات مفصلة عن القوات والاعتدة التي يجب ارسالها ، ووسائل نقلها ، وانظمة الاتصالات لتنسيق العملية ، وكل ما تحتاجه في صحارى السعودية من دفاعات جوية ومياه للشرب ومبان الخ .

وكان شوارزكوف وباول من قدامى المحاربين في فيتنام ، الذين يتخذون جميع الاحتياطات عند استخدام القوة . وكانا مقتنعين بأن نجاح العملية العسكرية رهن بتنفيذها على نطاق واسع واستخدامها كافة الوسائل وبدعمها بتصميم لا يتزعزع لدى السياسيين .

---

(١) * Time Phase Force Deployment." (٢)

"في تلك الاثناء كانت الحكومة في بغداد تقوم بالخطوات الازمة لقطع ما تبقى من علاقات بينها وبين العالم الخارجي . ففي التاسع من أغسطس وبعد إعلان ضم الكويت بأربع وعشرين ساعة قرر العراق إغلاق حدوده وإبقاء جميع الاجانب على أراضيها " لأسباب أمنية " الأمر الذي كان سيحول ثلاثة ملايين شخص إلى رهائن .

كما أعلن العراق بأنه على جميع السفارات الأجنبية في الكويت ان تغلق أبوابها في غضون أربع وعشرين ساعة . لكن الصحافة الأجنبية عوملت معاملة خاصة . فمنح الصحفيون حرية الدخول والخروج . وأحسنت بغداد بصورة خاصة معاملة شبكات التلفزيون الأميركية .

وعلق المسؤولون العراقيون على الحصار والاجراءات العسكرية ضدهم بقولهم : " نستطيع العيش بدون بيبسي (كولا) وبدون

---

(١) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/١١٠

(٢) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/١١٢

كومبيوترات ماكنتوش وبدون ويسكي " . لكنهم لم يذكروا أن العراق كان معاني من نقص في الحبوب وأنهم كانوا يستوردون ثلاثة أرباع ما يستهلكونه من القمح وكميات كبيرة من الأرز والسكر واللحم . والواقع أن العراق كان قد قام بتخزين حاجياته بسبب توقعهم حدوث الأزمة .

وفجأة اختفى صدام حسين بصورة غريبة من البلاد التي أعاد تشكيلها . كانت صورته في كل مكان : في الشوارع وعلى جوانب التماثيل والبنايات العامة . وكان قد أوجد حقائق جديدة ، وأعاد صياغة غيرها على طريقته . وأقام في بغداد صرحا شبيها بقوس النصر الباريسي أسماه " سواعد النصر " وطوله نحو ثلاثين قدما وعلى شكل سيفين متقاطعين يحملهما ذراعان ضخمان من البرونز . وكان تصميمه يمثل الشعار الذي اتخذه صدام والذي يرمز إلى انتصار العراق على إيران . وهو الانتصار الذي لم يحدث . لكن الشعب العراقي لم يحتج على ذلك بسبب يقظة البوليس السري . وكما قال أحد الدبلوماسيين فانه لم تكن تصل إلى البلاد " سوى لقطات من حقائق العالم الخارجي " . إذ كان صدام قد كون البلاد على صورته هو . فصارت مثله تجهل ما يجري في الخارج وتنعم بعزلتها .." (١)

"ومما أغضب السوريين أيضا العلاقات الدبلوماسية . فبريطانيا التي أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع إيران ، رفضت إعادتها مع سوريا . وكانت علاقاتها ببرطانيا قد قطعت على أثر حادث الهنداوي عام ١٩٨٦ عندما وجدت قنبلة على إحدى طائرات العال بمطار هيثرو ، وحملت بريطانيا سوريا المسؤولية عن تلك العملية الإرهابية .

وأصرت رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر على هذا الموقف بالرغم من السياسة السورية الجديدة التي تجلت في الدفاع عن التحالف ضد العراق . وبقيت هذه المشكلة دون حل إلى أن خرجت تاتشر عن الوزارة في نوفمبر . فبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة اعادت بريطانيا علاقاتها مع سوريا .

وكان السوريون يواجهون مشكلة أخرى . فبالرغم من أنهم كانوا يكرهون العراق فانه كان سيتحالف معهم في حال نشوب الحرب مع اسرائيل . وهكذا فانهم اعلنوا بوضوح ان قواتهم موجودة في السعودية للدفاع عنها لا لمهاجة العراق وأنهم لا يسعون إلى حرب مع العراق بل إلى حل سلمي . أجل كانوا يريدون حلا سلميا لا يضعف قوة العراق . لكن هذا الموقف تغير كليا فيما بعد عندما اندلعت الحرب ، فقبلت بهدوء تدمير العراق وأيدت فكرة الإطاحة بصدام حسين .

*** ." (٢)

"في الرابع من ديسمبر اجتمع عرفات والملك حسين ونائب الرئيس اليمني لمدة أربع ساعات مع صدام حسين في بغداد للعمل على تنفيذ توصياتهم . وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة . أي في ٦ ديسمبر . أعلن صدام الافراج الفوري عن جميع الرهائن الاجانب . لكن لما كان قد أعلن سابقا أنه سوف يسمح لهم جميعا بمغادرة البلاد في عيد الميلاد فقد شك البعض في البداية بصدقه . لكن وضح في الايام التالية ان جميع الرهائن قد أطلق سراحهم ، وبذلك حلت عقدة من عقد أزمة الخليج .

---

(١) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/١٤٥

(٢) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/١٧٩

***

أما على الجبهة الدبلوماسية فلم يبد أثر للتقدم بالرغم من كثرة النشاط . فأولا وقبل كل شيء لم يظهر ما إذا كانت الولايات المتحدة والعراق قد اتفقتا على موعد ذهاب طارق عزيز إلى واشنطن وبيكر إلى بغداد . وتحمل الولايات المتحدة العراق مسؤولية ذلك . فقال الاميركيون انهم اقترحوا خمسة عشر من تاريخا وان صدام لم يقبل ايا منها . وكان صدام قد عرض الاجتماع ببيكر في الثاني عشر من يناير ولكن الولايات المتحدة اعتبرت التاريخ قريبا جدا من ١٥ يناير الذي حدد للانسحاب من الكويت . أما العراقيون فقد رأوا في ذلك إشارة إلى ان الولايات المتحدة لا تريد اجراء اية محادثات حقيقية معهم . وقالوا إنه لا تفرض التواريخ على أي قطر عربي ، بل ينبغي التفاوض عليها . وأضافوا أن الولايات المتحدة لا ترغب في المفاوضة حتى على تاريخ الاجتماع.

وعلمت من مصدر عراقي أن كل ما كان الأمر يستدعيه لإجراء محادثات بين طارق عزيز وبوش ، وبين بيكر وصدام هو أن يرفع بوش سماعة التفلون ويطلب صدام لمناقشة القضية معه. هكذا كان يفكر صدام . فمنذ بداية الازمة شعر الزعيم العراقي ان الطريق الوحيد للتوصل إلى حل تفاوضي للازمة هو اجراء محادثات مباشرة مع شخصين وهما الملك فهد والرئيس بوش.." (١)

"وهكذا ترى أن الحديث الواحد يذكر له نحو عشرة مراجع فأقول: يا سبحان الله ! ! كيف استطاع أن يجد من الوقت ما يكفي لأن يقلب صفحات هذه المراجع ليثبتها عند كل حديث، فاليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، فهل أعطى الله الشيخ أمين في اليوم الواحد أربعا وتسعين ساعة ؟ أنها البركة، بركة العلم. كم من أناس دفنوا في الترب وهم أحياء (الناس موتا وأهل العلم أحياء).

نسأل الله أن يوفقنا كما وفقهم، وأن يحفظنا كما حفظهم، وأن يسرنا كما سرهم.

والحمد لله إذ وجدنا بين أيدينا الولد الصالح الذي يدعو لوالده الأمين. هو الشيخ يوسف أمين خطاب. ولولا أن الله أعطاه من العلم وحسن الخلق، كما عهدنا ووجدنا في أبيه، ما عهدناه على السمع والطاعة، فنحن لا ندين بالأشخاص، ولكن ندين لمن وهبهم الله العلم والإخلاص، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله الله (صلى الله عليه وسلم).

نسأل الله أن يرزقنا الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، ونأمل في الشيخ يوسف أمين خطاب أن يزدهر الدين على يديه، وأن ينفع به المسلمين.

والسلام عليك ورحمة الله.

الكلمة التي ألقاها فضيلة الإمام الراحل

الشيخ يوسف أمين خطاب

يرثي والده الأمين (١)

---

(١) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/١٨٨

(١) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقامته جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية لتعداد مناقب الإمام الراحل الشيخ أمين خطاب.." (١)

"قال أما عند كثير من العوام والناس فإن الأيام بلياليها متساوية الزمان فيما يظنون أعني ان كل يوم مع ليلته عندهم أربع وعشرون ساعة وليست بالحقيقة كذلك لأن اليوم الواحد الأوسط مع ليلته هو طلوع أزمان معدل النهار الثلثمائة والستين كلها من دائرة الأفق أو دائرة نصف النهار وزيادة ما يطلع من أزمان معدل النهار أيضاً مع التسع والخمسين الدقيقة التي تسيرها الشمس بحركتها الوسطى في اليوم والليلة. واليوم الواحد المختلف مع ليلته هو الذي تطلع أزمان معدل النهار الثلثمائة والستون كلها مع زيادة ما يطلع مع مسير الشمس المختلف في اليوم والليلة الذي يقع الاضطرار عليه أنه إما أكثر من تسع وخمسين دقيقة وإما اقل منها ولما كان الابتداء الذي من انتصاف النهار ثابتاً على حالة واحدة لا يتغير ولا يختلف وذلك لاستواء طلوع البروج في فلك نصف النهار في كل بلد لم يجعل ابتداء الأيام في حساب الكواكب وتقويم مواضعها من طلوع الشمس ولا من غروبها لكنه يجعل من وقت انتصاف النهار أو انتصاف الليل وأيضاً فلأن سائر الحركات الموضوعة للكواكب في الجداول إنما وضعت على أيام وسطى متساوية الأزمان إذاً اغفل ما يجتمع مما بين الأيام بلياليها المختلفة وبين الأيام بلياليها الوسطى. وأما في مسير الشمس وغيرها من الكواكب فليس له مقدار يتبين من قبله خلل محسوس وأما في القمر فإنه فيه ظاهر جداً لسرعة حركته وذلك أن أكثر ما يجتمع مما بين الأيام المختلفة وبين الأيام الوسطى يكون قريباً من نصف ساعة وتكون حركة القمر في بعض الأوقات في هذه المدة مقدار ثمان عشرة دقيقة. وأما الذي فيما بين الأيام الزائدة على الأيام الوسطى والأيام الناقصة منها فإنه ضعف ذلك. ويتركب هذا الاختلاف من جهتين إحداهما اختلاف حركة الشمس الذي هو بالتعديل والأخرى اختلاف ممر البروج في وسط السماء إذ كانت لا تطلع كلها هنالك بمقدار واحد وأكثر ما يجتمع من قبل اختلاف حركة الشمس قريب من ثلثة أجزاء وربع وعشر والذي يجتمع من ممر البروج في وسط السماء أكثر ما يبلغ حينئذ قريب من أربعة أجزاء وربع وخمس فيصير ما يجتمع من الجهتين جميعاً سبعة أجزاء وثماني وأربعين دقيقة وذلك هو نصف ساعة وخمس عشر ساعة معتلة بالتقريب. وموضع النقصان هو قريب من ثلثي الدلو إلى قريب من أول العقرب وموضع الزيادة هو قريب من أول العقرب إلى قريب من ثلثي الدلو. وقد وضعنا الحركات الوسطى في الجداول في كتابنا هذا على أن موضع الشمس المفروض بحركتها الوسطى في ثمان عشر ة درجة وتسع عشرة دقيقة وبالحركة الحقيقية التي ترى فيها في عشرين جزءاً منه وإلى هذا اليوم بليلته تقيس باقي الأيام من السنة في هذا الكتاب. قال فإذا أردت أن تحول الأيام المختلفة فتنقلها إلى الأيام الوسطى التي بها تستخرج الحركات الوسطى من الجداول فخذ ما بين موضع الشمس الأول الأوسط المفروض وبين موضعها الثاني الذي تسير إليه بالمسير الوسط أيضاً فما كان من الأجزاء فاحفظه ثم خذ أيضاً ما بين موضعها الأول الحقيقي الذي كانت فيه والموضع الثاني الذي تسير إليه بحركتها الحقيقية أيضاً بأزمان مطالع البروج في الفلك المستقيم فإن كان عدد هذه الزمان أكثر من أجزاء الحركة الوسطى التي حفظت عرفت قدر الفضل الذي بينهما كم هو من الساعة المعتدلة فما كان زدته على الأيام المختلفة المفروضة وإن كان عدد الأزمان أقل نقصته منها فما بلغت

---

(١) الجمعية الشرعية فرع المطرية تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية، ص/١١٧

الأيام بعد الزيادة عليها أو النقصان منها فهو المحول من الأيام المختلفة إلى الأيام الوسطى في أي البعدين كان أعني من وقت انتصاف النهار أو وقت انتصاف الليل أي وقت كان العمل عليه في ابتداء الأيام. وإن أردت أن تحول من الأيام الوسطى التي تخرج من الجداول إلى الأيام المختلفة الموجودة عملت بعكس ذلك فزدت ذلك الفضل على الأيام الوسطى إذا كان عدد الأيام أقل ونقصته منها إذا كان عدد الأزمان هو الأكثر فما بلغت الأيام بعد الزيادة أو النقصان فهو المحول من الأيام الوسطى إلى الأيام المختلفة الموجودة. وعلى هذا الأصل الذي أصلنا في كتابنا هذا من موضع الشمس المفروض يكون أبداً عدد الأزمان هو الأقل إلى انقضاء مدة طويلة من الزمان يكثر فيها تغير موضع بعد الشمس الأبعد الذي وجدناه فيه من فلك البروج فيتغير لذلك ما يقع من قبل اختلاف حركة الشمس ولما كان ذلك على ما وصفنا." (١)

"فإن بدء الكسوف من جهة سمت الجزء الغارب من فلك البروج حينئذ ولتمام الانجلاء يكون إذا تهيأ ذلك من جهة سمت الطالع في ذلك الوقت وأما وسط الكسوف فلا جهة له إذا أحاطت الظلمة بجميع دائرة الشمس من الزمانين أعني زمان الابتداء المرئي وزمان الانجلاء المرئي الذي قد أمرتك بعمله وعلمه وحفظه فاضربه في ستين واقسمه على نصف القطرين جميعاً فما حصل فدرج فقوسها من جدول الأوتار فما بلغت القوس فهو مقدار انحراف الظلمة أو الانجلاء في كل واحد من الزمانين. فأما بدء الكسوف فإنك تخرج انحراف الظلمة فيه من حد سمت الجزء الغارب حينئذ من دائرة الأفق إلى جهة عرض القمر المرئي فيه وأما تمام الانجلاء فإنك تخرج القوس التي تحصل لك من حد سمت الجزء الطالع عند ذلك إلى جهة عرض القمر المرئي في وقت الانجلاء فأما وسط الكسوف فإن جهة الظلمة فيه تكون على زاوية قائمة على فلك البروج وتحد سمتها من دائرة الأفق القوس التي تجوز على قطبي فلك البروج وعلى مركز القمر والأفق بحسب بعد الشمس والقمر عن فلك معدل النهار. فإذا أردت أن تعرف جهة الظلمة في وسط الكسوف فاعرف زاوية الطول فيه على الجهة التي تستخرجها في معرفة اختلاف منظر القمر ثم أخرجها من حد سمت طالع وسط الكسوف أو غاربه من دائرة الأفق بحسب موضع الكسوف من أحد الأفقين إلى جهة عرض القمر فحيث انتهى من دائرة الأفق فإلى سمت ذلك الجزء من الأفق تميل الظلمة في وسط الكسوف أعني إن كانت الشمس فيما يلي المغرب عددت من جهة سمت الجزء الغارب وإن كانت فيما يلي المشرق فمن جهة سمت الجزء الطالع. وإن أردت ان تعرف كسوف الشمس بالجداول بالتقريب فإذا علمت أن الشمس تنكسف أو أن يمكن أن تنكسف فخذ ساعات الاجتماع الحقيقية المعتدلة عن وقت انتصاف النهار في البلد الذي تريد ومعرفة ذلك بأن تحول ساعات الاجتماع إلى ساعات ذلك البلد ثم تنظر فإن كان الاجتماع قبل انتصاف النهار نقصت الساعات من أربع وعشرين ساعة وإن كان بعد نصف النهار إلى غروب الشمس أخذت الساعات بعينها فما حصل بإحدى الجهتين فهو ساعات الاجتماع عن خط نصف النهار فاعرف بها اختلاف منظر القمر في الطول من قبل الجداول المرسومة لاختلاف منظر القمر في الأقاليم حتى تعرف اختلاف منظره المقوم بالجدول الرابع من جداول التقويم للجزء الذي فيه القمر على ذلك الرسم فإذا عرفت ذلك فاقسمه على مسير القمر في الساعة فما حصل فهو ساعات الاختلاف الأول فإن كان بعد القمر عن الطالع أقل من تسعين فانقص ساعات الاختلاف الأول من ساعات الاجتماع

---

(١) الزيج، ص/٤٦

الحقي وإن كان البعد أكثر من ص فزدها على ساعات الاجتماع ثم خذ بعدها عن نصف النهار ثانية واعرف بها اختلاف منظر جزء القمر في الطول مقوماً بالجدول الرابع من جداول التقويم على تلك الجهة فما حصل فهو الاختلاف الثاني فاقسمه على سبق القمر فما خرج فهو ساعات الاختلاف الثاني فإن كان بعد الاجتماع أعني جزء القمر عن الطالع أقل من تسعين فانقصها من ساعات الاجتماع الحقي وإن كان أكثر من تسعين فزدها على ساعات الاجتماع الحقي وخذ بعدها عن نصف النهار أيضاً ثالثة فاعرف بها اختلاف منظر جزء القمر المقوم في الطول ثالثة فإن كان مثل الاختلاف الثاني أو نقصتها منها هي ساعات وسط الكسوف.." (١)

"والكثلكة لديهم عبادة أوثان وخرافات وأساطير مضرة مخلة بالآداب .. إلخ.

أكتفي بهذا القدر الآن مشيرا إلى أن هذه الحركة التي تقوم بها الجامعة الأمريكية غير محمودة، بل هي تخلق روحا سيئة في البلاد، فالواجب على كل وطني –مسلما كان أم مسيحيا– أن يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذا البلد وغيره من الأقطار هانئين آمنين".

عبد القادر الحسيني

خريج الجامعة الأمريكية بمصر

وقد كان للبطل الفلسطيني المحب لدينه ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أكبر الأثر في فضح هؤلاء الدجاجلة الصليبيين، إذ إنه في حفلة تخرجه من الجامعة الأمريكية بعد انتهاء دراسته، وعندما نودي على اسمه ليصعد إلى منصة التكريم ويتسلم شهادة التخرج، ألقى قنبلة مدوية عن نشاط الجامعة التبشيري وكرههم للإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم –، وأنه لا يشرفه تسلم هذه الشهادة .. وأسقط في أيدي القوم بعدما فضحهم هذا البطل الغيور على دينه.

وعلى إثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان، الذين اتصلوا بدورهم بالحكومة المصرية وأخبروها بالأمر، وطلبوا منها إخراج عبد القادر من مصر، فما كان من الحكومة المصرية إلا أن أصدرت قرارا يقضي بوضعه في سجن الأجانب كإجراء احترازي، ثم بطرده من مصر خلال أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك أصدرت الحكومة المصرية قرارا موقعا من رئيس الوزراء الطاغية "إسماعيل صدقي" بإخراج عبد القادر." (٢)

"جماعات مسلحة بالجزائر ترتكب مذابح ضد المدنيين.

عليه الصلاة والسلام ١٤٢١ رضي الله عنه رمضان ¤ ٢٠٠٠ ١/٨

بلغت حصيلة اعتداءات الجماعات المسلحة ٤٤ ضحية من المدنيين، تمت معظمها ليلا وفي ثلاث عمليات متفرقة. ولعل أبشع هذه المجازر هي الاعتداء الذي استهدف تلاميذ إحدى ثانويات التعليم التقني في مدينة المدية (جنوب العاصمة) ليلة السبت الماضي، وكانت الحصيلة مقتل ١٥ تلميذا وأحد حراس المؤسسة التعليمية، وأصيب ستة بجروح، أربعة منهم في حالة خطيرة. ولم تمر أربع وعشرون ساعة على هذه المجزرة حتى سجلت واحدة أخرى في مدينة تنس بولاية الشلف (غرب)، راح

---

(١) الزيج، ص/١١٤

(٢) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر، سيد حسين العفاني ٤/١٤٤

ضحيتها ١٥ مدنيا كانوا في حافلة صغيرة لنقل المسافرين، حيث أقام المعتدون، في حدود الساعة الثامنة والنصف ليلا، حاجزا في طريق لا يبعد عن وسط مدينة تنس إلا كيلومترين ونصف، فقاموا بفتح نيران رشاشاتهم على الركاب دون تمييز واختفوا فجأة كما ظهروا. وبعد أقل من ساعة من تلك المجزرة، وفي مدينة خميس مليانة (غرب الجزائر) باغتت مجموعة مسلحة أخرى، عائلة كانت في منزلها وقامت بذبح جميع أفرادها بطريقة يقول أحد الذين ذهبوا إلى مشرحة المستشفى لمعاينة الضحايا، أنها فاقت كل وحشية، وكانت النتيجة إبادة عائلة بأكملها من ثمانية أفراد وخمسة مدنيين آخرين جلهم أطفال كانوا في الشارع لما كانت المجموعة المسلحة متوجهة إلى بيت تلك العائلة.

٢/٣." (١)

"اشتباكات طائفية عنيفة في نيجيريا.

١٤٢٩ﷺذو القعدة¤٢٠٠٨ ١/٨

لقي مئات الاشخاص حتفهم خلال ثمان وأربعين ساعة في أعمال عنف بين النصارى والمسلمين في جوس بوسط نيجيريا على خلفية نتائج انتخابية، وقد هوجمت كنائس ومساجد ودمرت منازل أثناء الاضطرابات. وقد أمر الرئيس النيجيري اومارو يارادوا مساء الجمعة الماضية الجيش بالانتشار في جوس. وأمر حاكم الولاية جوناه جانغ بحظر التجول لمدة أربع وعشرين ساعة في أربعة أحياء من المدينة

٢/٣." (٢)

"فهو ما كان فيه اللفظان متشابهان من نوع من أنواع الكلمة الثلاثة، فهما قد اتفقا نوعا بأن كانا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، فهذا المتماثل أو المماثل، أخذا من التماثل وهو الاتحاد في النوع، إذا: إن ائتلف، ائتلف بمعنى: اتفق نوعا المراد بالنوع هنا: نوعا من أنواع الكلمة، يعن: اتفقا في الاسمية كل من اللفظين اسم، أو في الفعلية كل من اللفظين فعل، أو في الحرفية، كل من اللفظين حرف، دعي أي: سمي متماثلا.

فمثال الاسمين: ((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) [الروم:٥٥] ساعة .. ساعة، هنا حصل تمام، كل منهما اسم إذا هو جناس تام مماثل، جناس تام لماذا؟ لاتحاد الحرف والنظام، نطبق الحد، لماذا مماثل؟ لاتحادهما نوعا، يعني: كل منهما اسم ((ويوم تقوم الساعة)) [الروم:٥٥] أي: القيامة ((يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) [الروم:٥٥] الساعة الواحدة من الزمن التي تكون من أربعة وعشرين ساعة، إذا: ساعة ساعة، (أل) هل لها تأثير؟ الجواب: لا، لأنها زائدة، وعرفنا أنها ليست داخلة في هيئة أو عدد حروف الكلمة.

وكل منهما اسم، مع اتحاد المعنى أو اختلاف المعنى؟ مع اختلاف المعنى، لأن الساعة الأولى المراد بها المسمى الذي هو القيامة وأحداثها، والساعة الثانية المراد بها قطعة من الزمن .. الساعة المعلومة، فهنا اسمان واتفقا في الاسمية واتفقا في شيء آخر وهو الإفراد، كل منهما مفرد ساعة .. ساعة، ومنه مثال الناظم كما سيأتي.

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٠/١١

(٢) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٦٥/١١

وقد يكونان اسمين ويتفقان جمعية، كل منهما جمع، كقوله تعالى: ((يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)) [النور: ٤٣ - ٤٤] .. ((يذهب بالأبصار)) [النور: ٤٣] قال: ((لأولي الأبصار)) [النور: ٤٤] اتفقا تام تام لاتحاد الحرف والنظام، وهو متماثل لكون كل منهما اسما، واتفقا في الجمعية.

ومنه قوله:

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

حدق الآجال، الأول آجال: جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، آجال الثاني جمع أجل الذي هو منتهى الأعمار، هنا اتحدا في الجمع، وقد يختلف كل من اللفظين وهما اسمان إفرادا وجمعا، كقول الحريري:

وذي ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

ذمام .. ذمام، الأولى ذمام مفرد، بمعنى: الحرمة، والثاني: جمع ذمة بفتح الذال وهي البئر القليلة الماء، إذا: إن اتحدا كل منهما اسم حينئذ نقول: هذا متماثل، ثم له ثلاث صور: إما أن يكونا مفردين، أو جمعين، أو مختلفين، ومثاله من الفعلين قوله: تربت يمين المسلم وتربت يمين الكافر، تربت يمين المسلم، تربت أي: استغنت، الأولى بمعنى: استغنت، وتربت يمين الكافر، بمعنى: افتقرت، وهو كذلك تربت يمنه يحتمل معنيين، لكن لما أضيف وأسند إلى الكافر حينئذ صار بمعنى: افتقر، ولما أضيف إلى يمين المسلم حينئذ صار بمعنى استغنى، وهنا حصل بينهما تشابه في اللفظين وجناس تمام، وهو مماثل، والتماثل هنا في نوع الفعل.." (١)

"ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم. وسلمة [١] بن هشام بن المغيرة، حبسه عمه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه [٢] بها حتى مضى بدر وأحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر، يشك فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟

ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة.

(من عاد من بني جمح) :

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح. وابنه السائب بن عثمان، وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون.

(من عاد من بني سهم) :

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: خنيس [٣] بن حذافة بن

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٤٦

[()] وسلم: احملوه إلى أم سلمة، فحمل إليها، فمات عندها، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أن يرد إلى أحد فيدفن هنالك كما هو في ثيابه التي مات فيها، بعد أن مكث يوما وليلة. وفي رثائه يقول حسان بن ثابت:

اقنى حياءك في ستر وفي كرم ... فإنما كان شماس من الناس

قد ذاق حمزة سيف الله فاصطبرى ... كأسا رواء ككأس المرء شماس

[١] كان سلمة من خيار الصحابة وفضلائهم، وكان أحد إخوة خمسة: أبي جهل والحارث وسلمة والعاص وخالد، فأما أبو جهل والعاص فقتلا ببدر كافرين، وأسر خالد يومئذ، ثم فدى ومات كافرا، وأسلم الحارث وسلمة، وكانا من خيار المسلمين رضى الله عنهما. وكان سلمة قديم الإسلام، واحتبس بمكة، وعذب في الله عز وجل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له في صلاته، وقتل يوم خرج في خلافة عمر، وقيل: بل قتل بأجنادين قبل موت أبي بكر رضى الله عنه بأربع وعشرين ساعة سنة ١٣ هـ

[٢] يذكر في ذلك أنهما قالا له حتى خدعاه: إن أمه حلفت ألا يدخل رأسها دهن ولا تغتسل حتى تراه، فرجع معهما، فأوثقاه رباطا، وحبساه بمكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له.

[٣] كان خنيس بن حذافة على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد شهد بدرا، ثم شهد أحدا، ونالته ثمة جراحة مات منها بالمدينة.." (١)

"٢١١١- معتمر بن نافع، أبو الحكم.

روى عنه زيد بن حباب.

حدثنا معتمر بن نافع، أبو الحكم الباهلي، حدثنا أبو عبد الله العنزي، قال: جئت ثابتا البناني يوم الجمعة، فقال: حدثني أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ما منها ساعة إلا فيها ستمئة ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجب العذاب على نفسه.

قال أبو عبد الله: العنزي، هو عندي ميمون المكي.." (٢)

"نا معتمر بن نافع أبو الحكم الباهلي نا أبو عبد الله العنزي قال جئت ثابتا البناني يوم الجمعة فقال حدثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ما منها ساعة الا فيها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب العذاب على نفسه.

قال أبو عبد الله العنزي هو عندي ميمون المكي (١) .

٢١١٢ - معتمر بن أبي رافع (٢) عن أبيه أبي رافع قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم كبشا ثم قال هذا عني وعن أمتي،

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا عبد الملك بن هشام ٣٦٧/١

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٥٠/٨

روى عنه عمارة بن غزية، يعد في الشاميين.

باب مضاء (٣)

٢١١٣ - مضاء أبو إبراهيم الفائشي الكوفي وفائش من همدان سمع عائشة.

٢١١٤ - مضاء بن جارود الشامي سمع حكيم بن نافع حدث عنه محمد بن داود.

وأراه تحريفا، ومن هنا إلى آخر الترجمة من قط - ح.

(١) لم يذكر المؤلف في باب ميمون من يقال له ميمون المكي وفي التهذيب (

١٠ - ٣٩٤) ميمون المكي روى عن ابن الزبير.." ويبعد أن يكون هو هذا وفيه (

١٠ - ٣٨٧) " ميمون بن أبان الهذلي ويقال الحشمي أبو عبد الله البصري روى عن ثابت البناني روى عنه زيد بن الحباب " والله أعلم - ح (٢) هذه الترجمة من قط وقال ابن أبي حاتم في ترجمة المغيرة بن أبي رافع انه يقال في المعتمر وقد تقدمت ترجمة المغيرة في بابه رقم (١٣٥٣) والله أعلم - ح (٣) هذا الباب وترجمتاه من قط.

(*)."(١)

"شربت الشكاعى والتددت ألدة ... وأقبلت أفواه العروق المكاويا «١»

شربنا وداوينا وما كان ضارنا ... إذا الله حم المرء أن لا تداويا

وفي الحديث: «داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء» .

الحدث والحقنة والتخمة

عن وهب قال قال لقمان لابنه: إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة إلى الرأس، ويورث الباسور وتيجع «٢» له الكبد؛ فاجلس هويني وقم هويني. فكتبت حكمته على باب الحش «٣» .

وكان يقال: إذا خرج الطعام قبل ست ساعات فهو مكروه، وإذا بقي أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض.

وكان أبو ذفافة الباهلي اشتكى، فأشار عليه الأطباء بالحقنة فامتنع؛ فأنشأ أعرابي يقول: [طويل] لقد سربي- والله وقاك شرها-* نفارك منها إذ أتاك يقودها

كفى سوءة ألا تزال مجبيا ... على شكوة وفراء في استك عودها «٤»

وأشاروا على عبيد الله بن زياد بالحقنة فتفحشها؛ فقالوا: إنما يتولاها منك الطبيب؛ فقال: أنا بالصاحب آنس.." (٢)

"وقال: في الزيتونة يقول الله: وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين

«١» .

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٥٠/٨

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٩٧/٣

وتقول الأطباء: إذا خرج الطعم «٢» من قبل ست ساعات فهو من ضرر، وإذا أقام في الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضرر.

معاوية والمغيرة

: دخل المغيرة بن شعبة على معاوية فقال له معاوية: أنكرت من نفسي خصلتين: قل طعمي، ورق عظمي؛ فإن تدثرت بالثقيل أثقلني، وإن تدثرت بالخفيف أصابني البرد. قال: نم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين، يدفئانك بشحومهما، ويحملان عنك ثقل الدثار بمناكبهما، وأكثر من الألوان، وكل من كل لون ولو لقمة؛ فإن ذلك إذا اجتمع كثيره نفع. فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية: يا أعور، قد جربنا ما قلت فوجدناه موافقا.

التعويذ والرقي

أبو بكر بن أبي شيبة عن عقبة عن شعبة عن أبي عصمة قال: سألت سعيد بن المسيب عن تعليق التعويذ، قال: لا بأس به.

وكان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلقه عليهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أصبح: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل عين لامة، ومن كل شيطان وهامة؛ لم يضره عين ولا حية ولا عقرب.

وفي مسند ابن أبي شيبة أن خالد بن الوليد كان يفزع في نومه، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أخبرني جبريل أن عفريتا من الجن يكيدك، فقل: أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من." (١)

"والموضع الذي مبلغ أطول ما يكون من النهار فيه إحدى وعشرون ساعة من ساعات الاستواء فإن بعد دائرته الموازية من معدل النهار أربعة وستون جزءا ونصف جزء وترسم مارة بأمم لا يعرفون ولا يعدون من الصقالبة، ولم يذكر ظلا، وظل رأس الحمل هناك خمس وعشرون إصبعا وسدس إصبع وظل رأس السرطان عشر أصابع ... وظل رأس الجدي أربع وستون وأربعمئة إصبع، واثنتان وعشرون دقيقة وثمان وأربعون ثانية من إصبع.

والموضع الذي مبلغ أطول ما يكون من النهار فيه اثنتان وعشرون ساعة من ساعات الاستواء، فإن بعد تلك الدائرة الموازية من معدل النهار خمسة وستون جزءا ونصف جزء وظل رأس الحمل هناك ست وعشرون إصبعا وعشرون دقيقة وثلاثون ثانية من إصبع، وظل رأس السرطان عشر أصابع وأربعون دقيقة وثماني عشرة ثانية، وظل رأس الجدي ألف إصبع ومئة وخمسون إصبعا وسبع عشرة دقيقة وتسع ثوان من إصبع.

والموضع الذي يكون مبلغ أطول أيامه ثلاث وعشرون ساعة من ساعات الاستواء يكون بعد الدائرة الموازية عليه من معدل النهار ستة وستين جزءا وظل رأس الحمل هناك ست وعشرون إصبعا وسبع وخمسون دقيقة من إصبع، وظل رأس السرطان عشر أصابع وإحدى وخمسون دقيقة وسبع وعشرون ثانية ولا حد لظل الجدي.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٠٣/٧

والموضع الذي مبلغ أطول ما يكون النهار فيه أربع وعشرون ساعة من ساعات الاستواء فإن بعد دائرته الموازية من معدل النهار ستة وستون جزءا ونصف جزء قال: وهذه أول الدوائر التي يقع الظل فيها دائرا حول المقياس وكل ما انتصب، وذلك أن الشمس لما كانت لا تغيب هناك في الانقلاب الصيفي وحده - يريد رأس السرطان - صارت أظلال المقاييس تقع إلى جميع جهات الأفق وفي هذا الموضع دائرة الإنقلاب الصيفي الموازية لمعدل النهار دائمة الظهور، ودائرة الانقلاب الشتوي الموازية لمعدل النهار دائمة الخفاء من قبل أنهما جميعا يماسان الأفق فيه على المبادلة ويصير الدائرة المائلة أيضا التي تمر بأوساط البروج هي الأفق إذا كان الطالع منها نقطة الاستواء الربيعي - أي رأس الحمل.." (١)

"الموت وهو لم يشاهده حيا ناطقا إلا ميتا ومنهم من قال بأن جوهر الأفلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد شيئا من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ طول النهار بها أربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها ستة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب علقة والعلقة تنقلب مضغة ولم يشاهدها عيانا ومن قال بأرض لا يتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسين ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسما إلا مؤلفا مركبا في أشباه لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل لا شيء غير ما يعاينه [١] ولا شيء غاب عنه إلا كما يشاهده محال باطل وبعد فانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والفرح والحزن واللذة والكراهية والحب والبغض وغير ذلك من كثير من الأعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون ولا عرض ولا ريح ولا طعم أو صفة من الصفات ثم لم يجب إبطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

---

[١] . يعانيه Ms.." (٢)

"أبا زكريا بن الصلت، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، الأول خير من الثاني، والثاني خير من الثالث، والثالث خير من الرابع، حتى أتى على آخر العدد»

حدثني ابن الجارود، قال: ثنا محمد بن عامر، قال: ثني الصلت بن زكريا، قال " قال محمد بن يوسف: اجعل إفطارك الليلة عندي والملتقى عند الركن، فجئت وإذا محمد بن يوسف قد سبقني، فذهبت إلى منزله، فأخذ رداءه فبسطه وأجلسني عليه، ثم جاء بكعك وطعام فأكلناه "." (٣)

"ويرحل قوم. وقال العلماء الليل والنهار أربع وعشرون ساعة في كل ساعة ستمائة ألف نفس يموتون وستمائة ألف يولدون ويعز ستمائة ألف ويذل ستمائة ألف. (مثال آخر) هي كالحية لين لمسها قاتل سمها. (مثال آخر) هي كالنائحة كل يوم تنوح في دار. (مثال آخر) هي كالمرأة الفاجرة يوما عند بيطار ويوما عند عطار. (مثال آخر) هي كالثوب يشق من أوله إلى آخره فيبقى معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع، مثال الانسان والامل والاجل كمثل شخص

---

(١) صفة جزيرة العرب الهمداني ص/

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٨١/١

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها أبو الشيخ الأصبهاني ٢٤٧/٣

وراءه الاجل وأمامه الامل فبينما هو يطلب الامل إذ أتاه الاجل فاحتبسه. (مثال آخر) هي كالمرأة الساحرة تريك من نفسها انها عاشقة لك وهي هاربة منك وأنت تظن أنها موافقة وهي مفارقة كظل الشمس يعتقد الانسان انه ساكن وهو متحرك على الدوام، وهذا يا معشر العقلاء مثال العمر ينقص في كل ساعة وأنتم لا تشعرون. (مثال آخر) هي كالمرأة الفاجرة تغمز الناس بعينها وترى انها تقضي حوائجهم ثم تحملهم الى بيتها فتهلكهم. (مثال آخر) هي كالمرأة الحسنة وتحت ثيابها سرقين ظاهرها عامر وباطنها خراب، فظاهر الدنيا عيش وجمال وتمتع وأنس وباطنها محن وإحن وفتن ومصائب وشدائد، غم في غم وهم في هم. (مثال آخر) هي كطريق المسافر فأول منزله المهد وآخره اللحد فكل سنة منزل وكل." (١)

"البيض حسب له بصومه ثلاثة آلاف سنة ومن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر وقامه". أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف الغطريفي رحمه الله حدثنا أبو عبد الله المستملي محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن علي بن خالد الكاهلي وأحمد بن أبي حاتم المروزي زاد بعضهم على بعض قالا حدثنا أبو بكر بن الوليد الصائغ حدثنا سعد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن الربيع بن خثيم عن بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا ابن مسعود إذا دخل شهر رمضان تغل الشياطين وتغلق أبواب النار وتفتح أبواب الجنان ولا يجوز فيه السحر ويدفع الله عن الصائمين شر أهل السماء وأهل الأرض ويسكن غضب الله وتنزل الرحمة من السماء كما ينزل القطر من السماء إلى الأرض من أول الشهر إلى آخره ويستجاب فيه الدعاء ويغفر لهم وتنزل عليهم البركة والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ينزل الله عز وجل عليهم في كل ساعة من ساعاته ألف رحمة وألف يقين وينزع الغضب من قلوب السلاطين والجبابرة ويلقي في قلوبهم الرأفة والرحمة ويعتق الله من النار في كل ساعة من ساعاتها ألف ألف من الموحدين ممن قد استوجبوا النار ويشفع كل واحد منهم في سبعمائة ألف ولكل واحد منهم سبعمائة ألف إلى آخر ثلاث مرات ويزيد في أعمارهم وأرزاقهم ويكونون في كنف الله عز وجل ومن مات منهم دخل الجنة إلى انقطاع الحول ويسأل عن كل نفقة من العبد إلا ما كان في شهر رمضان فإنه لا يسأل عن شيء من ذلك وإنما وضع الله شهر رمضان رحمة لعباده المؤمنين وكفارة لذنوبهم".." (٢)

"أسبابها فإنها وإن كانت محركة للأشياء فليست من ذاتها ولا بغير مماسة لأنها جسم ولها حوافز من خارج تكون حركتها بحسب حفزها إياها، ونفيهم السكون عنها إشارة منهم إلى دوام التحريك لا إلى السكون والحركة اللذين يكونان للجسم، وكذلك نفي الفتور عنها دلالة على تبرئها عن الأحوال المختلفة فإن الفتور واللغوب لا يكون إلا للمركب من المتضادات في الكيفية، وأما حفظ القطبين لفلك الثوابت فمعناه على النظام لا عن أن يسقط، وكان حكى عن بعض قدماء اليونانيين أنه رأى في المجرة أنها كانت في بعض الأزمنة طريقة للشمس ثم انتقلت عنها، وهذا هو زوال الحركات عن النظام الجائز أن يضاف إلى حفظ الأقطاب؛ وأما قول «بلبهدر» في تناهي الحركة فمعناه أن الخارج إلى الوجود الواقع تحت العدد لا محالة متناه «١» من جهة مبدئه لأن العدد كائن من تراكيب الواحد وتضاعيفه وهو يتقدمها لا محالة، ومن جهة الموجود منه في الآن من الزمان، وذلك ضرورة فإن كانت الأيام والليالي متزايدة العدة بدوام الكون فلها أول منها ابتدأت،

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٢٤٨

(٢) تاريخ جرجان حمزة السهمي ص/٣٤٤

وإن جحد جاحد وجودها في الفلك فزعم أن النهار والليل كائنان بالاضافة إلى الأرض وسكانها وأنها إذا رفعت عن وسط العالم وهما ارتفع الليل والنهار بارتفاعهما وزال التعديد عن المركبات من مجموعاتهما وهي الأيام عدل بلبهدر عن الاستدلال بموجب الحركة الأولى إلى موجب الثانية وهو أدوار الكواكب فإنها بحسب الفلك دون الأرض وعبر عنها بكلب «٢» لأنه الجامع لها والذي يبتدئ جميعها من أوله، وأما قول «برهمكوبت» في معدل النهار: إنه المقسوم بستين، فهو بمنزلة قول قائل لو كان من أصحابنا: إنه المقسوم بأربعة وعشرين، وذلك أنه الكائل للأزمنة والعاد لها ودوره مشتمل على أربع وعشرين ساعة كما يشتمل عند الهند على ستين كهريا ولهذا حسبوا مطالع البروج بالكهريات دون أزمان معدل النهار؛ وأما قوله." (١)

"الوله والجزع، فقال أمير المؤمنين: لا عليك، ألك شاهد بالتوبة؟ فقلت: نعم، قاضي حلب وعدولها. فقال: بمن يعرف ذلك الرجل؟ فأقول: بعبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب، حرسها الله، في أيام شبل الدولة، فأقام هاتفا يهتف في الموقف: يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمان شبل الدولة، هل معك علم من توبة علي بن منصور بن طالب الحلبي الأديب؟ فلم يجبه أحد. فأحذني الهلع والقل، أي الرعدة ثم هتف الثانية، فلم يجبه مجيب، فليح بي عند ذلك أي صرعت إلى الأرض ثم نادى الثالثة، فأجابه قاتل يقول: نعم، قد شهدت توبة علي بن منصور،

توبة علي بن منصور

وذلك بأخرة من الوقت، وحضرت متابة عندي جماعة من العدول، وأنا يومئذ قاضي حلب وأعمالها، والله المستعان. فعندها نهضت وقد أخذت الرمق، فذكرت لأمير المؤمنين، عليه السلام، ما ألتمس، فأعرض عني وقال: إنك لتروم حددا ممتنعا، ولك أسوة بولد أبيك آدم. وهمت بالحوض، فكدت لا أصل إليه، ثم نغبت منه نغبات لا ظمأ بعدها؛ وإذا الكفرة يحملون أنفسهم على الورد، فتذودهم الزبانية بعصي تضطرم نارا، فيرجع أحدهم وقد احترق وجهه أو يده وهو يدعو بويل وثبور. فطفت على العترة المنتجبين فقلت: إني كنت في الدار الذاهبة إذا كتبت كتابا وفرغت منه: قلت في آخره: وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى عيرته الأخيار الطيبين. وهذه حرمة لي ووسيلة،

فاطمة بنت محمد

فقالوا: ما نصنع بك؟ فقلت: إن مولاتنا فاطمة، عليها السلام، قد دخلت الجنة مذ دهر، وإنها تخرج في كل حين مقداره أربع وعشرون ساعة من الدنيا الفانية فتسلم على أبيها، وهو قائم لشهادة القضاء، ثم." (٢)

"وزرع كثير ويروى زرعها بالسواقي وقد لبثت بها واحدا وعشرين يوما وكان أمامنا حتى شاطئ البحر صحراء فسيحة طولها أكثر من مائتي فرسخ

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة البيروني ص/٢٠٩

(٢) رسالة الغفران أبو العلاء المعري ص/٥٨

وكان حينذاك الموسم الذي يعود فيه الحجاج على الجمال فانتظرناهم لنستأجرها ونذهب بها وهي راجعة وكنت عرفت وأنا في أسوان رجلا تقيا صالحا يعرف شيئا من علم المنطق اسمه عبد الله محمد بن فليج وقد عاونني في اكتراء الجمل واختيار الرفيق وغير ذلك وقد استأجرت جملا بدينار ونصف دينار ورحلت عن هذا البلد في الخامس من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٢٩ يوليو ١٠٥٠) وكان الطريق يتجه نحو الجنوب

بعد ثمانية فراسخ من رحلتنا بلغنا جهة تسمى ضيقة وهي واد في الصحراء على جانبيه حائطان من الجبال وسعته مائة ذراع وقد حفر فيه بئر يخرج منه ماء كثير ولكنه ليس عذبا وبعد أن تركنا ضيقة سرنا خمسة أيام في صحراء لا ماء فيها وكان مع كل منا قربة ماء ثم بلغنا منزلا يسمى الحوض وهو جبل حجري فيه عينان يتفجر منهما ماء عذب يستقر في حفرة ولم يكن بد من أن يذهب رجل إلى حيث العينان ليحضر الماء لشرب الإبل التي مضى عليها سبعة أيام لم تشرب فيها ولم تأكل إذ أن علفها قد نفد كله وكانت تستريح مرة في الأربع وعشرين ساعة وذلك من الوقت الذي تشتد فيه حرارة الشمس حتى صلاة العصر وتسير بقية الوقت والمنازل التي ينزلون بها معلومة فليس ممكنا النزول في أي مكان لتعذر وجود ما توقد به النار أما في هذه المنازل فإنهم يجدون بعر الإبل فيتخذونه وقودا يطبخون عليه ما تيسر وكأن الإبل تعلم أنها إن أبطأت ماتت عطشا فهي تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق في هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق وهناك أمكنة يقل فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخا ويكون ملحا وأمكنة لا يوجد فيها ماء قط مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخا." (١)

"الرجلان اللذان لم ندخلهما الحمام يوم كذا وكان يظن أنني لا أعرف لغته فقلت له بالعربية حقا ما تقول فنحن اللذان كنا نلبس خرقة من الصوف على ظهرنا فخجل الرجل واعتذر وكان بين هذين الحالين عشرون يوما وقد ذكرت هذا الفصل حتى يعرف الناس أنه لا ينبغي التذمر من أزمات الزمان واليأس من رحمة الخالق جل جلاله وعم نواله فإنه تعالى رحيم

وصف المد والجزر بالبصرة ووصف أنهارها

يحدث المد ببحر عمان عادة مرتين كل أربع وعشرين ساعة فيرتفع الماء بمقدار عشر أذرع وحين يبلغ الارتفاع أقصى مداه يبدأ الجزر بالتدريج فينخفض الماء عشرا أو اثنتي عشرة ذراعا ويعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدار الأذرع العشر بظهوره على عمود أقيم هناك أو على حائط ولو كانت الأرض مستوية وغير عالية لعظم امتداد البحر اليها ويسير النهران دجلة والفرات بغاية البطء حتى يتعذر في بعض الجهات معرفة اتجاه التيار فيهما وحين يبدأ المد بدفع البحر ماءهما مسافة أربعين فرسخا حتى يظن إنهما يرتدان إلى منبعيهما أما في الأماكن الأخرى التي تقع على شاطئ البحر فإن امتداد المد إليها يتوقف على ارتفاعها وانخفاضها فحيثما استوت الأرض ازداد المد وحيثما ارتفعت قل ويقال إن المد والجزر متعلقان بالقمر فيبلغ المد أقصى مداه حين يكون القمر على الأفقين يعني أفقي المشرق والمغرب ومن ناحية أخرى حين يكون القمر في اجتماع الشمس واستقبالها يزداد الماء أي ان المد يزيد في هذه الأوقات ويعظم ارتفاعه وحين يكون القمر في التربيعات تأخذ المياه

---

(١) سفر نامه ناصر خسرو ص/١١٧

في النقصان يعني لا يكون علوها كثيرا وقت المد ولا ترتفع ارتفاعها وقت الاجتماع والاستقبال وكذلك يكون جزرها في هذه الحالة أقل هبوطا منه في وقت الاجتماع والاستقبال وبهذه الدلائل يقولون إن المد والجزر متعلقان بالقمر والله تعالى أعلم." (١)

"٢٦٠ وذكر بطليموس أن مدن الأرض في عهده أربعة آلاف ومائتان. وقد بين أهل العلم بالهندسة بغير وجه من البراهين أن الأرض ثابتة في وسط العالم قائمة في مركزه لا حركة لها في ذاتها وأنها مستديرة الشكل وأن جميع الأثقال تميل وترجع «١» إليها بالطبع وأن كل جزء من أجزائها البعيدة عن المركز بدور الارتفاع والانخفاض مطيعة إلى مركزها وأن الفلك المستقيم يدور عليها بجميع ما يحيط به من الأفلاك والكواكب السيارة والثابتة دورة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة مستوية التي هي جملة النهار والليل من آخر النهار. وركب الله عز وجل على الأرض جرم الشمس لعلمه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيب العالم في فلك أخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من درج فلك البروج، فلذلك ما اختلفت حركة الشمس على الأرض فحمي مزاج جوهر الهواء المحيط بالناحية الجنوبية، وكان الجزء المعمور من الأرض في الناحية الشمالية إذ كان كل حيوان بطبعه أحمل للبرد منه للحر. ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان ما لا يحصى كثرة وكذلك من النبات؟ ولا يتكون في النار منه شيء إلا الشاذ النادر إن صح ذلك فيه كما زعموا أنه يتكون في أفران الزجاجين ضرب من سام أبرص حمر الألوان، فإذا خرجت عن النار هلكت. فوجب لهذه العلة أن يكون رسم الأقاليم السبعة وبحدودها في الجزء الشمالي من الأرض كما ترى.

٢٦١ وأهل القطب الشمالي يرون بنات نعش ولا يرون كواكب القطب الجنوبي كسهيل، فإنه لا يرى بخراسان ويرى بالعراق في السنة أياما، ولا يقع عليه." (٢)

"من ذكر شدة ما قاساه بعدما صح.

وقال عبد الله بن المعتز:

أتاني برء لم أكن فيه طامعا ... كمثل أسير حل بعد وثاقه

فإن كنت لم أجزع من الموت جزعة ... فإني مججت الموت بعد مذاقه «١»

تغير اللون

قال الصولي: لم يسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بدت صفرة في لونه إن حمدهم ... من الدر ما اصفرت حواشيه في العقد

وقال أبو تمام:

لم يشن وجهه البهيج ولكن ... جعلت ورد وجنتيه بهارا «٢»

أنواع مختلفة في الطب

---

(١) سفر نامه ناصر خسرو ص/١٤٩

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١٨٨/١

اشتكى رجل بطنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذهب إلى امرأتك واستوهب منها درهمين واشتر بهما عسلا واقرأ عليه القرآن وتناوله، ففعل فبرأ، فقيل له في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يقول: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

«٣» ، وقال في العسل فيه شفاء للناس، وقيل: في الطعام إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود، وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضر. وقيل: كل شيء ينام من الإنسان إلا أربعة الوريد والسحر والمثانة والمعدة.

وقال جعفر بن محمد قيل: الطبائع أربع، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه، والبلغم وهو خصم ألد جدل إن خصمته من جانب احتج عليك من جانب، والصفراء وهي مرة كالصبي ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها. وقيل: إذا كان الطبيب حاذقا والعليل عاقلا والقيم فهما فأجدر بالداء أن يزول.

لسعت عقرب صرم أعرابي، فقيل أين لسعتك؟ فقال: حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر فقال أعرابي: عندي دواؤه فقيل له: ما هو؟ قال: الصياح إلى الصباح. قيل: فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية.

ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني، ويقول: إن علتك من حدة السفر، فدعا الفضل يوما وقال: أبغني." (١)

"ومن كلام ثابت، رضي الله عنه، قال: لا يسمى عابد عابدا وإن كان فيه كل خصلة خيرة حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم ، والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه.

وقال حرمي: استعان رجل بثابت البناني على القاضي في حاجة فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل فصلى حتى انتهى إلى القاضي، فكلمه في حاجة الرجل، فقضاها، فأقبل ثابت على الرجل، فقال: لعله شق عليك ما رأيت؟ قال: نعم، قال: ما صليت صلاة إلا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك.

وقال في دعائه: يا باعث يا وارث، لا تدعني فردا وأنت خير الوارثين.

وقال: ما على أن يذكر الله في كل يوم ساعة فيربح يومه.

وقال: طوبى لمن ذكر ساعة الموت، وما أكثر عبد ذكر الموت إلا رئي ذلك في عمله.

وقال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة لا يأتي على ذي روح إلا." (٢)

"يريد أهوي وأعجلي والجلدي الشديد والقرب الليلة التي يصبح في صبيحتها الماء قال زهير:

فشج بها الأماعز وهي تهوي ... هوي الدلو أسلمها الرشاء

والهاوية اسم من أسماء جهنم سميت بذلك لهوى المجرمين فيها. وقوله ومجاري الأيام في الزيادة والنقص المجاري جمع مجرى وهو مصدر وتقريب ذلك أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة مستوية إذا نقص من النهار شيء زاد في الليل مثله حتى يستوفي

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥١٩/١

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٧١٨

اليوم والليلة أربعا وعشرين ساعة فإذا نزلت الشمس الحمل اعتدلا وسمى الاعتدال الربيعي ويكون في النصف الأخير من آذار ثم يزيد النهار إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء وذلك في النصف الأخير من حزيران فيكون هذا انتهاء طول النهار وقصر الليل ثم يأخذ الليل من النهار إلى أن ينتهي قصر النهار وطول الليل وذلك يكون في النصف الأخير من كانون الأول وهو كون الشمس في آخر القوس ثم يأخذ النهار من الليل حتى يرجع الاعتدال الربيعي. وقوله ودوران الشمس هو تقلبها وتصرفها وهو مصدر دار دورا ودورانا وإذا جاء الاسم على فعلان فبابه الحركة والاضطراب نحو نزوان وقفزان وغليان وغثيان إلا ما أشذوا نحو الميلان والشنآن وموتان الأرض للموات منها. ودوران الشمس يختلف لأنها تسير في يوم سيرا ثم تسير في غدا غيره فلا يمكن شرحه. وقوله وحال القمر في استهلاله قال الليث غرة القمر حين يهله الناس في غرة الشهر تقول أهل القمر ولا يقال أهل الهلال وقد غلط في ذلك وكلام العرب أهل الهلال واستهل رواه الثقات أبو عبيد عن أبي عمرو وثعلب عن ابن الإعرابي ويسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالا ولليلتين من آخر الشهر ليلة ست وسبع وعشرين هلالا وسمى ما بين ذلك قمرا ويقال أهللت الهلال واستهللنا قال أبو العباس سمى الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالأخبار عنه يقال أهل الرجل واستهل إذا رفع صوته وسمى القمر قمر البياضة والأقمر الأبيض وإفعاله عندهم تأثيراته وقوله ووزن الموازين هي جمع ميزان واصله موزان وإنما قلبت في الواحد الواو ياء لانكسار ما قبلها والموازين آلات تقاس بها الأرضون فيعرف بها قدر ما بينها من ارتفاع وانخفاض. وقوله وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا. أما المثلثة الحادة الزوايا فهي التي إذا ضربت ضلعين من أضلاعها أيتهما كانت كل واحدة منهما في مثلها وجمعته كان أعظم من الضلع الباقية في مثلها مثاله أرض مثلثة ضلع خمس عشرة ذراعا وأخرى." (١)

"الخليل بن عبد الله الحافظ أنبأنا القاضي عطاء الله بن علي أنبا الشيخ أبو إسحاق إسماعيل بن أبي القاسم بن أحمد السني أنبا الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن محمد الشالوسي حدثني أبو يعلى الخليل بن عبد الله الحلواني ثنا زيد بن الحباب عن المعتمر بن نافع عن أبي عبد الله العنزي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار".

عبد الواحد بن منصور البخاري نسبا أبو العلا الأبهري أديب فاضل شاعر كانت له مكاتبات مع القاضي عبد الملك بن المعافى ووغيره ودر قزوين.

عبد الواحد بن هبيرة بن عبد الملك أبو مضر العجلي القزويني سمع علي بن أحمد بن صالح والقاضي عبد الله بن أبي زرعة وأبا الحسن الصقبلي ومحمد بن إسحاق الكيساني وأبا عمر بن مهدي وروى عنه أبو الفضل القومساني وأحمد بن عمر الصندوقي وعلي بن محمد الميداني وحدث عنه القاضي أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد فيما أملى سنة اثنتين وخمسمائة في رمضان بحق كتابه إليه قال ثنا القاضي أبو الحسن علي بن سعيد ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن مهرويه البزاز.

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٥٣

ثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد بن محمد بن جعفر ثنا أحمد بن إبراهيم بن يزيد حدثني صالح بن مهران حدثني النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر." (١)

"أقول وهذا جملة ما تهيأ ذكره من كتب جالينوس الصحيحة والمنحولة إليه على ما أثبته حنين ابن إسحق في كتابه مما قد وجده وأنه قد نقل إلى اللغة العربية

وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمان وأربعون سنة وكانت مدة حياته سبعين سنة فبالضرورة أنه قد وجد أشياء كثيرة أيضا من كتب جالينوس ونقلت إلى العربية

كما قد وجدنا كثيرا من كتب جالينوس

ومما هو منسوب إليه بنقل حنين بن إسحق وغيره وليس لها ذكر أصلا في كتاب حنين المتقدم ذكره

ومن ذلك تفسير كتاب أوجاع النساء لأبقراط مقالة واحدة

تفسير كتاب الأسابيع لأبقراط مقالة واحدة

تفسير كتاب تدابير الأصحاء لأبقراط مقالة واحدة

كتاب مداواة الأسقام ويعرف أيضا بطب المساكين مقالتان

كتاب في الجبر ثلاث مقالات

كتاب في الموت السريع مقالة واحدة

مقالة في الحقن والقولنج

مقالة في النوم واليقظة والضمور

مقالة في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة

مقالة في عناية الخالق عز وجل بالإنسان رسالة إلى فيلافوس الملكة في أسرار النساء

رسالة إلى فسطانس القهرمان في أسرار الرجال

كتاب في الأدوية المكتومة التي كنى عنها في كتبه ورمزها مقالة واحدة وقال حنين ابن إسحق غرض جالينوس في هذا الكتاب أن يصف ما جمعه طول عمره من الأدوية الخفيفة الخواص وجربها مرارا كثيرة فصحت فكتمها عن أكثر الناس ضنا بها عنهم ولم يطلع عليها إلا الخواص من ذوي الألباب وصحة التمييز من أهل الصناعة

وقد كان غيري فسر هذا الكتاب فصحف وزاد فيه ما ليس منه ونقص منه ما لم يفهم تفسيره

فساعدت نفسي فيه بحسب الإمكان والطاقة وقابلت به على التجارب التي اجتمعت عندي وفسرت ذلك إلى العربي لأبي جعفر محمد بن موسى

مقالة في استخراج مياه الحشائش

مقالة في إبدال الأدوية

---

(١) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٢٧٨/٣

كتاب فيما جمع من الأقاويل التي ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب

مقالة في الألوان

جوامع كتابه في البرهان

كتاب الرد على الذين كتبوا في المماثلات

كتاب طبيعة الجنين

كتاب الرد على أرثيجانس في النبض

كتاب في السبات

اختصار لكتابه في قوى الأغذية

كتاب في الأفكار المسفية لأراسطراطس

كتاب منافع الترياق

مقالة في الكيموسات

كلام في الطعوم

رسالة في عضة الكلب الكلب

كتاب في الأسباب الماسكة

تفسير كتاب فولوبس في تدبير الأصحاء

تفسير ما في كتاب فلاطن المسمى طيماوس من علم الطب

كتاب في الأدوية المنقية

كتاب في الأمعاء

كتاب في تحسين الأصوات ونفي الآفات عنها

أقول وبالجملة فإن لجالينوس أيضا كتبا أخر كثيرة مما لم يجده الناقلون منها ومما قد أندرس على طول الزمان وخصوصا ما في المقالة الثانية مما قد ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس

فمن كانت له رغبة في النظر إلى أسمائها وفي أغراضه في كل واحد منها فعليه بالنظر في ذلك الكتاب." (١)

"وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضا

وقد ذكر أسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة

قال عبيد الله بن جبرائيل ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحراني أنه دخل إلى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر رحمه الله وكان إنسانا نبيل القدر قد عارضه ضيق نفس شديد صعب

فأخذ نبضه وأشار بما يستعمله فشاوره في الفصد فقال له لا أراه وإن كان يخفف المرض تخفيفا بينا

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١٤٩

وانصرف

وجاءه أبو موسى المعروف ببقة الطبيب وأبصر نبضه وقارورته وأشار بالفصد

فقال له الشريف قد كان عندي أبو الحسن الحراني الساعة وشاورته في الفصد فذكر أنه لا يراه صوابا

فقال بقة أبو الحسن أعرف

وانصرف فجاءه بعض الأطباء الذين هم دون هذه الطبقة فقال يفصد سيدنا فإنه في الحال يسكن وقوى عزمه على الفصد ولم يبرح حتى فصده فعندما فصده خف عنه ما كان يجده خفا بينا ونام وسكن عنه واغتدى وهو في عافية

فعاد إليه أبو الحسن الحراني آخر النهار فوجده ساكنا قارا فقال له لما رآه على تلك الحال قد فصدت فقيل كيف كنت أفعل ما لم تأمرني به قال ما هو هذا السكون إلا للفصد

فقال له الشريف لما علمت بهذا لم لا تفصدني قال له أبو الحسن الحراني إذ قد فصد سيدنا فليبشر بحمى ربع سبعين دورا ولو أن أبقراط وجالينوس عنده ما تخلص إلا بعد انقضائها

واستدعى دواة ودرجا ورتب تدبيره لسبعين نوبه ودفعه إليه

وقال هذا تدبيرك فإذا انقضى ذلك جئت إليك

وانصرف

فما مضى أيام حتى جاءت الحمى وبقيت كما قال فما خالف تدبيره حتى برئ

قال عبيد الله بن جبرائيل ومن أخباره أنه كان للحاجب الكبير غلام وكان مشغوفا به واتفق أن الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها أجلاء الدولة

ولما اشتغل بأمر الدعوة حم الغلام حمى حادة فورد على قلب الحاجب من ذلك موردا عظيما وقلق قلقا كثيرا

واستدعى أبا الحسن الحراني فقال له يا أبا الحسن أريد الغلام يخدمني في غداة غد تعمل كل ما تقدر عليه وأنا أكافئك بما يضاهي فعلك

فقال له يا حاجب إن تركت الغلام يستوفي أيام مرضه عاش وإلا فيمكنني من ملازمته أن يقوم في غد لخدمتك

ولكن إذا كان في العام المقبل في مثل هذا اليوم يحم حمى حادة ولو كان من كان عنده من الأطباء لم تنجع فيه مداواته ويموت إما في البحران الأولى أو الثاني فانظر أيهما أحب إليك

فقال له الحاجب أريد أن يخدمني في غداة غد وإلى العام المقبل فرج

ظنا منه أن هذا القول من الأحاديث المدفوعة

فلازمه أبو الحسن ولما كان في غد أفاق وقام في الخدمة وأعطى الحاجب لأبي الحسن خلعة سنية ومالا كثيرا وصار يكرمه غاية الإكرام

فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حم فيه الغلام عاودته الحمى فأقام محموما سبعة أيام ومات

فعظم في نفس الحاجب وجماعة من الناس قول أبي الحسن وكبر لديهم محله وكان هذا منه كالمعجز

وقال هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ الكاتب حدثنا أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي قال حدثني الشريف أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى أنه أراد ابتياع جارية عاقلة من دور بني." (١)

"فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار نعبده فيها حق عبادته ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر وفاته الشطر الباطن لإتصاف قلبه بالجمود وبعده في العباد والتلاوة عن لين القلوب والجلود كما قال تعالى ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا ويتميز به عنهم فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة والذوق الصحيح والفراسة الصادقة والمعرفة التامة والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها

فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ولقائه بذوق الإيقان لنعبده كأننا نراه كما جاء في الحديث." (٢)

"فلما كان في بعض الأيام اجتازا، فلم يرياه، فظنا أنه قد شغل عنهما، ومن غد سألا عنه؟ فقيل لهما: إنه الآن قد مات!. فعجبا من ذلك، وقال أحدهما للآخر: له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته، فمضيا جميعا وشاهداه، فلما نظراه، تشاورا في فصده، وسألا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة، ليفكروا في أمره، ففعلوا ذلك، وأحضروا فاصدا ففصده فصدة واسعة، فخرج منها دم غليظ، وكان كلما خرج الدم خف عنه، حتى تكلم وسقياه ما يصلح، وانصرفا عنه.

ولما كان في اليوم الثالث خرج إلى دكانه، فكان هذا من المعجز لهما، فسئلا عن ذلك؟ فقالا: سببه أنه كان إذا قلى الكبد يأكل منها، وبدنه يمتلئ دما غليظا وهو لا يحس، حتى فاض من العروق إلى الأوعية، وغمر الحرارة الغريزية، وخنقها كما يخنق الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج، فلما بدروه بالفصد نقص الدم، وخف عن القوة الحمل الثقيل، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم إلى الصحة، وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضا، وقد ذكر أسبابه الفاضل" جالينوس" في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة.

قال عبيد الله بن جبرائيل: ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحراني:

أنه دخل إلى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر- رحمه الله تعالى- وكان إنسانا نبيل القدر، قد عارضه ضيق نفس شديد، صعب، فأخذ نبضه، وأشار بما يستعمله، فشاوره في الفصد، فقال له: لا أراه وإن كان يخفف المرض تخفيفا بينا، وانصرف، وجاءه أبو موسى المعروف ببقة الطبيب، وأبصر نبضه وقارورته، وأشار بالفصد، فقال له الشريف: قد كان عندي أبو الحسن الحراني الساعة، وشاورته في الفصد فذكر أنه لا يراه صوابا.

فقال بقة: أبو الحسن أعرف!. وانصرف، فجاءه بعض الأطباء الذين هم دون." (٣)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٠٩

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ابن عبد الهادي ص/٣١٤

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٩/٤٢٥

"الضرب الثاني (التاريخ العجمي)
ومداره الأيام دون الليالي؛ لأن سنتهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل، فلذلك أرخوا بالأيام. قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : قال أحمد بن يحي البلاذري: حضرت مجلس المتوكل، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النوروز «١» ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك، فدخلتني نفاسة «٢» فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الكتاب خطأ! فأعادوا النظر، وقالوا: ما نراه فما هو؟ - قلت: أرخ السنة الفارسية بالليالي، والعجم تؤرخ بالأيام، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر؛ والعرب تؤرخ بالليالي؛ لأن سنيهم وشهورهم قمرية، وابتداء الهلال بالليل- قال: فشهدوا بصحة ما قلته، واعترف به إبراهيم. وقال: ليس هذا من علمي.
قلت: وأكثر ما يحتاج إلى ذلك في تحويل السنين ونقل النيروز عند دوران السنين، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره، وكذلك في كتابة الهدن «٣» فسيأتي أنه يجمع فيها بين التاريخ العربي والعجمي جميعا، ويجب فيه تقديم العربي على العجمي، مثل أن يكتب «كتب لعشر خلون من المحرم سنة ثمانمائة، موافقا للعاشر من توت من شهور القبط» أو العاشر من تشرين الأول من شهور السريان، أو العاشر من ينير من شهور الروم، أو العاشر من أفرودين ماه، من شهور الفرس ونحو ذلك.." (١)

"فزحل مشتق من زحل فلان إذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره، وقيل: للزحل والزحل الحقد، وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال: إنه المراد في قوله تعالى: والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب
[الطارق/ ١- ٣] . والمشتري سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه، وقيل: لأنه نجم الشراء والبيع، ودليل الريح والمال في قولهم.
والمريخ مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض أغصانه ببعض فيوري نارا سمي بذلك لاحمراره، وقيل: المريخ سهم لا ريش له إذا رمي به لا يستوي في ممره، وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك، والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لأنهم من فوقها، وثلاثة سفلية لأنهم من تحتها سميت بذلك لأن الواسطة التي في المخنقة تسمى شمسة، والزهرة من الزاهر وهو الأبيض النير من كل شيء، وعطارد هو النافذ في كل الأمور ولذلك يقال له أيضا الكاتب فإنه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب، والقمر مأخوذ من القمرة وهي البياض والأقمر الأبيض.
ويقال لزحل كيوان، وللمشتري تبر والبرجيس أيضا، وللمريخ بهرام، وللشمس مهر، وللزهرة أياهيد وسدحت أيضا، ولعطارد هرمس، وللقمر ماه، وقد جمعت في بيت واحد وهو هذا:
لا زلت تبقى وترقى للعلى أبدا ... ما دام للسبعة الأفلاك أحكام
مهر وماه وكيوان وتبر معا ... وهرمس وأياهيد وبهرام
ويقال: لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة.

---

(١) tongue suckin

سميت بذلك لثباتها في الفلك بموضع واحد، وقيل: لبطء حركتها فإنها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة.

ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه، والأفلاك أجسام كريات مشقات بعضها في جوف بعض وهي تسعة أقربها إلينا فلك القمر، وبعده فلك عطارد، ثم بعده فلك الزهرة، وبعده فلك الشمس، وفوقه فلك المريخ، ثم فلك المشتري، وفوقه فلك زحل، ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة، ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع، ويسمى الأطلس، وفلك الأفلاك، وفلك الكل، وقد اختلف في الأفلاك فقيل: هي السماوات، وقيل: بل السماوات غيرها، وقيل: بل هي كرية، وقيل غير ذلك. وقيل: الفلك الثامن هو الكرسي، والفلك التاسع هو العرش، وقيل غير ذلك. وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة، ودورانه يكون أبدا من المشرق إلى المغرب، ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لإدارة." (١)

"ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا ماضيها وباقيها

اعلم: أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة، فقال قوم من القدماء الأول: بالأكوار والأدوار وهم الدهرية، وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة، وهم في ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم، وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سني العالم أو أيام العالم، وإنه كلما مضى ذلك العدد عادت الأشياء إلى حالها الأول.

وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل، أبي معشر وغيره، وتبع هؤلاء خلق وأنت تقف على فساد هذا الظن إن كنت تخبر من العدد شيئا ما، وذلك أنك إذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة، فإنك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس، فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الأدوار، ظنوا أنها عدد أيام العالم، فتفطن ترشد.

وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائر حتى تعود إلى تلك النقطة، وأن الكور هو استئناف الكواكب في أدوارها سيرا آخر إلى أن تعود إلى مواضعها مرة بعد أخرى.

وزعم أهل هذه المقالة، أن الأدوار منحصرة في أنواع خمسة:

الأول: أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تداويرها.

الثاني: أدوار مراكز أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة.

الثالث: أدوار أفلاكها الحالة في فلك البروج.

الرابع: أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج.

الخامس: أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة، وهذه الأدوار المذكورة، منها ما يكون في كل زمان طويل مرة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٤/١

واحدة، ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة، فأقصر هذه الأدوار، أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة فإنه يدور في كل أربع وعشرين ساعة، دورة واحدة، وباقي الأدوار يكون في أزمنة أخر أطول من هذه لا حاجة بنا في هذه المسألة إلى ذكرها.

قالوا: وأدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة، وحينئذ تنتقل أوجات الكواكب، وجوز هراتها إلى مواضع حضيضها، ونوبهراتها وبالعكس، فيوجب ذلك عندهم، عود العوالم كلها إلى ما كانت عليه من الأحوال في الزمان والمكان والأشخاص والأوضاع، بحيث لا يتخالف ذرة واحدة، وهم مع ذلك." (١)

"نظر كل سنة إلى زرع الشعير بنواحي العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن إلى أن يمضي منه أربعة عشر يوما، فإن وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة، وإن وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ، وتقدمت المعرفة بهذه الحالة، وإن من أخذ برأيه يخرج لسبعة تبقى من شفط، فينظر بالشام والبقاع المشابهة له في المزاج إلى زرع الشعير، فإن وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع، عد منه إلى الفاسح خمسين يوما، وإن لم يره طالعا كبسها بشهر، فبعضهم يردف الكبس بشفط، فيكون في السنة شفط وشفط مرتين، وبعضهم يردفه بآذر فيكون آذر وآذر في السنة مرتين، وأكثر استعمال العانانية لشفط دون آذر، كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره.

فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول: إن شهر تشري لا يكون أوله يوم الأحد والأربعاء، وعدته عندهم ثلاثون يوما أبدا، وفيه عيد رأس السنة، وهو عيد البشارة بعتق الأرقاء، وهذه العيد في أول يوم منه، ولهم أيضا في اليوم العاشر منه صوم الكبور، ومعناه الاستغفار، وعند الربانيين أن هذا الصوم لا يكون أبدا يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة، وعند من يعتمد في الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس في ليلة العاشر إلى غروبها من ليلة الحادي عشر، وذلك أربع وعشرون ساعة. والربانيون يجعلون مدة الصوم خمسا وعشرين ساعة، إلى أن تشتبك النجوم، ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا، وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصنات، وظلم الرجل أخاه، وجحد الربوبية، وفيه أيضا عيد المظلة، وهو سبعة أيام يعيدون في أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام المظلة إلى آخر اليوم الثاني والعشرين، تمام سبعة أيام، واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف، وهم يجلسون في هذه الأيام السبعة التي أولها خامس عشر تشري تحت ظلال سعف النخل الأخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الأشجار التي لا يتناثر ورقها على الأرض، ويرون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله آباءهم في التيه بالغمام، وفيه أيضا عيد القرائين خاصة صوم في اليوم الرابع والعشرين منه، يعرف بصوم كدليا، وعند الربانيين يكون هذا الصوم في ثالثه.

وشهر مر حشوان ربما كان ثلاثين يوما، وربما كان تسعة وعشرين يوما، وليس فيه عيد.

وكسليو ربما كان ثلاثين يوما، وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد، إلا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٢

الخامس والعشرين منه، وهو مدة أيام يسمونها الحنكة، وهو أمر محدث عندهم، وذلك أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس، وقتل من كان فيه من بني إسرائيل، وافتض أبكارهم، فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله." (١)

"يا حسن المقلتين والجيد ... تقتلني منك بالمواعيد

تضرب لي الوعد ثم تخلفني ... فيا بلائي من خلف موعود [١]

حدثني الأزرق المحدث عن ... ابن شمر عن ابن مسعود

لا يخلف الوعد غير كافره ... وكافر في الجحيم مصفود

حدثني أبو بكر محمد بن سهل الرازي قال: كنت بالموصل فرأيت رجلا له مائة وثلاث وعشرون سنة، قد لقي السدي قال: قرأت في الإنجيل، فذكر أشياء إلى أن قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس، كل ساعة ألف ومائتين وخمسين نفسا/ حدثنا محمد بن حاتم السمرقندي أبو نصر إملاء بمكة، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ربيعة الكلابي، حدثنا أحمد بن رشد الهلالي، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن السري بن إسماعيل، عن الشعبي قال: كنت عند عبد الله بن عباس، فجاءه رجل فقال: يا أبا عباس، أما تعجب من عائشة تذم دهرها، وتنشد شعر لبيد [٢] : [الكامل]

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتأكلون ملاذة ومشحة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب [٣]

فقال عبد الله بن عباس: لئن ذمت عائشة دهرها، فقد ذمت عاد دهرها [٤] ، وجد في خزانة عاد سهم كأطول ما يكون من رماحنا عليه مكتوب، وذكر الشعر، فقال ابن عباس: ما بكينا من دهر، إلا بكينا عليه [٥] .

ذكر مستحسنات انتقيتها من مصنف عبد الرزاق

قال [٦] عبد الرزاق في المصنف [٧] عن الثوري، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان اسم جارية النبي صلى الله عليه وسلم خضرة، وحماره يعفور، وناقته القصوى، وبغلته الشهباء، وسيفه

---

[١] في ع: فيا بلاي.

[٢] البيتان من قصيدة للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ص ١٥٧ تحقيق إحسان عباس.

[٣] في حاشية ب، ل: الشغب الصياح من غير تعب.

[٤] في محاضرات الأدباء ص ٢٥٤- ٢٥٥ برواية: فقد شكت قوم عاد في زمانهم.

[٥] الخبر مع خلاف في الرواية في: بهجة المجالس ص ٦٩٦، ومحاضرات الأدباء ص ٢٥٤- ٢٥٥ وذكر بيتين، وحلية الأولياء ٤/ ٣٢٣.

[٦] العنوان في الأصل، خرجة من الحاشية.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٣٧٦

[٧] عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري: أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء، له كتب منها: (الجامع الكبير) في الحديث، وكتاب (تفسير القرآن) و (المصنف في الحديث) ، ويقال له الجامع الكبير، حققه حبيب الرحمن الأعظمي الباكستاني، ونشره المجلس العلمي الباكستاني، ويقع في أحد عشر جزءا، توفي سنة ٢١١ هـ. (وفيات الأعيان ٣٠٣/١، ميزان الاعتدال ١٢٦/٢، التهذيب ٣١٠/٦، نكت الهميان ص ١٩١، الأعلام ٣٥٣/٣) .." (١)

"وعادة الحجاج [أنهم] يودعون بعض أمتعتهم فيها ليأخذوها إذا رجعوا. والظاهر أنها سميت بعنزه بن أسد بن ربيعة، وبه سميت القبيلة المشهورة، لأن تلك الأرض مسكنهم قديما.

[معان أيضا]

ومعان هذه طيبة الهواء، عذبة الماء، يودعون «١» (الحجاج) فيها أمتعتهم ليأخذوها إذا رجعوا «٢» ويتزود الحجاج منها ما يحتاجون من قوت وعلف دواب. أقمنا فيها يوما في أكل نفيس مع انشراح وانبساط، والمسافة عشرون فرسخا قطعناها بأربع وعشرين ساعة. وعادة الحاج كان ينزل في عنزه ثم معان لكنا جعلنا المرحلتين مرحلة واحدة لضيق الوقت.

[العقبة]

وتليها مرحلة العقبة «٣» ، نزلنا في واد تحيط به الجبال من جوانبه الأربعة، ولا ماء ثم، والمسافة ثمانية عشر فرسخا لكنا قطعناها (١٧٠ ب) بعشرين ساعة.

[جغيمان]

وتليها مرحلة جغيمان بضم الجيم وفتح الغين المعجمة فياء ساكنة فميم مفتوحة فألف وآخر الحروف نون. سميت- كما قيل- باسم شيخ من شيوخ الأعراب، كان يأخذ الصر عندها، وبعضهم يقول جغينمان، يزيد نونا بين الياء والميم.

[المدورة]

وتسمى هذه المرحلة أيضا بالمدورة لأن قربها جبل صغير مدور، وفي تلك الأرض قلعة." (٢)

"[تبوك]

وتليها مرحلة تبوك، وهي التي كانت الغزوة المشهورة واقعة فيها، المعروفة بين أهل السير بغزوة تبوك. وفيها الآن قلعة صغيرة «١» حواليها أشجار التين والنخل إلا أن النخل صغار.

وفي القلعة حراس، وعادة الحجاج [أنهم] يضعون أمتعتهم فيها أيضا، ولا سيما ما يتعلق بالأكل، والمسافة عشرون فرسخا إلا أنا قطعناها بأربع وعشرين ساعة. وعادة الحجاج يجعلون هذه المسافة مرحلتين، الأولى مرحلة القاع «٢» وهي عبارة عن بر أفيج»

لا ماء فيه، وأقمنا في تبوك يوما، وزارنا يوم النزول محدث الأقطار الشامية الشيخ إسماعيل العجلوني فلم يجدني في الخيمة، فجاءنا ثانيا يوم الإقامة هو والشيخ سليمان شيخ المحيا، فتحادثنا معهما مقدار ساعة، واعتذر الشيخ من تقصيره في دمشق

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/١٣٧

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السُّوَيْدي ص/٢٩٤

حيث لم يكرر الزيارة.

[المغر]

وتليها مرحلة المغر جمع مغرة، بفتح الميم وسكون الغين وتحرك أيضا. [و] هي في الأصل طين أحمر والممغر كمعظم: المصبوغ بها، وبسر «٤» ممغر كمحدث: لونه كلونها، والأمغر جمل على لونها والمغر محركة، والمغرة بالضم (١٧١ ب) لون ليس بناصع الحمرة، أو شقرة بكدرة، والأمغر الأحمر الشعر والجلد، والذي في وجهه حمرة في بياض صاف، ولبن مغير." (١)

"فقالوا: وأين الفراش فبعثوا لاحضاره وسألوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش إلى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب إلى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال دبوى نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب فقالوا له: دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها فلم يرض أيضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندها في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما أصبح النهار ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا إلى بيت صاري عسكر الكبير فاحضرها وسلمها إلى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته.

وفي يوم الخميس نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يدهب بها إلى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها أو كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق وأن يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات.

وفيه نادوا على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين والبطالين ليسافروا إلى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر وقالوا له: أرنا طريقا للذهاب فإن طريق البرغير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الأسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم." (٢)

"ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد أو بحجج اسلافهم ومورثيهم فإذا طولبوا باثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل فإن قبلت فعل به ما ذكر ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم إذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلوما لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضا ولا حق فيها للورثة وأن فتحت على الرسم بأذن الديوان يدفع على ذلك الأذن مقررا أو كذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وكذلك من يدعي

---

(١) النفحة المسكية في الرحلة المكية السُّوَيْدي ص/٢٩٦

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٠٨

دينا على الميت يثبته بديوان الحشريات ويدفع على اثباته مقرر أو يأخذ له ورقة يستلم بها دينه فإذا استلمه رفع مقررا أيضا ومثل ذلك في الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوي والمنازعات والمشاجرات والاشهادات الجزئيات والكليات والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدرا وكذلك المولود إذا ولد ويقال له اثبات الحياة وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك وغير ذلك.

وفيه نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون أو منهزمون لا يسخرون بهم ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم.

وفيه نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكر عند الأمراء فأخذوا مكانا بوكالة علي بساحل بولاق وبالجمالية وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم.

وفيه أحضروا محمد كتخدا أباسيف الذي كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء المصريين وكان سابقا كتخدا حسن بك الجداوي فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشا لإبراهيم بك.

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول إلى المدينة." (١)

"مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير وملزوم أيضا من اصابه هذا التشويش أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر أن يكون قصاصة الموت وهو الجاني على نفسه بسبب انتقاله وكل رئيس ملة في خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصة الموت والمغسل أن كان رجلا أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة اوشك في موته ولم يخبر قبل مضي أربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصةالموت وهذه الاوامر الضرورية بلزوم اغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية وكل من خألف حصل له مزيد من الانتقام من قائمقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسني قائمقام يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الاوامر وينتبهوا لها وكل من خألف يحصل له مزيد الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذي يدخل في محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الأخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذي قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أي طائفة أو ضيفا أو تاجرا أو زائرا أو غريما مخاصما لا بد لصاحب المكان من أيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر في شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة باظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وموالسا مع المماليك.

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢١٠

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة في المرة الأولى وأما في المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك." (١)

"المفروش بطول الفسحة ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ويعرف منه الباقي للزوال ومدارات البروج شهرا شهرا وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ولكن لساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر وفضل دائر الغروب وقوس الشفق والفجر وسمت القبلة وتقسيم الدرج وامثال ذلك لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون إلى ذلك فلم يعانوه ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عامود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنينه وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة وهي متقنة الرسم والصناعة وحولها معاريفها واسم واضعها بالخط الثلث العربي المجود حفرا في النحاس وفيها تنازيل الفضة على طريق أوضاع العجم وغير ذلك.

ومنها أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على اتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذي كان ناظرا على الكسوة فقيدوا في النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد إسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب أجد العدول بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك واظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا في تحرير دفتر الإرسالية خاصة.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة ١٢١٣.

في سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا في إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل." (٢)

"إلى القلعة فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا وفي صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها أن سارى عسكر قبض على ابن القاضي وعزله وأنه وجه اليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم اننا جميعا نتشفع ونترجى عنده في العفو عن ابن القاضي فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور وأن كان والده وافق كتخدا الباشا في فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده إلى مكانه فإن والدته وجدته وعياله في وجد وحزن عظيم عليه وسارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد في القول بأن قال: وأيضا إنكم تقولون دائما أن الفرنساوية

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٦٤

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٦٨

احباب العثمانية وهذا ابن القاضي من طرف العثملي فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة فاجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله لا بأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر سارى عسكر في اختيار قاض خلافه والا تكونوا مخالفين ويلحقكم الضرر بالمخالفة فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشي الحنفي ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون وذهب به الوكيل إلى سارى عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه وأمر باحضاره آخر النهار فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل الديوان الفرنساوي بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية في منزل دوجا قائمقام وركبوا صحبته إلى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشي فألبسه فروة مثمنة وركبوا جميعا إلى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالافراج عن ابن القاضي بعد أربع وعشرين ساعة." (١)

"فظهر عليهم أولاد علي وهزموهم وقتل من الدلاة أكثر من مائة وكذلك من العسكر ونحو الخمسة عشر من المماليك فأمر الباشا بسفر عساكر أيضا وصحبتهم نعمان بك وخلافه وسافرت طائفة من العرب إلى ناحية الفيوم فأرسلوا لهم عدة من العسكر.

وفي أواخره سافر أيضا شاهين بك وباقي الالفية خلاف أحمد بك فإنه أقام بالجيزة.

وفيه نودى على المعاملة بأن يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين وكان بلغ في مصارفته إلى مائتين وأربعين والمحبوب بمائتين وخمسين فنودى على صرفه بمائتين وأربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بأيدي الناس والصيارف لتحكيرهم عليها ليأخذها تجار الشام بفرط في مصارفتها تضم للميري فيدور الشخص على صرف القرش الواحد فلا يجد صرفه إلا بعد جهد شديد ويصرفه الصراف أو خلافه للمضطر بنقص نصفين أو ثلاثة.

وفيه سافر أيضا حسن الشماشرجي ولحق بالمجردين.

وفي أواخره ورد الخبر بأن محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الاشراف بدمنهور واهانه وضربه وصادره وأخذ منه الفي ريال بعد أن حلف أنه لم يأت بها في مدة أربع وعشرين ساعة وإلا قتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصلته يده وبقي عليه باقي ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب أهله رمته فحلف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه.

ومن الحوادث السماوية أن في سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى وامطرت بردا في مقدار بيض الدجاج واكبر واصغر فهدمت دورا واصابت انعاما غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدري.." (٢)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٩٥/٢

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٤٣/٣

"وعاما بعد عام. وقال له الوجه: أوليس في موضعك طاقة تنظر منها. فقال الدقاق: بلى. ولكنها مظلمة. على أنه وإن تكن لي طاقة فلا أتجاسر على التطلع منها. حيث لا يمكن لي الوقوف ولو طرفة عين. والحاصل أن مللت هذا الحال. وإن استزدتني شرحا. فإني أخبرك بما سبب لي الضجر من شغلي. وذلك أني حسبت في صباح هذا اليوم كمية المرار التي أغدو وأروح فيها مدة أربع وعشرين ساعة. فعظم ذلك علي. وقد يمكن تحقيق ذلك بمعرفة أحد الجلوس الذين فوق. فبادر عقرب الدقائق إلى العدد وقال بديها: إن عدة المرار التي ينبغي لك فيها المجيء والذهاب في هذه المدة الوجيزة. إنما تبلغ ستا وثمانين ألفا وأربع مئة مرة. فقال الدقاق: هو هكذا. فهل (والحالة هذه وقصتي قد رفعت لكم) يخال أن مجرد التفكير في هذا العمل لا يوجب عناء وتعبا لمن يعانيه. على أني حين شرعت في ضرب دقائق ذلك اليوم في مستقبل الشهور والأعوام زالت مني قوتي ووهن عظمي وعزمي. وما ذلك بغريب. وبعد تخيلات شتى عمدت إلى الوقوف كما ترونني. فكاد الوجه في أثناء هذه المكالمة أن لا يتمالك عنه. ولكنه كظم غيظه وخاطبه بحلم وقال: يا سيدي الدقاق العزيز إني لفي تعجب عظيم من انقلاب شخص فاضل نظيرك لمثل هذه الوساوس بغتة. نعم إنك وليت عمرك أعمالا جسيمة كما عملنا نحن كلنا أيضا. وإن." (١)

"سواحل الولاية

لولاية حلب عدة سواحل أعظمها اسكندرونة القائمة على سيف البحر «١» الأبيض، بعدها عن حلب على خط مستقيم ستة وسبعون ميلا تقريبا. وأما بعدها عن طريق أنطاكية الذي يسافر عليه الكروان «٢» فمائة وتسعون ميلا ومسافة هذا الطريق على سير البغل أربع وعشرون ساعة تقطع على ثلاث مراحل. وميناء اسكندرونة من أحسن مواني حلب لأن جبل اللكام يرسل هناك بعض شعابه فتنعطف ويتكون منها شكل حوض كأنه من عمل الصناعة. ومن مواني حلب أيضا ميناء السويدية من عمل أنطاكية ثم ميناء قاب آو من عمل اسكندرونة ثم قره طوران من مضافات جسر الشغر.

حر حلب

يشتد حر حلب من تاسع يوم من حزيران ويستمر إلى اليوم الحادي عشر من أيلول، وحينئذ يأخذ بالاعتدال. وأشد ما يكون في شهري تموز وآب لأن فيهما تهب ريح السموم وترتفع الزوابع في ضواحي حلب وتقوى الهوام والحشرات وتخرس بلابلة الرياض وتشح مياه العيون والآبار وربما جف بعضها ويلذ الماء البارد ويعلو الزئبق في هذا البحران «٣» إلى بضع وثلاثين درجة في الظل الشمالي بمقياس السنتكراد وقد يصل في بعض السنين إلى الدرجة الحادية والأربعين. وذلك نادرا جدا وحينئذ يشتد ضرره على الأطفال، فإنه قد يسبب لهم الإسهال الأسناني ويوعك أجسامهم. والنوء يضطرب من ابتداء شهر أيلول فلا يكاد يستقيم على حالة واحدة ساعة واحدة فينبغي التحفظ بالثياب والتدثر وقت النوم.

قال بعضهم شعرا:

خذ في التدثر في الخريف فإنه ... مستوبل ونسيمه خطاف

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٧٤/٣

يجري مع الأجسام في غسق الدجى ... بلطافة ومن اللطيف يخاف

والنوم على السطح في غير شهر تموز لا يخلو من ضرر.." (١)

"(الكورنتينة) من خان شيخون والهبيط والمضيق والحمراء. وفيها عملت الحكومة إحصاء مواليد ووفيات في الجهات الآتي ذكرها، في غضون ستة أشهر من هذه السنة، فكانت كما يأتي «١» :

وفيات/ مواليد الإناث/ الذكور/ الإناث/ الذكور/ جمع الوفيات/ جمع المواليد/ اسم/ القضاء

٦٠٤/٩٥/٥٦٥/٩٢٦/٧٠١/١٤٩١/قضاء أنطاكية ٤٣٤/٤٦٤/٤٣٢/٦٠١/٨٩٨/١٠٣٣/- حارم

٣٣/٧٢/١١٢/١٣٦/١٠٥/٢٨٨/- إسكندرون ٣٢٢/٨٨٨/١٦٥/٨٤٨/١١١٠/١٤٩٤/- كلز

٧٩/١١١/١٧٩/١٨٧/١٩٠/٣٦٦/- المعرة ١٥٦/٣٠٧/٣٨٤/٤٨٢/٤٦٤/٨٦٦/- جسر الشغور

٨٤٨/٥٩٧/٦٠٦/٧٧٧/١٣٤٥/١٣٨٤/- إدلب////

٤٨٨٣/٦٩٢٢/٩٦٠/١٦٨٧/٢٥٧٥/٣٠٤٨/٢٦٤٧/٥٦٢٣/لواء مرعش//// ٧٤٢٠/١٢٥٤٥ وأحصيت المواليد والوفيات في لواء مرعش في غضون ستة الأشهر المذكور، فبلغت مواليده ٥٦٢٣ الذكور منهم ٣٠٤٨ والإناث منهم ٢٥٧٥ ووفياته ٢٦٤٧ الذكور منهم ١٦٨٧ والإناث منهم ٩٦٠ نسمة. وفيها ورد من متصرفية مرعش أن بقرة في قرية جلكي- في قضاء البستان- ولدت ثلاثة عجول في بطن واحد وبعد أربعة وعشرين ساعة هلكت العجول وأمهم «٢» .." (٢)

"أول ما ظهر من نتائج توتر العلائق:

قال الأستاذ الفاضل محمد كردعلي في كتابه خطط الشام ما خلاصته: كان الجنرال غورو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية ولبنان يعزز جيشه في الساحل. ثم في ١١ تموز سنة (١٩٢٠) أرسل إلى الملك فيصل كتابا قال فيه: «بينما كانت السكينة سائدة في سوريا أثناء الاحتلال الإنكليزي ابتدأ الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية، ولا يزال آخذا بازدياد منذ ذلك الوقت» . وأرسل إليه أيضا يوم ١٤ تموز بلاغا يكلفه فيه أن يعطى فرنسا الخط الحديدي من رياق إلى حلب، وأن تلغي حكومة فيصل القرعة العسكرية، وأن يقبل الانتداب الفرنسي والنقود السورية، ويضرب على أيدي الأشقياء.

فطلب الملك مهلة أربع وعشرين ساعة. فانتهت ثم مددت أربعا وعشرين ساعة أخرى، ثم مددت ثانية ولم يجب لانقطاع الأسلاك البرقية. وحينئذ سار الجنرال غورو بجيوشه إلى جهة دمشق واشتعلت نار الحرب في جبال ميسلون بين جيوشه وبين الجيش العربي، يعضده بعض عامة دمشق وبضع مئات من البدو، فكانت الغلبة للجيوش الفرنسية. ثم أعلم الجنرال غورو الملك فيصلا أنه مستعد أن يتوقف عن الزحف إذا قبل بمواد الإنذار السابق وبشروط بينها له- مذكورة في خطط الشام- فتأخر جواب الملك فيصل عن هذا الإنذار، فاستمرت الجيوش الفرنسية على الزحف إلى أن دخلت دمشق في

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٤٠/١

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٣٥٥/٣

اليوم ال ٢٥ تموز سنة (١٩٢٠) بعد أن قتل من الجيش العربي مقتلة عظيمة. وأسر منه العدد الكبير على الوجه الذي حكاه الأستاذ محمد كردعلي في خططه مفصلا.

ذكر ما حدث في حلب أثناء هذه الحرب:

وفي أثناء هذه الحرب ورد الأمر من قيادة دمشق إلى القيادة العسكرية العربية بالاستعداد إلى مقاومة الجيوش الفرنسية. فاستعدت القيادة للمقاومة على زعمها بإعداد جيش من الجند الوطني لا يزيد عدده على بضع مئات، ونشرت الدعوة للمقاومة بين العامة واستدعت بعض قبائل الأعراب من ضواحي حلب، وخرجت العامة إلى الثكنة العسكرية وطلبوا من القيادة السلاح فلم تعطهم. وطلب الجند منها عددا من المدافع فأجابتهم بأن ما هو موجود منها في الثكنة مختل لا يصلح للاستعمال.." (١)

"وكان وجودها على العرش دعوة للملائكة أن تحضر الزفاف وتباركه.

وكانت بصغرها الظريف الجميل تعطي لكل شيء تماما، فيرى أكبر مما هو، وأكثر مما هو في حقيقته. كانت النقطة التي استعلنت في مركز الدائرة، ظهورها على صغرها هو ظهور الإحكام والوزن والانسجام في المحيط كله.

لا يكون السرور دائما إلا جديدا على النفس، ولا سرور للنفس إلا من جديد على حالة من أحوالها؛ فلو لم يكن في كل دينار قوة جديدة غير التي في مثله لما سر بالمال أحد، ولا كان له الخطر الذي هو له؛ ولو لم يكن لكل طعام جوع يورده جديدا على المعدة لما هنأ ولا مرأ؛ ولو لم يكن الليل بعد نهار، والنهار بعد ليل، والفصول كلها نقيضا على نقيضه، وشيئا مختلفا -على شيء مختلف- لما كان في السماء والأرض جمال، ولا منظر جمال، ولا إحساس بهما؛ والطبيعة التي لا تفلح في جعلك معها طفلا تكون جديدا على نفسك، لن تفلح في جعلك مسرورا بها لتكون هي جديدة عليك.

وعرش الورد كان جديدا عند نفسي على نفسي، وفي عاطفتي على عاطفتي، ومن أيامي على أيامي؛ نزل صباح يومه في قلبي بروح الشمس، وجاء مساء ليلته لقلبي بروح القمر؛ وكنت عنده كالسماء أتلألأ بأفكاري كما تتلألأ بنجومها؛ وقد جعلتني أمتد بسروري في هذه الطبيعة كلها، إذ قدرت على أن أعيش يوما في نفسي؛ ورأيت وأنا في نفسي أن الفرح هو سر الطبيعة كلها، وأن كل ما خلق الله جمال في جمال، فإنه تعالى نور السموات والأرض، وما يجيء الظلام مع نوره، ولا يجيء الشر مع أفراح الطبيعة إلا من محاولة الفكر الإنساني خلق أوهامه في الحياة، وإخراجه النفس من طبائعها، حتى أصبح الإنسان كأنما يعيش بنفس يحاول أن يصنعها صناعة، فلا يصنع إلا أن يزيغ بالنفس التي فطرها الله.

يا عجبا! ينفر الإنسان من كلمات الاستعباد، والضعة، والذلة، والبؤس، والهم، وأمثالها، وينكرها ويردها، وهو مع ذلك لا يبحث لنفسه في الحياة إلا عن معانيها.

إن يوما كيوم عرش الورد لا يكون من أربع وعشرين ساعة، بل من أربعة وعشرين فرحا؛ لأنه من الأيام التي تجعل الوقت يتقدم في القلب لا في الزمن، ويكون بالعواطف لا بالساعات، ويتواتر على النفس بجديدها لا بقديمها.." (٢)

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٥٧٦/٣

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣٧/١

"شعرة. كان من دأبه ان يتخذ للأمر كل عدة ممكنة وأن يصطنع للنجاح كل وسيلة متيسرة، ثم يتوكل على الله. ولم تكن صروف الزمان وتقلبات الايام لتقوى على إخماد عزيمته. فلم تكد تنقضي على كارثة أحد الرهيبة أربع وعشرون ساعة ليس غير حتى انطلق مطاردا العدو. وبكلمة، فقد كان قلبه، مهما قست المحن، متوهجا أبدا بأيمان راسخ بأن الحق لا بد ان ينتصر في آخر الشوط.." (١)

"الفصل السادس عشر آثار أحد

ائتمار القبائل المجاورة بالمسلمين- غزوة بني أسد- أمر الهذلي- مقتل خبيب وأصحابه بالرجيع- مقتل المسلمين ببئر معونة- إجلاء بني النضير عن المدينة- غزوة بدر الآخرة- غزوة دومة الجندل.

سياسة محمد بعد أحد

عاد أبو سفيان من أحد إلى مكة، وقد سبقته إليها أخبار النصر، ممتلئ النفس غبطة وسرورا بما زال عن قريش من عار بدر. ولم يلبث حين بلغها أن قصد الكعبة قبل أن يدخل إلى بيته، وبها رفع إلى كبير الهتهم هبل آي الثناء والحمد؛ ثم حلق لمته ورجع إلى داره موفيا نذره ألا يقرب زوجه حتى ينتصر على محمد. أما المسلمون فألفوا المدينة وقد تنكر لهم الكثير من أمرها، على رغم مطاردتهم عدوهم وثباتهم له ثلاثة أيام سويا من غير أن يجترئ على الرجعة إليهم وهو المنتصر قبل أربع وعشرين ساعة عليهم. ألفوا المدينة وقد تنكر لهم الكثير من أمرها وإن بقي سلطان محمد فيها السلطان الأعلى، وشعر عليه السلام بدقة الموقف وحرج المركز، لا في المدينة وحدها، بل كذلك عند قبائل العرب ممن كان الرعب منه قد داخل نفوسها؛ فقد ردت أحد إليها من السكينة ما سمح لها أن تفكر في معارضته ومناوأته. لذلك حرص على أن يقف من أخبار أهل المدينة ومن أخبار العرب جميعا، على ما يمكنه من استعادة مكانة المسلمين وسطوتهم وهيبتهم في النفوس.

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد

وكان أول ما بلغه بعد شهرين من أحد أن طليحة وسلمة ابني خويلد، وكانا على رأس بني أسد، يحرضان قومهما ومن أطاعهما يريدان مهاجمة المدينة والسير إلى محمد في عقر داره ليصيبوا من أطرافه وليغنموا من نعم المسلمين التي ترعى الزروع المحيطة بمدينتهم. وإنما شجعهم على ذلك اعتقادهم أن محمدا وأصحابه لا يزالون مضعضعين من أثر أحد. فما لبث النبي حين اتصل به الخبر أن دعا إليه أبا سلمة بن عبد الأسد وعقد له لواء سرية تبغ عدتها مائة وخمسين، منهم أبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير، وأمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارا وسلوك طريق غير مطروق حتى لا يطلع أحد على خبرهم، فيفجئوا العدو بالإغارة عليه على غرة منه. ونفذ أبو سلمة ما أمر به حتى جاء القوم ولم يستعدوا لنضال، فأحاط بهم في عماية الصبح، وحض رجاله وحرضهم على الجهاد؛ فلم يستطع المشركون أن يثبتوا لهم، فوجه لواءين

---

(١) حياة محمد ورسالته محمد علي اللاهوري القادياني ص/٢٧٧

في طلبهم وطلب الغنيمة، وأقام هو ومن معه حتى عاد المطاردون بما غنموا، فنحوا الخمس لله ورسوله وللمسكين وابن." (١)

"ثم الشروق، ثم الإشراق، ثم الرأد، ثم الضحى، ثم المتوع، ثم الهاجرة، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم الطفل، ثم العشي، ثم الغروب١.

وأما ساعات الليل، فهي على حد قولهم: الشاهد٢، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم الفحمة، ثم الموهن، ثم القطع، ثم الجوسر "الجوس" "الجوشن"، ثم العبكة، ثم التباشير، ثم الفجر الأول، ثم المعترض، ثم الإسفار. وأسماء أخرى يذكرها اللغويون٣، حيث يروون أن الجاهليين كانوا يقسمون اليوم إلى أربع وعشرين ساعة. غير أن من الصعب العثور على دليل يفيد وجود هذا التقسيم عندهم٤.

ويقول أهل مكة بوجود فجرين، أحدهما قبل الآخر. فالفجر الأول هو الفجر الكاذب، ويسمى "ذنب السرحان" لدقته. والفجر الثاني هو الفجر الصادق، ويقال له: "المستطير"، ومنه الحديث" ليس بالمستطيل، يعني الفجر الأول، ولكن المستطير" يريد المنتشر الضوء. ومع طلوعه يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود٥.

وهناك شفقان، أحدهما قبل الآخر: الشفق الأحمر، والشفق الأبيض. وهو يغرب في نصف الليل٦.

ويقال لليوم الذي يسبق اليوم الذي نحن فيه. يوم أمس، أو الأمس، ونهار أمس. أما البارحة، فيراد بها أقرب ليلة مضت، أي: الليلة الماضية. وأما اليوم الذي يلي اليوم الذي نحن فيه، هو نهار الغد، والغد، وبكرة.

---

١ بلوغ الأرب "١/ ٢٧٤"، صبح الأعشى "٢/ ٣٤٨"، نهاية الأرب "١/ ١٤٧".

٢ "الشاهد يوم الجمعة وصلاة الشاهد صلاة المغرب"، تاج العروس "٢/ ٣٩٢".

٣ بلوغ الأرب "١/ ٢٧٤"، "الهتكة"، صبح الأعشى "٢/ ٣٤٨".

٤ Ency., IV, P. 1210

٥ الأنواء "ص١٤٣".

٦ الأنواء "ص١٤٣ وما بعدها".." (٢)

١-"قرأت في الإنجيل ابن آدم أعطيتك ثلاث خصال ما لم تسلني سترت عليك ذنبك فلا يعلم الخلق أني راض عنك أم غضبان وأعطيتك دعوة أخيك المؤمن في ظهر الغيب ورزقتك مالا فبخلت به على نفسك في حياتك فأبقيت لك ثلثك بعدك وأنا أرحم الراحمين

قال قلت شيئا آخر قال نعم الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين الف نفس كل ساعة ألف نفس ومائتي وخمسين نفس (٦٣) محمد بن سليمان بن ذكوان أبو الطاهر

---

(١) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هيكل، محمد حسين ص/١٩٦

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٠٤/١٦

حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو الحسن أحمد بن نصر بن أبي رجاء

". (١)

٢-"فهو ما كان فيه اللفظان متشابهان من نوع من أنواع الكلمة الثلاثة، فهما قد اتفقا نوعا بأن كانا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، فهذا المتماثل أو المماثل، أخذا من التماثل وهو الاتحاد في النوع، إذا: إن ائتلف، ائتلف بمعنى: اتفق نوعا المراد بالنوع هنا: نوعا من أنواع الكلمة، يعن: اتفقا في الاسمية كل من اللفظين اسم، أو في الفعلية كل من اللفظين فعل، أو في الحرفية، كل من اللفظين حرف، دعي أي: سمي متماثلا.

فمثال الاسمين: ((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) [الروم:٥٥] ساعة .. ساعة، هنا حصل تمام، كل منهما اسم إذا هو جناس تام مماثل، جناس تام لماذا؟ لاتحاد الحرف والنظام، نطبق الحد، لماذا مماثل؟ لاتحادهما نوعا، يعني: كل منهما اسم ((ويوم تقوم الساعة)) [الروم:٥٥] أي: القيامة ((يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) [الروم:٥٥] الساعة الواحدة من الزمن التي تكون من أربعة وعشرين ساعة، إذا: ساعة ساعة، (أل) هل لها تأثير؟ الجواب: لا، لأنها زائدة، وعرفنا أنها ليست داخلة في هيئة أو عدد حروف الكلمة.

وكل منهما اسم، مع اتحاد المعنى أو اختلاف المعنى؟ مع اختلاف المعنى، لأن الساعة الأولى المراد بها المسمى الذي هو القيامة وأحداثها، والساعة الثانية المراد بها قطعة من الزمن .. الساعة المعلومة، فهنا اسمان واتفقا في الاسمية واتفقا في شيء آخر وهو الإفراد، كل منهما مفرد ساعة .. ساعة، ومنه مثال الناظم كما سيأتي.

وقد يكونان اسمين ويتفقان جمعية، كل منهما جمع، كقوله تعالى: ((يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)) [النور: ٤٣ - ٤٤] .. ((يذهب بالأبصار)) [النور: ٤٣] قال: ((لأولي الأبصار)) [النور: ٤٤] اتفقا تام تام لاتحاد الحرف والنظام، وهو متماثل لكون كل منهما اسما، واتفقا في الجمعية.

ومنه قوله:

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

حدق الآجال، الأول آجال: جمع إجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، آجال الثاني جمع أجل الذي هو منتهى الأعمار، هنا اتحدا في الجمع، وقد يختلف كل من اللفظين وهما اسمان إفرادا وجمعا، كقول الحريري:

وذي ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

ذمام .. ذمام، الأولى ذمام مفرد، بمعنى: الحرمة، والثاني: جمع ذمة بفتح الذال وهي البئر القليلة الماء، إذا: إن اتحدا كل منهما اسم حينئذ نقول: هذا متماثل، ثم له ثلاث صور: إما أن يكونا مفردين، أو جمعين، أو مختلفين، ومثاله من الفعلين قوله: تربت يمين المسلم وتربت يمين الكافر، تربت يمين المسلم، تربت أي: استغنت، الأولى بمعنى: استغنت، وتربت يمين

---

(١) معجم الشيوخ ص/١١٤

الكافر، بمعنى: افتقرت، وهو كذلك تربت يمنه يحتمل معنيين، لكن لما أضيف وأسند إلى الكافر حينئذ صار بمعنى: افتقر، ولما أضيف إلى يمين المسلم حينئذ صار بمعنى استغنى، وهنا حصل بينهما تشابه في اللفظين وجناس تمام، وهو مماثل، والتماثل هنا في نوع الفعل.". (١)

٣-"إشتكى رجل بطنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذهب إلى امرأتك واستوهب منها درهمين، واشتر بهما عسلا واقرأ عليه القرآن وتناوله ففعل فبرأ فقيل له في ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى يقول: " فإن طبن لكم عن شيء منه فكلوه هنيئا مريئا " . وقال في العسل: فيه شفاء للناس. وقيل في الطعام: إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود، وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضر. وقيل: كل شيء ينام من الإنسان إلا أربعة: الوريد والسحر والمثانة والمعدة. وقال جعفر بن محمد: قيل الطبائع أربع، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه، والبلغم وهو خصم ألد إن خصمته من جانب احتج عليك من جانب، الصفراء وهي مرة كالصبي ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها. وقيل: إذا كان الطبيب حاذقا والعليل عاقلا والقيم فهما فأجدر بالداء أن يزول. لسعت عقرب سرم أعرابي فقيل: أين لسعتك؟ فقال: حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر فقال أعرابي: عندي دواؤه، فقيل له: ما هو؟ قال: الصياح إلى الصباح. قيل: فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية. ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني ويقول: إن علتك من حدة السفر. فدعا الفضل يوما وقال: أبغني رجلا عاقلا من التجار أشاوره في أمري وأفضي إليه بسر، فجاءه برجل من أهل طوس فاستنطقه فرآه عاقلا، فقال: أتحفظ السر؟ قال: نعم. فخلا به وقال: خذ هذه القارورة فأت بها جبريل بن بختيشوع فقل له: هذه القارورة أبي فتأمله فإن كان له دواء فعرفني، وإن لم يكن له دواء فعرفني ليتجهز ويصلح أمره. فذهب إليه بالقارورة فلما نظر إليها جبريل أقبل على أبيه وقال: ويلي على ابن الزانية! يا فضل إذهب فاضرب عنقه يعني الطبيب، فأخذه الفضل وحبسه فقال: أتركني محبوسا عندك ثلاثة أيام، فإن عاش فاقتلني وإلا فلا تتقلد دمي. ففعل فمات الرشيد ليله الثالث. قال أنوشروان لوزيريه يوما: أي الفراش ألذ؟ فقال أحدهما: ألذ الفراش الخز محشوا وقال الآخر: ألذ الفراش الحرير محشوا، وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب فقال: أيها الملك أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم. قال: ألذ الفراش الأمن. قال: صدقت. قال: فما ألذ الطعام؟ قال: ما لا يهيج على طبيعة علة ولا يعقد في عنق آكله منه. فقال: أحسنت! فما ألذ الشراب؟ فقال: ما لا يزيل عقلا عن محله ولا يهيج على طبيعة شيئا من علله. قال: أحسنت! فما ألذ الريحان؟ قال: الولد السار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته. فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه. وكان بعض الأصبهانيين أصابه صداع فضمد رأسه بدار صيني وفلفل، فقال له الطبيب: هذا يعمل لرأس يوضع في التنور.

الحد السابع

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون ٤٦/٥

في الهمم والجد والآمال

مما جاء في الهمم الرفيعة والوضيعة

مدح رفع الهمة والحث عليه:

قيل: الهمة تلقح الجد العقيم. وقيل: الهمة جناح الحظ. وقيل: لا تدور رحى الجد إلا بقطب الهمة وقيمة كل امرئ همته. وقال عمرو بن العاص: عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة أي بجسام الأمور. قال عمر رضي الله عنه: لا تصغرن همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته. وقال: أحسن ما قال لبيد:

أكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس يزري بالأمل

وقيل: ثلاثة لا تدرك إلا برفع الهمة: عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو.

ابن نباتة:

حاول جسيمات الأمور ولا تقل: ... إن المحامد والعلى أرزاق

وارغب بنفسك أن تكون مقصرا ... عن غاية فيها الطلاب سباق

المرء تابع لهمته:

المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت. نظر رجل إلى برذون يستسقى عليه فقال: ما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو هملج في سيرة ما استسقى عليه.

شاعر:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فجعل

لبعض بني عامر:

إذا لم يكن للفتى همه ... تبوئه في العلا مصعدا

ونفس يعودها المكرما ... ت، والمرء يلزم ما عودا

ولم تعد همته نفسه ... فليس ينال بها السؤددا". (١)

"أن الجرائم التي يدل عليها الاتهام هي جرائم مستمرة، أكبر من أن تتحملها حكومة واحدة.. ولو أن معاليه اقتصر في دفاعه على نفس مسئولية حكومة الوفد عن هذه الجرائم، فربما كان هذا أفضل له، وأفضل لحكومته، وأفضل لمصر المسكينة التي ضاعت بين مختلف عهودها..

وبعد فإن الرأي العام كله يؤمن بأن هناك جريمة وطنية قد وقعت، وكل جريمة لا بد لها من فاعل..

فأين الفاعل؟

أين المجرم؟

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٠٠

لقد أثار مصطفى مرعي بك غبار الاتهام حول المليونير المصري المدعو عبد اللطيف أبو رجيلة، ومن تعامل معه في الصفقات التي باعها للجيش المصري..

وقد كانت إثارة هذا الاتهام في الوقت الذي لم تبرد فيه بعد جثث الشهداء، ولم تجف دماؤهم من فوق رمال فلسطين – كافية ليثور الرأي العام، وتثور الهيئات مطالبة برأس المتهم.. كان هذا يحدث في أي بلد من بلاد العالم، أما في مصر فلم يحدث منه شيء؛ بل لم يبق الاتهام معلقا أربعة وعشرين ساعة حتى تتولى الحكومة التحقيق؛ إنما ظهرت الصحف كلها في اليوم التالي وقد نشرت دفاعا مجيدا يعدد فيه أبو رجيلة الخدمات الجليلة التي أداها لوطنه، ولم ترفض صحيفة واحدة نشر هذا الدفاع؛ بل رأت إحدى الصحف أن ليس من اللياقة أن تنشر اسم "أبو رجيلة" في محضر جلسة مجلس الشيوخ، وهو على ما هو عليه من ملايين، فحذفت اسمه من بين أقوال مصطفى مرعي بك، وأكتفت بأن تشير إليه بكلمة "واحد من الناس"، وبذلك اطمأن صاحب الملايين إلى أن الرأي العام معه، أو على الأقل قد سكت عنه، ما دامت الصحافة قد سكتت عنه؛ بل وأشادت بوطنيته.

ويستطيع أبو رجيلة بعد ذلك أن يتفرغ لبناء قطعة الأرض التي اشتراها –في شارع سليمان باشا– ودفع ثمنها نصف مليون جنيه "كاش"، واستقدم لها خمسة من كبار المهندسين لوضع رسوماتها، ويستطيع بعد ذلك أن يكتفي بابتسامة يوجهها إلى كل مصري يزور إيطاليا، وبخدمة أو خدمتين يقدمها له، فيطمئن إلى أن كل مصري سيشيد بكرامته." (١)

"من ذكر شدة ما قاساه بعدما صح.

وقال عبد الله بن المعتز:

أتاني برء لم أكن فيه طامعا ... كمثل أسير حل بعد وثاقه

فإن كنت لم أجزع من الموت جزعة ... فإني مججت الموت بعد مذاقه «١»

تغير اللون

قال الصولي: لم يسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بدت صفرة في لونه إن حمدهم ... من الدر ما اصفرت حواشيه في العقد

وقال أبو تمام:

لم يشن وجهه البهيج ولكن ... جعلت ورد وجنتيه بهارا «٢»

أنواع مختلفة في الطب

اشتكى رجل بطنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذهب إلى امرأتك واستوهب منها درهمين واشتر بهما عسلا واقرأ عليه القرآن وتناوله، ففعل فبرأ، فقيل له في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يقول: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

«٣» ، وقال في العسل فيه شفاء للناس، وقيل: في الطعام إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود،

---

(١) فن الكتابة الصحفية فاروق أبو زيد ص/٢٦٣

وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضر. وقيل: كل شيء ينام من الإنسان إلا أربعة الوريد والسحر والمثانة والمعدة.
وقال جعفر بن محمد قيل: الطبائع أربع، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه، والبلغم وهو خصم ألد جدل إن خصمته من جانب احتج عليك من جانب، والصفراء وهي مرة كالصبي ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها. وقيل: إذا كان الطبيب حاذقا والعليل عاقلا والقيم فهما فأجدر بالداء أن يزول.
لسعت عقرب صرم أعرابي، فقيل أين لسعتك؟ فقال: حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر فقال أعرابي: عندي دواؤه فقيل له: ما هو؟ قال: الصياح إلى الصباح. قيل: فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية.
ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني، ويقول: إن علتك من حدة السفر، فدعا الفضل يوما وقال: أبغني." (١)

١-"الجريمة. أما السبب الثاني في رأي الروائي العظيم فهو الزيادة في استهلاك الجن. يقول:
"إن شراب الجن هو القوت الرئيسي (إن جاز لنا أن نسميه كذلك) الأكثر من مائة ألف شخص في هذه العاصمة. وكثير من هؤلاء التعساء يترعون عدة أكواب من هذا السم خلال أربعة وعشرين ساعة، ومن سوء حظي أنني أرى وأشم أيضا كل يوم ما يخلفه هذا من آثار رهيبة (٧٦) ".
وأما السبب الثالث هو القمار، والرابع قصور القوانين، فقد ترك مهمة القبض على المجرمين لحراس أو خفراء:
"يختارون من بين أنس فقراء، شيوخ، عجزة ... يطلب إليهم وهم لا يحملون من السلاح غير عمود لا يكاد يقوى بعضهم على رفعه، أن يؤمنوا أشخاص رعايا صاحب الجلالة وبيوتهم من هجمات عصابات أوغاد صغار السن، شجعان، أشداء، مستهترين، مدججين بالسلاح (٧٧) ".
وحتى إذا لم يرهب الحارس عنف اللصوص، فإن في الإمكان رشوته، وكذلك الضابط الذي يرفع إليه بلاغاته، وكذلك القاضي الذي يأتيه الضابط بمجرم. وكانت واجبات الشرطة في لندن موكولة إلى ١. ٠٠٠ ضابط، و٤٧٤ معاونا، و٧٤٧ حارسا. وبين القبض والإدانة قام ٢. ٢١٤ محاميا بلندن بعضهم ذوو ثقافة قانونية ونزاهة معقولة، وبعضهم لم يبلغوا هذا المبلغ تماما. قال الدكتور جونسون في رجل برح الغرفة لتوه، إنه "لا يحب أن يغتاب إنسانا، ولكنه يعتقد أن الرجل محام (٧٨) ".
ولم يوافق فيلدنج على رأي كوك الذي ذهب غلى أن "حكمة جميع الحكماء في العالم، لو اجتمعوا معا في وقت واحد، ما كانت لتعدل" فضائل الدستور الإنجليزي. ولعله كان يسلم بأن ذلك الدستور". (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥١٩/١

(٢) قصة الحضارة ١٠٣/٣٥

٢-"وفي هذا المقدار مقنع وبلاغ لمن ناصح نفسه وأعطى النصفة وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وإذا صح إثبات البارئ ووجود الصانع فلنقل الآن في صفاتها أقول أن السؤال عن المائية والمنية والهوية محال من وجه التفتيش عن ذاته لأن الإشارة إلى هذه الأشياء تصورها في الوهم ولا يتصور في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث فإما أن أراد السؤال عن إثباته وإثبات صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندي وجود البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب أنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتى يعد جميع أسمائه وصفاته فإن زعم أنه سأل عن هوية ذاته قيل غير محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم أن هذا من صفاته اللاشية والبطلان فهذا من وساوس الجهل وهذيان الخطل ويكلم في إيجاب الصنعة الصانع والفعل لفاعل بما قد سبق ذكره فإن طلب نظيرا أو شبيها بهذه الصفات فهذا يكلفنا أن نتخذ إلهين اثنين محسوسا وغير محسوس ثم نشبه الغائب بالشاهد ليتحققه وما من إله إلا إله واحد وليس يحجب علم ما تيقناه لجهل ما جهلنا ألا ترى أنا إذا آنسنا شخصا في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب أن نبطل علمنا في ذات الشخص بما خفي علينا من بعض هيئاته كذلك لما قامت الدلالة أن يستحيل وجود فعل لا من فاعل ثم وجدنا فعلا لم نشاهد فاعله لم يجب أن نبطل علمنا البديهي بجهلنا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هويته فنزل الجواب في صفاته قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فأخبر أنه أحد لا كأحد وصمد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس من الخلائق الروحانيين بقوله ولم يكن له كفؤا أحد فنفى النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلام فيما روي لرجل من الأعراب سأله عنه هو الذي إذا مسك ضر فدعوته أجابك وإذا أصابتك سنة فدعوته امطر السحاب وأنبت النبات وإذا ضلت راحلتك بفلاة من الأرض فدعوته ردها إليك فجعل يدل على ربه بدلالة فعله وشهادة الكتاب تغني عن طلب الأسانيد لمثل هذه الأخبار بقول الله تعالى امن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السو وفي رواية المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الشيطان يأتي أحدكم فلا يزال يقول له من خلق هذا فتقول الله حتى يقول فمن خلق الله فإذا سمعتم ذلك فافزعوا إلى سورة الإخلاص فقال أبو هريرة رضى الله عنه فبينا أنا قاعد إذ أتاني آت فقال من خلق الخلق قلت الله قال فمن خلق الله فقمت وقلت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولهذا نهى عن التفكر فيه إذ لا مطلع للوهم والتفكر عليه من طلب ما لا سبيل إليه رجع بأحد الأمرين إما شاكا وإما جاحدا والجحود والشك فيه كفر وقد قيل تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأن الخلق يدل عليه والخالق لا يدرك ولا أعلم أحدا من أصناف الخلق والأمم إلا وهو مقر بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر فمن ذلك قول الفلاسفة الهيولي وإنه خلاف الأجرام العلوية والسفلية ومنهم من يقول بحي ناطق لا يجوز عليه الموت وهو لم يشاهده حيا ناطقا إلا ميتا ومنهم من قال بأن جوهر الأفلاك من غير الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ طوال النهار بها أربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها ستة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب علقة والعلقة تنقلب مضغة ولم يشاهدها عيانا ومن قال بأرض لا يتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسين ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسما إلا مؤلفا مركبا في أشباه لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم أن أقول القائل لا شيء غير ما يعاينه ولا شيء غاب عنه إلا كما يشاهده محال باطل وبعد فانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والفرح والحزن

واللذة والكراهية والحب والبغض وغير ذلك من كثير من الأعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون ولا عرض ولا ريح ولا طعم أو صفة من". (١)

٣-"ومن ذلك الحين عزمت على زيارة هذه الأراضي في أقرب وقت ممكن. فلما أشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت إلى السفارة النرويجية في الرباط، وسألتها عن الأراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعة أشهر، فأخبروني أن الأمر كذلك، وأن هناك نواحي تابعة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة أشهر من أول مايو (أيار) إلى آخر يوليو (تموز) فتأهبت للرحلة وتوجهت من مكناس في سيارتي يسوقها الحاج أحمد هارون في اليوم الثاني من يوليو، وسرنا متوكلين على الله من مكناس إلى تطوان، ثم عبرنا البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، ثم سرنا عبر إسبانيا ففرنسا فألمانيا، فالدانمارك، فالسويد فالنرويج، وتركنا السيارة في مدينة (أوسلو) عاصمة النرويج، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين، فوصلنا مدينة (ناروك)، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة أربعة وعشرين ساعة.
أوقات الصلاة في الأراضي القطبية

كنت عازما قبل أن أصل إلى تلك البلاد أن أصلي خمس صلوات في مدة اثنتي عشر ساعة، ثم أترك الصلاة اثنتي عشر ساعة، فتكون خمس صلوات في أربع وعشرين ساعة.
فلما وصلت إلى تلك البلاد تغير رأيي، وظهر لي أن تتبع أوقات الصلاة في تلك البلاد الأراضي الجنوبية من البلاد النرويجية، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر في الجنوب، ويصلي الظهر حين تزول الشمس في الجنوب، وهكذا الشأن في جميع الصلوات، بناء على قاعدة: "ما قرب من الشيء يعطي حكمه"، وكذلك يفعل الصائم في رمضان إذا جاء في وقت الشمس، أو في وقت الظلام.
هل في الأراضي القطبية فصول؟". (٢)

٤-"ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه، والأفلاك أجسام كريات مشقات بعضها في جوف بعض وهي تسعة أقربها إلينا فلك القمر، وبعده فلك عطارد، ثم بعده فلك الزهرة، وبعده فلك الشمس، وفوقه فلك المريخ، ثم فلك المشتري، وفوقه فلك زحل، ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة، ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع، ويسمى الأطلس، وفلك الأفلاك، وفلك الكل، وقد اختلف في الأفلاك فقيل: هي السموات، وقيل: بل السموات غيرها، وقيل: بل هي كرية، وقيل غير ذلك. وقيل: الفلك الثامن هو الكرسي، والفلك التاسع هو العرش، وقيل غير ذلك. وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة

---

(١) البدء والتاريخ ص/١٩

(٢) الشمس في نصف الليل ص/٢

وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة، ودورانه يكون أبدا من المشرق إلى المغرب، ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لإدارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق أفق الأرض والليل مدة غيبوبة الشمس تحت أفق الأرض، وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كحجز البطيخة كل قسم منها يقال له: برج وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والد لو، والحوت. وكل برج من هذه البروج الإثني عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال: لكل قسم منها درجة، وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا إلى الثوالث والروابع والخوامس إلى الثواني عشر وما فوقها من الأجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا. فالزمان على ذلك أربعة فصول: وهي الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء. وجهات الأقطار أربعة: الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب. والأركان أربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. والطبائع أربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. والأخلاط أربعة: الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم. والرياح أربعة: الصبا، والدبور، والشمال، والجنوب.". (١)

٥-" فقالوا وأين الفراش فبعثوا لاحضاره وسألوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال دبوى نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب فقالوا له دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها فلم يرض ايضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندها في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما اصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فاحضرها وسلمها الى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته

وفي يوم الخميس نادوا في الاسواق بان كل من كان عنده بغلة يدهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان احضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها او كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والاسواق وان يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وان يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات

وفيه نادوا على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين والبطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة ايام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة الى صارى عسكر وقالوا له ارنا طريقا للذهاب فان طريق البرغير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر

---

(١) المواعظ والاعتبار ١/٦

على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم ". (١)

"الموت وهو لم يشاهده حيا ناطقا إلا ميتا ومنهم من قال بأن جوهر الأفلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد شيئا من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ طول النهار بها أربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها ستة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب علقة والعلقة تنقلب مضغة ولم يشاهدها عيانا ومن قال بأرض لا يتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من الثنوية بنور خالص في الغائب وظلمة خالصة غير مماسين ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسما إلا مؤلفا مركبا في أشباه لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل لا شيء غير ما يعاينه [١] ولا شيء غاب عنه إلا كما يشاهده محال باطل وبعد فانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والفرح والحزن واللذة والكراهية والحب والبغض وغير ذلك من كثير من الأعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون ولا عرض ولا ريح ولا طعم أو صفة من الصفات ثم لم يجب إبطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

[١] . يعانيه Ms.." (٢)

"البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن أن تطلع عليها إلا أخذ بقسطه من نفعها واقتضى هذا التدبير المحكم أن وقع مقدار الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة ويأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منها إذا امتد خمسة عشر ساعة فلو زاد مقدار النهار على ذلك إلى خمسين ساعة مثلا أو أكثر لاختل نظام العالم وفسد أكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام أيضا وتعطلت المصالح ولو استويا دائما لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وقال تعالى ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك." (٣)

"فزحل مشتق من زحل فلان إذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره، وقيل: للزحل والزحل الحقد، وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال: إنه المراد في قوله تعالى: والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب

[الطارق/ ١ – ٣] . والمشتري سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه، وقيل: لأنه نجم الشراء والبيع، ودليل الريح

(١) عجائب الآثار ٢/٢٠٨

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٨١/١

(٣) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/١٧١

والمال في قولهم.

والمريخ مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض أغصانه ببعض فيوري نارا سمي بذلك لاحمراره، وقيل: المريخ سهم لا ريش له إذا رمي به لا يستوي في ممره، وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك، والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لأنهم من فوقها، وثلاثة سفلية لأنهم من تحتها سميت بذلك لأن الواسطة التي في المخنقة تسمى شمسة، والزهرة من الزاهر وهو الأبيض النير من كل شيء، وعطارد هو النافذ في كل الأمور ولذلك يقال له أيضا الكاتب فإنه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب، والقمر مأخوذ من القمرة وهي البياض والأقمر الأبيض.

ويقال لزحل كيوان، وللمشتري تبر والبرجيس أيضا، وللمريخ بهرام، وللشمس مهر، وللزهرة أياهيد وسدحت أيضا، ولعطارد هرمس، وللقمر ماه، وقد جمعت في بيت واحد وهو هذا:

لا زلت تبقى وترقى للعلى أبدا ... ما دام للسبعة الأفلاك أحكام

مهر وماه وكيوان وتبر معا ... وهرمس وأياهيد وبهرام

ويقال: لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة.

سميت بذلك لثباتها في الفلك بموضع واحد، وقيل: لبطء حركتها فإنها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة.

ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه، والأفلاك أجسام كريات مشقات بعضها في جوف بعض وهي تسعة أقربها إلينا فلك القمر، وبعده فلك عطارد، ثم بعده فلك الزهرة، وبعده فلك الشمس، وفوقه فلك المريخ، ثم فلك المشتري، وفوقه فلك زحل، ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة، ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع، ويسمى الأطلس، وفلك الأفلاك، وفلك الكل، وقد اختلف في الأفلاك فقيل: هي السماوات، وقيل: بل السماوات غيرها، وقيل: بل هي كرية، وقيل غير ذلك. وقيل: الفلك الثامن هو الكرسي، والفلك التاسع هو العرش، وقيل غير ذلك. وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة، ودورانه يكون أبدا من المشرق إلى المغرب، ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لإدارة." (١)

"فقالوا: وأين الفراش فبعثوا لاحضاره وسألوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش إلى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب إلى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال دبوى نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب فقالوا له: دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها فلم يرض أيضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندها في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما أصبح النهار ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا إلى بيت صاري عسكر الكبير فاحضرها وسلمها إلى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٤

لتكون في حمايته.

وفي يوم الخميس نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يدهب بها إلى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها أو كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق وأن يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات.

وفيه نادوا على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين والبطالين ليسافروا إلى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر وقالوا له: أرنا طريقا للذهاب فإن طريق البرغير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الأسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم." (١)

"مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير وملزوم أيضا من اصابه هذا التشويش أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر أن يكون قصاصة الموت وهو الجاني على نفسه بسبب انتقاله وكل رئيس ملة في خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصة الموت والمغسل أن كان رجلا أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة اوشك في موته ولم يخبر قبل مضي أربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصةالموت وهذه الاوامر الضرورية بلزوم اغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية وكل من خألف حصل له مزيد من الانتقام من قائمقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسني قائمقام يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الاوامر وينتبهوا لها وكل من خألف يحصل له مزيد الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذي يدخل في محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الأخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذي قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أي طائفة أو ضيفا أو تاجرا أو زائرا أو غريما مخاصما لا بد لصاحب المكان من أيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر في شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة باظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وموالسا مع المماليك.

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة في المرة الأولى وأما في المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك." (٢)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٠٨

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٦٤

"المفروش بطول الفسحة ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ويعرف منه الباقي للزوال ومدارات البروج شهرا شهرا وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ولكن لساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر وفضل دائر الغروب وقوس الشفق والفجر وسمت القبلة وتقسيم الدرج وامثال ذلك لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون إلى ذلك فلم يعانوه ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عامود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنينه وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة وهي متقنة الرسم والصناعة وحولها معاريفها واسم واضعها بالخط الثلث العربي المجود حفرا في النحاس وفيها تنازيل الفضة على طريق أوضاع العجم وغير ذلك.

ومنها أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على اتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذي كان ناظرا على الكسوة فقيدوا في النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد إسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب أجد العدول بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك واظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا في تحرير دفتر الإرسالية خاصة.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة ١٢١٣.

في سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا في إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل." (١)

"الباب العاشر: في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس

فيه فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل وسببه النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة

وقال بعض الفلاسفة العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمي ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم والقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها ومن غلبة السوداء يحصل له فسادالفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني مالا يتم حتى يؤدي إلى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعة وعشرين ساعة فيظن أنه قد مات فيدفن وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه إذا ذكر له من

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٢٦٨

يهواه هرب دمه واستحال لونه وقال أفلاطون العشق حركة النفس الفارغة وقال أرسطاطاليس العشق عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب ومن هذا أخذ جرير قوله." (١)

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٧